تابع : تفسير سورة يس
الآية : 28 -29

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىَ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مّنَ السّمَآءِ وَمَا كُنّا مُنزِلِينَ * إِن كَانَتْ إِلاّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وما أنزلنا على قوم هذا المؤمن الذي قتله قومه لدعائه إياهم إلى الله ونصيحته لهم مِنْ بَعْدِهِ يعني: من بعد مهلكه مِنْ جُنْدٍ مِنَ السّماءِ.

واختلف أهل التأويل في معنى الجند الذي أخبر الله أنه لم ينزل إلى قوم هذا المؤمن بعد قتلهموه فقال بعضهم: عُنِي بذلك أنه لم ينزل الله بعد ذلك إليهم رسالة, ولا بعث إليهم نبيا. ذكر من قال ذلك:

22270ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: مِنْ جُنْدٍ مِنَ السّماءِ قال: رسالة.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حَكّام, عن عنبسة, عن محمد بن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبي بَزّة عن مجاهد, مثله.

22271ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَما أَنْزَلْنا عَلى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السّماءِ وَما كُنّا مُنْزِلِينَ قال: فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله إنْ كانَتْ إلاّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فإذَا هُمْ خامدُونَ.

وقال آخرون: بل عُني بذلك أن الله تعالى ذكره لم يبعث لهم جنودا يقاتلهم بها, ولكنه أهلكهم بصيحة واحدة. ذكر من قال ذلك:

22272ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني ابن إسحاق, عن بعض أصحابه, أن عبد الله بن مسعود, قال: غضب الله له, يعني لهذا المؤمن, لاستضعافهم إياه غضبةً لم تبق من القوم شيئا, فعجّل لهم النقمة بما استحلوا منه, وقال: وَما أَنْزَلْنا عَلى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السمّاءِ وَما كُنّا مُنْزِلِينَ يقول: ما كاثرناهم بالجموع: أي الأمر أيسر علينا من ذلك إنْ كانَتْ إلاّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فإذَا هُمْ خامِدُونَ فأهلك الله ذلك الملك وأهل أنطاكية, فبادوا عن وجه الأرض, فلم تبق منهم باقية.

وهذا القول الثاني أولى القولين بتأويل الآية, وذلك أن الرسالة لا يقال لها جند إلا أن يكون أراد مجاهد بذلك الرّسُل, فيكون وجها, وإن كان أيضا من المفهوم بظاهر الآية بعيدا, وذلك أن الرسُل من بني آدم لا ينزلون من السماء والخبر في ظاهر هذه الآية عن أنه لم ينزل من السماء بعد مَهْلِك هذا المؤمن على قومه جندا وذلك بالملائكة أشبه منه ببني آدم.

وقوله: إنْ كانَتْ إلاّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فإذَا هُمْ خامِدُونَ يقول: ما كانت هَلَكتهم إلا صيحة واحدة أنزلها الله من السماء عليهم.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الأمصار إنْ كانَتْ إلاّ صَيْحَةً وَاحِدَةً نصبا على التأويل الذي ذكرت, وأنّ في «كانت» مضمرا. وذُكر عن أبي جعفر المدني أنه قرأه: «إلاّ صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ» رفعا على أنها مرفوعة بكان, ولا مضمر في كان.

والصواب من القراءة في ذلك عندي النصب لإجماع الحجة على ذلك, وعلى أن في «كانت» مضمرا.

وقوله: فإذَا هُمْ خامِدُونَ يقول: فإذا هم هالكون.

الآية : 30

القول في تأويل قوله تعالى: {يَحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مّن رّسُولٍ إِلاّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ }.

يقول تعالى ذكره: يا حسرةً من العباد على أنفسها وتندّما وتلهفا في استهزائهم برسل الله ما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ من الله إلاّ كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ. وذُكر أن ذلك في بعض القراءات: «يا حَسَّرَةَ العِبادِ عَلى أنْفُسِها». وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22273ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة يا حَسْرَةً عَلى العِبادِ: أي يا حسرة العباد على أنفسها على ما ضَيّعت من أمر الله, وفرّطت في جنب الله. قال: وفي بعض القراءات: «يا حَسْرَةَ العِبادِ عَلى أنْفُسِها».

22274ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: يا حَسْرَةً عَلى العِبادِ قال: كان حسرةً عليهم استهزاؤهم بالرسل.

22275ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: يا حَسْرَةً عَلى العِبادِ يقول: يا ويلاً للعباد. وكان بعض أهل العربية يقول: معنى ذلك: يا لها حسرةً على العباد.

الآية : 31-32

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مّنَ الْقُرُونِ أَنّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ * وَإِن كُلّ لّمّا جَمِيعٌ لّدَيْنَا مُحْضَرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ألم ير هؤلاء المشركون بالله من قومك يا محمد كم أهلكنا قبلهم بتكذيبهم رسلنا, وكفرهم بآياتنا من القرون الخالية أنّهُمْ إلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ يقول: ألم يَرَوا أنهم إليهم لا يرجعون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22276ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنَ القُرُونَ أنّهُمْ إلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ قال: عاد وثمود, وقرون بين ذلك كثير.

و«كم» من قوله: كَمْ أهْلَكْنَا في موضع نصب إن شئت بوقوع يروا عليها. وقد ذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «أَلَمْ يَرَوْا مَنْ أهْلَكْنا» وإن شئت بوقوع أهلكنا عليها وأما «أنهم», فإن الألف منها فتحت بوقوع يروا عليها. وذُكر عن بعضهم أنه كسر الألف منها على وجه الاستئناف بها, وترك إعمال «يروا» فيها.

وقوله: وإنْ كُلّ لمّا جَميعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ يقول تعالى ذكره: وإن كل هذه القرون التي أهلكناها والذين لم نهلكهم وغيرهم عندنا يوم القيامة جميعهم محضرون, كما:

22277ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد عن قتادة وَإنْ كُلّ لمّا جَميعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ أي هم يوم القيامة.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: «وَإنْ كُلّ لَمَا» بالتخفيف توجيها منهم إلى أن ذلك «ما» أدخلت عليها اللام التي تدخل جوابا لإنْ وأن معنى الكلام: وإن كلّ

لجميع لدينا محضرون. وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة: لَمّا بتشديد الميم. ولتشديدهم ذلك عندنا وجهان: أحدهما: أن يكون الكلام عندهم كان مرادا به: وإن كلّ لما جميع, ثم حذفت إحدى الميمات لما كثرت, كما قال الشاعر:

غَدَاةَ طَفَت عَلْماءِ بَكْرُ بنُ وَائِلٍوَعُجنْا صُدُورَ الخَيْلِ نَحْوَ تَمِيمِ

والآخر: أن يكونوا أرادوا أن تكون لَمّا بمعنى إلا, مع إنْ خاصة فتكون نظيرة إنما إذا وضعت موضع «إلا». وقد كان بعض نحويّ الكوفة يقول: كأنها «لَمْ» ضمت إليها «ما», فصارتا جميعا استثناء, وخرجتا من حدّ الجحد. وكان بعض أهل العربية يقول: لا أعرف وجه «لمّا» بالتشديد.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

الآية : 33-34

القول في تأويل قوله تعالى: {وَآيَةٌ لّهُمُ الأرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنّاتٍ مّن نّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ }.

يقول تعالى ذكره: ودلالة لهؤلاء المشركين على قُدرة الله على ما يشاء, وعلى إحيائه من مات من خلقه وإعادته بعد فنائه, كهيئته قبل مماته إحياؤه الأرض الميتة, التي لا نبت فيها ولا زرع بالغيث الذي ينزله من السماء حتى يخرج زرعها, ثم إخراجه منها الحبّ الذي هو قوت لهم وغذاء, فمنه يأكلون.

وقوله: وَجَعَلْنا فِيها جَنّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وأعْنابٍ يقول تعالى ذكره: وجعلنا في هذه الأرض التي أحييناها بعد موتها بساتين من نخيل وأعناب وَفَجّرْنا فِيها مِنَ العُيُونِ يقول: وأنبعنا فيها من عيون الماء.

الآية : 35

القول في تأويل قوله تعالى: {لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلاَ يَشْكُرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: أنشأنا هذه الجنات في هذه الأرض ليأكل عبادي من ثمره, وما عملت أيديهم يقول: ليأكلوا من ثمر الجنات التي أنشأنا لهم, وما عملت أيديهم مما غرسوا هم وزرعوا. و«ما» التي في قوله: وَما عَمِلَتْهُ أيْدِيهِمْ في موضع خفض عطفا على الثمر, بمعنى: ومن الذي عملت وهي في قراءة عبد الله فيما ذُكر: «وَممّا عَمِلَتْهُ» بالهاء على هذا المعنى فالهاء في قراءتنا مضمرة, لأن العرب تضمرها أحيانا, وتظهرها في صلات: من, وما, والذي. ولو قيل: «ما» بمعنى المصدر كان مذهبا, فيكون معنى الكلام: ومن عمل أيديهم. ولو قيل: إنها بمعنى الجحد ولا موضع لها كان أيضا مذهبا, فيكون معنى الكلام: ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم. وقوله: أفَلا يَشْكُرُونَ يقول: أفلا يشكر هؤلاء القوم الذين رزقناهم هذا الرزق من هذه الأرض الميتة التي أحييناها لهم مَنْ رزقهم ذلك وأنعم عليهم به؟.

الآية : 36

القول في تأويل قوله تعالى: {سُبْحَانَ الّذِي خَلَق الأزْوَاجَ كُلّهَا مِمّا تُنبِتُ الأرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمّا لاَ يَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره تنزيها وتبرئة للذي خلق الألوان المختلفة كلها من نبات الأرض, ومن أنفسهم, يقول: وخلق من أولادهم ذكورا وإناثا, ومما لا يعلَمون أيضا من الأشياء التي لم يطلعهم عليها, خلق كذلك أزواجا مما يضيف إليه هؤلاء المشركون, ويصفونه به من الشركاء وغير ذلك.

الآية : 37 -38

القول في تأويل قوله تعالى: {وَآيَةٌ لّهُمُ الْلّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النّهَارَ فَإِذَا هُم مّظْلِمُونَ * وَالشّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرّ لّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ }.

يقول تعالى ذكره: ودليل لهم أيضا على قدرة الله على فعل كل ما شاء اللّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النّهارَ يقول: ننزع عنه النهار. ومعنى «منه» في هذا الموضع: عنه, كأنه قيل: نسلخ عنه النهار, فنأتي بالظلمة ونذهب بالنهار. ومنه قوله: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الّذِي آتَيْناهُ فانْسَلَخَ مِنْها: أي خرج منها وتركها, فكذلك انسلاخ الليل من النهار. وقوله: فإذَا هُمْ مُظْلِمُونَ يقول: فإذا هم قد صاروا في ظلمة بمجيء الليل. وقال قتادة في ذلك ما:

22278ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وآيَةٌ لَهُمُ اللّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النّهارَ فإذَا هُمْ مُظْلِمُونَ قال: يولج الليل في النهار, ويولج النهار في الليل.

وهذا الذي قاله قتادة في ذلك عندي, من معنى سلخ النهار من الليل, بعيد وذلك أن إيلاج الليل في النهار, إنما هو زيادة ما نقص من ساعات هذا في ساعات الآخر, وليس السلْخ من ذلك في شيء, لأن النهار يسلخ من الليل كله, وكذلك الليل من النهار كله, وليس يولج كلّ الليل في كلّ النهار, ولا كلّ النهار في كلّ الليل.

وقوله: والشّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرّ لَهَا يقول تعالى ذكره: والشمس تجري لموضع قرارها, بمعنى: إلى موضع قرارها وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر الرواية بذلك:

22279ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا جابر بن نوح, قال: حدثنا الأعمش, عن إبراهيم التيمي, عن أبيه, عن أبي ذرّ الغفاريّ, قال: كنت جالسا عند النبيّ صلى الله عليه وسلم في المسجد, فلما غَرَبت الشمس, قال: «يا أبا ذَرّ هَلْ تَدْرِي أيْنَ تَذْهَبُ الشّمْسُ؟» قلت: الله ورسوله أعلم, قال: «فإنها تذهب فتسجد بَينَ يَدَيْ رَبّها, ثُمّ تَسْتأذِنُ بالرّجُوعِ فَيُؤْذَنُ لَهَا, وكأنّها قَدْ قِيلَ لَهَا ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ, فَتَطْلُعَ مِنْ مَكانِهَا, وَذلكَ مُسْتَقَرّها».

وقال بعضهم في ذلك بما:

22280ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: والشّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرّ لَهَا قال: وقت واحد لا تعدوه.

وقال آخرون: معنى ذلك: تجري لمجرى لها إلى مقادير مواضعها, بمعنى: أنها تجري إلى أبعد منازلها في الغروب, ثم ترجع ولا تجاوزه. قالوا: وذلك أنها لا تزال تتقدّم كل ليلة حتى تنتهي إلى أبعد مغاربها ثم ترجع.

وقوله: ذلكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ يقول: هذا الذي وصفنا من جري الشمس لمستقرّ لها, تقدير العزيز في انتقامه من أعدائه, العليم بمصالح خلقه, وغير ذلك من الأشياء كلها, لا يخفى عليه خافية.

الآية : 39 -40

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالْقَمَرَ قَدّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتّىَ عَادَ كَالعُرجُونِ الْقَدِيمِ * لاَ الشّمْسُ يَنبَغِي لَهَآ أَن تدْرِكَ القَمَرَ وَلاَ اللّيْلُ سَابِقُ النّهَارِ وَكُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: وَالقَمَرَ قَدّرْناهُ مَنازِلَ فقرأه بعض المكيين وبعض المدنيين وبعض البصريين: «وَالقَمَرُ» رفعا عطفا بها على الشمس, إذ كانت الشمس معطوفة على الليل, فأتبعوا القمر أيضا الشمس في الإعراب, لأنه أيضا من الآيات, كما الليل والنهار آيتان, فعلى هذه القراءة تأويل الكلام: وآية لهم القمرُ قدّرناه منازل. وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض المدنيين وبعض البصريين, وعامة قرّاء الكوفة نصبا: وَالقَمَرَ قَدّرْناهُ بمعنى: وقدّرنا القمر منازل, كما فعلنا ذلك بالشمس, فردّوه على الهاء من الشمس في المعنى, لأن الواو التي فيها للفعل المتأخر.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب, فتأويل الكلام: وآية لهم, تقديرنا القمر منازل للنقصان بعد تناهيه وتمامه واستوائه, حتى عاد كالعرجون القديم والعرجون: من العذق من الموضع النابت في النخلة إلى موضع الشماريخ وإنما شبهه جلّ ثناؤه بالعرجون القديم, والقديم هو اليابس, لأن ذلك من العِذْق, لا يكاد يوجد إلا متقوّسا منحنيا إذا قدم ويبس, ولا يكاد أن يُصاب مستويا معتدلاً, كأغصان سائر الأشجار وفروعها, فكذلك القمرُ إذا كان في آخر الشهر قبل استسراره, صار في انحنائه وتقوّسه نظير ذلك العرجون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22281ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: حتى عادَ كالعُرْجُونِ القَدِيمِ يقول: أصل العِذق العتيق.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: حتى عادَ كالعُرجُونَ القَديم يعني بالعُرجون: العذقَ اليابس.

22282ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن أبي رجاء, عن الحسن, في قوله: والقَمَرَ قَدّرْناهُ مَنازِلَ حتى عادَ كالعُرْجُونِ القَدِيمِ قال: كعِذْقِ النخلة إذا قدُم فانحنى.

22283ـ حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقيّ, قال: حدثنا أبو يزيد الخرّاز, يعني خالد بن حيان الرقّي, عن جعفر بن برقان, عن يزيد بن الأصمّ في قوله: حتى عادَ كالعُرْجُونَ القَدِيمِ قال: عذق النخلة إذا قدُم انحنى.

22284ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عيسى بن عبيد, عن عكرمة, في قوله: كالعُرْجُونِ القَدِيمِ قال: النخلة القديمة.

22285ـ حدثني محمد بن عمارة الأسدي, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا إسرائيل, عن أبي يحيى عن مجاهد كالعُرْجُونِ القَدِيمِ قال: العِذْق اليابس.

22286ـ حدثني محمد بن عمر بن عليّ المقدمي وابن سنان القزاز, قالا: حدثنا أبو عاصم والمقدمي, قال: سمعت أبا عاصم يقول: سمعت سليمان التيمي في قوله: حتى عادَ كالعُرْجُونِ القَدِيمِ قال: العذْق.

22287ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة حتى عادَ كالْعُرْجُونِ القَدِيمِ قال: قدّره الله منازل, فجعل ينقص حتى كان مثل عذق النخلة, شبهه بعذق النخلة.

وقوله: لا الشّمْسُ يَنْبَغِي لَها أنْ تُدْرِكَ القَمَرَ يقول تعالى ذكره: لا الشمس يصلح لها إدراك القمر, فيذهب ضوؤها بضوئه, فتكون الأوقات كلها نهارا لا ليل فيها وَلا اللّيْلُ سابِقُ النّهارِ يقول تعالى ذكره: ولا الليل بفائت النهار حتى تذهب ظلمته بضيائه, فتكون الأوقات كلها ليلاً.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في ألفاظهم في تأويل ذلك, إلا أن معاني عامتهم الذي قلناه. ذكر من قال ذلك:

22288ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام عن عنبسة, عن محمد بن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبي بَزّة, عن مجاهد في قوله: لا الشّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أنْ تُدْرِكَ القَمَرَ قال: لا يشبه ضَوءُها ضوء الآخر, لا ينبغي لها ذلك.

22289ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: لا الشّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أنْ تُدْرِكَ القَمَرَ قال: لا يُشبه ضوء أحدهما ضوء الآخر, ولا ينبغي ذلك لهما. وفي قوله: وَلا اللّيْلُ سابِقُ النّهار قال: يتطالبان حَثيثين ينسلخ أحدهما من الآخر.

22290ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا الأشجعيّ, عن سفيان, عن إسماعيل, عن أبي صالح: لا الشّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أنْ تُدْرِكَ القَمَرَ وَلا اللّيْلُ سابِقُ النّهارِ قال: لا يدرك هذا ضوءَ هذا ولا هذا ضوء هذا.

22291ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: لا الشّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أنْ تُدْرِكَ القَمَرَ وهذا في ضوء القمر وضوء الشمس, إذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء, وإذا طلع القمر بضوئه لم يكن للشمس ضوء ولاَ اللّيْلُ سابِقُ النّهارِ قال: في قضاء الله وعلمه أن لا يفوت الليل النهار حتى يدركه, فيذهب ظلمته, وفي قضاء الله أن لا يفوت النهار الليل حتى يدركه, فيذهب بضوئه.

22292ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة لا الشّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أنْ تُدْرِكَ القَمَرَ وَلا اللّيْلُ سابِقُ النّهارِ ولكلَ حدّ وعلم لا يعدوه, ولا يقصر دونه إذا جاء سلطان هذا, ذهب سلطان هذا, وإذا جاء سلطان هذا ذهب سلطان هذا. ورُوي عن ابن عباس في ذلك ما:

22293ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: لا الشّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أنْ تُدْرِكَ القَمَرَ وَلا اللّيْلُ سابِقُ النّهارِ يقول: إذا اجتمعا في السماء كان أحدهما بين يدي الآخر, فإذا غابا غاب أحدهما بين يدي الآخر.

وأن من قوله: أنْ تُدْرِكَ في موضع رفع بقوله: ينبغي. وقوله: وكُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ يقول: وكلّ ما ذكرنا من الشمس والقمر والليل والنهار في فلك يَجْرُون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22294ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العجلي, قال: حدثنا شعبة, عن مسلم البطين, عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس وكُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ قال: في فلك كفلك المِغْزَل.
حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الصمد, قال: حدثنا شعبة, قال: حدثنا الأعمش, عن مسلم البطين, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, مثله.
22295ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد, قال: مجرى كلّ واحد منهما, يعني الليل والنهار, في فَلَك يسبحون: يجرون.
22296ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وكُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ: أي في فلك السماء يسبحون.
22297ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وكُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ دورانا, يقول: دورانا يسبحون يقول: يجرون.
22298ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وكُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ يعني: كلّ في فلك في السموات.

الآية : 41 -44

القول في تأويل قوله تعالى: {وَآيَةٌ لّهُمْ أَنّا حَمَلْنَا ذُرّيّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * وَخَلَقْنَا لَهُمْ مّن مّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ * وَإِن نّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلاَ صَرِيخَ لَهُمْ وَلاَ هُمْ يُنقَذُونَ * إِلاّ رَحْمَةً مّنّا وَمَتَاعاً إِلَىَ حِينٍ }.
يقول تعالى ذكره: ودليل لهم أيضا, وعلامة على قُدرتنا على كلّ ما نشاء, حملنا ذرّيتهم يعني من نجا من ولد آدم في سفينة نوح, وإياها عنى جلّ ثناؤه بالفُلك المشحون والفلك: هي السفينة, والمشحون: المملوء الموقر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
22299ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس قوله: أنّا حَمَلْنا ذُرّيّتَهُمْ فِي الفُلْكِ المَشْحُونِ يقول: الممتلىء.
22300ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: في الفُلْكِ المَشْحُونِ يعني المثقل.
22301ـ حدثني سليمان بن عبد الجبار, قال: حدثنا محمد بن الصلت, قال: حدثنا أبو كدينة, عن عطاء, عن سعيد الفُلْكِ المَشْحُونِ قال: الموقَر.
22302ـ حدثنا عمران بن موسى, قال: حدثنا عبد الوارث, قال: حدثنا يونس, عن الحسن, في قوله: المَشْحُونَ قال: المحمول.
22303ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: أنّا حَمَلْنا ذُرّيّتَهُمْ فِي الفُلْكِ المَشْحُونِ يعني: سفينة نوح عليه السلام.
22304ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَآيَةٌ لَهُمْ أنّا حَمْلنا ذُرّيّتَهُمْ فِي الفُلْكِ المَشْحُونِ المُوقَر, يعني سفينة نوح.
22305ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: الفُلْكِ المَشْحُونِ قال: الفلك المشحون: المَرْكَب الذي كان فيه

نوح, والذرية التي كانت في ذلك المركب قال: والمشحون: الذي قد شُحن, الذي قد جعل فيه ليركبه أهله, جعلوا فيه ما يريدون, فربما امتلأ, وربما لم يمتلىء.

حدثنا الفضل بن الصباح, قال: حدثنا محمد بن فضيل, عن عطاء, عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس قال: أتدرون ما الفُلك المشحون؟ قلنا: لا, قال: هو المُوقَر.

22306ـ حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآمُلِي, قال: حدثنا هارون, عن جُوَيبر, عن الضحاك, في قوله: الفُلكِ المَشحُون قال المُوقَر.

وقوله: وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ يقول تعالى ذكره: وخلقنا لهؤلاء المشركين المكذّبيك يا محمد, تفضلاً منا عليهم, من مثل ذلك الفلك الذي كنا حملنا من ذرّية آدم مَنْ حملنا فيه الذي يركبونه من المراكب.

ثم اختلف أهل التأويل في الذي عُني بقوله: ما يَرْكَبُونَ فقال بعضهم: هي السفن. ذكر من قال ذلك:

22307ـ حدثنا الفضل بن الصباح, قال: حدثنا محمد بن فضيل, عن عطاء, عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس قال: تدرون ما وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ؟ قلنا: لا. قال: هي السفن جُعلت من بعد سفينة نوح على مِثْلها.

22308ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا يحيى, قال: حدثنا سفيان, عن السديّ, عن أبي مالك في قوله: وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ قال: السفن الصغار.

قال: ثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, قال: حدثنا سفيان, عن السديّ, عن أبي مالك, في قوله: وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ قال: السفن الصغار, ألا ترى أنه قال: وَإِنْ نَشأ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ؟.

22309ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن منصور بن زاذان, عن الحسن في هذه الآية: وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ قال: السفن الصغار.

22310ـ حدثنا حاتم بن الضبّي, قال: حدثنا عثمان بن عمر, عن شعبة, عن إسماعيل, عن أبي صالح: وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ قال: السفن الصغار.

22311ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ, يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ يعني: السفن التي اتخذت بعدها, يعني بعد سفينة نوح.

22312ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ قال: هي السفن التي ينتفع بها.

22313ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ قال: وهي هذه الفلك.

حدثني يونس, قال: حدثنا محمد بن عبيد, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح, في قوله: وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ قال: نعم من مثل سفينة.

وقال آخرون: بل عُني بذلك الإبل. ذكر من قال ذلك:

22314ـ حدثني محمد بن سعد, قال: حدثنا أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ

يعنـي: الإبـل, خَـلَقها اللـه كمـا رأيـت, فهـي سـفن الـبرّ, يُحْمَلـون علـيها ويركبونها.
22315ـ حدثنا نصر بن علـيّ, قال: حدثنا غندر, عن عثمان بن غياث, عن عكرمة وَخَـلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ قال: الإبل.
22316ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حـدثنا سفـيان, عن السديّ, قال: قال عبد الله بن شدّاد: وَخَـلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِـهِ مـا يَرْكَبُـونَ هي الإبل.
22317ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قوله: وَخَـلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ قال: من الأنعام.
22318ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: قال الـحسن: هي الإبل.
وأشبه القولـين بتأويـل ذلك قول مَن قال: عُنِـي بذلك السفن, وذلك لدلالة قوله: وَإنْ نَشأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ علـى أن ذلك كذلك, وذلـك أن الغـرق معلوم أن لا يكون إلا فـي الـماء, ولا غرق فـي البرّ.
وقوله: وَإنْ نَشأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهمْ يقول تعالـى ذكره: وإن نشأ نغرق هؤلاء الـمشركين إذا ركبوا الفُلك فـي البحر فَلا صَرِيخَ لَهُمْ يقول: فلا مُغِيـثَ لهم إذا نـحن غرْقناهم يُغِيثهم, فـينـجيهم من الغرق, كما:
22319ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عـن قتـادة وَإنْ نَشأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهمْ: أي لا مُغِيث.
وقولَه: وَلاَ هُمْ يُنْقَذُونَ يقول: ولا هو ينقذهم مـن الغـرق شـيء إن نـحن أغرقناهم فـي البحر, إلا أن ننقذهم نـحن رحمة منا لهم, فننـجيهم منه.
وقوله: وَمَتاعا إلـى حِينٍ يقول: ولنـمتعهم إلـى أجـل هـم بـالغوه, فكـأنه قال: ولاهم يُنْقذُونَ, إلا أن نرحمهم فنـمتعهم إلـى أجـل. وبنـحو الـذي قلنـا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
22320ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَمَتاعا إلـى حِينٍ: أي إلـى الـموت.

الآية : 45 -46

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَإذَا قِيلَ لَهُمُ اتّقُـواْ مَـا بَيْـنَ أَيْـدِيكُمْ وَمَـا خَلْفَكُمْ لَعَلّكُمْ تُرْحَمُونَ * وَمَا تَأْتِيهِم مّنْ آيَةٍ مّـنْ آيَـاتِ رَبّهِـمْ إِلاّ كَـانُواْ عَنْهَـا مُعْرِضِينَ }.
يقول تعالـى ذكره: وإذا قـيـل لهؤلاء الـمشركين بـالله, الـمكذّبـين رسوله مـحمدا صلى الله عليه وسلم: احذروا ما مضى بـين أيـديكم مـن نقـم اللـه وَمثُلاته بـمن حـلّ ذلـك بـه مـن الأمـم قبلكـم أن يحـلّ مثلـه بكـم بشـرككم وتكذيبكم رسوله. وَما خَـلْفَكُمْ يقول: وما بعد هلاككـم مـما أنتـم لاقـوه إن هلكتـم علـى كفركم الذي أنت علـيه لَعَلّكُمْ تُرْحَمُونَ يقول: لـيرحمكم ربكـم إن أنتـم حذرتـم ذلك, واتقـيتـموه بـالتوبة من شرككم والإيـمان بـه, ولـزوم طاعته فـيـما أوجب علـيكم من فرائضه. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22321ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإذَا قِـيـلَ لَهُمُ اتّقُوا ما بـينَ أيْدِيكُمْ: وقائع الله فـيـمن خلا قبلهم مـن الأمـم وما خـلفهم من أمر الساعة. وكان مـجاهد يقول فـي ذلك ما:

22322ـ حدثنـي مـحمد بن عمـرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبـي نـجيح, عـن مـجاهد, قـوله: مـا بـيـنَ أيْـدِيكُمْ قـال: مـا مضى مـن ذنوبهم.

وهذا القول قريب الـمعنى من القول الذي قلنا, لأن معناه: اتقوا عقوبة ما بـين أيديكم من ذنوبكم, وما خـلفكم مـما تعملون من الذنوب ولـم تعملـوه بعد, فذلك بعد تـخويف لهم العقاب علـى كفرهم.

وقوله: وَما تَأْتِـيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آياتِ رَبّهـمْ إلاّ كَـانُوا عَنْهـا مُعْرِضِـينَ يقـول تعالـى ذكره: وما تـجيء هؤلاء الـمشركين من قريش آية, يعنـي حجـة مـن حُجَج الله, وعلامة من علاماته علـى حقـيقة توحيـده, وتصـديق رَسُـوله, إلا كانوا عنها معرضين, لا يتفكرون فـيها, ولا يتدبرونها, فـيعلـموا بها مـا احتـجّ الله علـيهم بها.

فإن قال قائل: وأين جواب قوله: وَإذا قِـيـلَ لَهُمُ اتّقُوا ما بَـيَنَ أيْدِيكُمْ وَمـا خَـلْفَكُمْ؟ قـيـل: جوابه وجواب قوله وَما تَأْتِـيهِمْ مِـنْ آيَـةٍ مِـنْ آيـاتِ رَبّهـمْ... قوله: إلاّ كـانُوا عَنْهـا مُعْرِضِـينَ لأن الإعـراض منهم كـان عـن كـلّ آيـة للـه, فـاكتفـى بـالـجواب عن قوله: اتّقُوا ما بَـينَ أيْدِيكُمْ وعن قـوله: وَمـا تَأْتِـيهِمْ مِنْ آيَةٍ بـالـخبر عن إعراضهم عنها لذلك, لأن معنـى الكلام: وإذا قـيـل لهـم اتقوا ما بـين أيديكم وما خـلفكم أعرضوا, وإذا أتتهم آية أعرضوا.

الآية : 47

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمّا رَزَقَكُمُ الله قَالَ الّذِينَ كَفَرُواْ لِلّذِينَ آمَنُوَاْ أَنُطْعِمُ مَن لّوْ يَشَآءُ اللّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاّ فِي ضَلاَلٍ مّبِينٍ }.

يقول تعالـى ذكره: وإذا قـيـل لهؤلاء الـمشركين بـالله: أنفقوا من رزق الله الذي رزقكم, فأدّوا منه ما فرض الله علـيكم فـيه لأهل حاجتكم ومسكنتكم, قال الذين أنكروا وحدانـية الله, وعبدوا مَنْ دونه للذين آمنوا بـالله ورسوله: أنطعم أموالنا وطعامنا مَنْ لو يشاء الله أطعمه؟.

وفـي قوله: إنْ أنْتُـمْ إلاّ فِـي ضَلالٍ مُبِـين وجهان: أحدهما أن يكون من قـيـل الكفـار للـمؤمنـين, فـيكون تأويـل الكلام حينئذٍ: ما أنتـم أيها القومُ فـي قـيـلكم لنا: أنفقوا مـما رزقكم الله علـى مساكينكم, إلا فـي ذهاب عن الـحقّ, وجور عن الرشد مُبِـين لـمن تأمله وتدبره, أنه فـي ضلال وهذا أوْلـى وجهيه بتأويـله. والوجه الآخر: أن يكون ذلك من قـيـل الله للـمشركين, فـيكون تأويـله حينئذٍ: ما أنتـم أيها الكافرون فـي قـيـلكم للـمؤمنـين: أنطعم من لو يشاء الله أطعمه, إلا فـي ضلال مبـين, عن أن قـيـلكم ذلك لهم ضلال.

الآية : 48

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَيَقُولُونَ مَتَىَ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المشركون المكذّبون وعيدَ الله, والبعثَ بعد الممات, يستعجلون ربهم بالعذاب مَتى هَذَا الوَعْدُ: أي الوعد بقيام الساعة إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أيها القوم, وهذا قولهم لأهل الإيمان بالله ورسوله.

الآية : 49 -50

القول في تأويل قوله تعالى: {مَا يَنظُرُونَ إِلاّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصّمُونَ * فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلاَ إِلَىَ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ما ينتظر هؤلاء المشركون الذين يستعجلون بوعيد الله إياهم, إلا صيحة واحدة تأخذهم, وذلك نفخة الفَزَع عند قيام الساعة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل, وجاءت الآثار. ذكر من قال ذلك, وما فيه من الأثر:

22323ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ ومحمد بن جعفر, قالا: حدثنا عوف بن أبي جميلة عن أبي المغيرة القوّاس, عن عبد الله بن عمرو, قال: لُيْنفَخَنّ في الصور, والناس في طرقهم وأسواقهم ومجالسهم, حتى إن الثوب ليكون بين الرجلين يتساومان, فما يُرسله أحدهما من يده حتى يُنفَخ في الصور, وحتى إن الرجل ليغدو من بيته فلا يرجع حتى ينفخ في الصّور, وهي التي قال الله: ما يَنْظُرُونَ إلاّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصّمُونَ فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً... الآية.

22324ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ما يَنْظُرُونَ إلاّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصّمُونَ ذُكر لنا أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يقول: «تَهِيجُ السّاعَةُ بالنّاسِ وَالرّجُلُ يَسْقِي ماشِيَتَهُ, وَالرّجُلُ يُصْلِحُ حَوْضَهُ, وَالرّجُلُ يُقِيمُ سِلْعَتَهُ فِي سُوقِهِ والرّجُلُ يَخْفِضُ مِيزَانَهُ وَيَرْفَعُهُ, وَتهِيجُ بِهِمْ وَهُمْ كَذلكَ, فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ولا إلى أهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ».

22325ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: ما ينظُرُونَ إلاّ صَيْحَةً وَاحِدَةً قال: النفخة نفخة واحدة.

22326ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربيّ, عن إسماعيل بن رافع, عمن ذكره, عن محمد بن كعب القرظيّ, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ اللّهَ لمّا فَرَغَ مِنْ خَلْقِ السّمَوَاتِ والأرْضِ خَلَقَ الصّورَ, فأعْطاهُ إسْرَافِيلَ, فَهُوَ وَاضِعُهُ عَلى فِيهِ شاخِصٌ بِبَصَرِهِ إلى العَرْشِ يَنْتَظِرُ مَتى يُؤْمَرُ» قالَ أبو هريرة: يا رسول الله: وما الصور؟ قال: «قَرْنٌ» قال: وكَيْفَ هُوَ؟ قال: «قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فِيهِ ثَلاثُ نَفَخاتٍ, الأُولى نَفْخَةُ الفَزَعِ, والثّانِيَةُ نَفْخَةُ الصّعْقِ, والثّالِثَةُ نَفْخَةُ القِيام لِرَبّ العالَمِينَ, يَأمُرُ اللّهُ إسْرَافِيلَ بالنّفْخَةِ الأُولى فَيَقُولُ: انْفُخْ نَفْخَةَ الفَزَعِ, فَيَفْزَعُ أهْلُ السّمَوَاتِ وأهْلُ الأرْضِ إلاّ مَنْ شاءَ اللّهُ, وَيأمُرُهُ اللّهُ فَيُدِيمُها وَيُطَوّلُها, فَلا يَفْتُرُ, وَهِيَ التي يَقُولُ اللّهُ: ما يَنْظُرُ هَؤُلاءِ إلاّ صَيْحَةً وَاحِدَةً ما لَهَا مِنْ فَوَاقٍ, ثُمّ يَأمُرُ اللّهُ إسْرَافِيلَ بنَفْخَةِ الصّعْقِ, فَيَقُولُ: انْفُخْ نَفْخَةَ الصّعْقِ, فَيَصْعَقُ أهْلُ السّمَوَاتِ والأرْضِ إلاّ مَنْ شاءَ اللّهُ, فإذَا هُمْ خامِدُونَ, ثُمّ يُمِيتُ مَنْ بَقِيَ, فإذَا لَمْ يَبْقَ إلاّ اللّهُ الوَاحِدُ الصّمَدُ, بَدّلَ الأرْضَ غيرَ الأرْضِ والسّمَوَاتِ, فَيَبْسُطُها وَيَسْطَحُها, وَيَمُدّها مَدّ الأدِيمِ العِكاظِيّ, لا تَرَى فِيها عِوَجا وَلا أمْتا, ثُمّ يَزْجُرُ اللّهُ

الـخَـلْقَ زَجْرَةً, فإذَا هُمُ فِـي هَذِهِ الـمُبَدّلَةِ فِـي مِثْلِ مَوَاضِعِهِمْ مِنَ الأُولـى ما كانَ فـي بَطْنها كان فـي بَطْنِها, وَما كانَ علـى ظَهْرِها كانَ عَلـى ظَهْرِها».

واختلفت القرّاء فـي قراءة قوله: وَهُمْ يَخِصّـمُونَ فقـرأ ذلـك بعـض قـرّاء الـمدينة: «وَهُـمْ يَخْصّـمُونَ» بسـكون الـخاء وتشـديد الصـاد, فجمـع بـين الساكنـين, بـمعنى: يختصـمون, ثـم أدغـم التـاء فـي الصـاد فجعلهـا صـادا مشدّدة, وترك الـخاء علـى سكونها فـي الأصل. وقرأ ذلـك بعـض الـمكيـين والبصريـين: «وَهُـمْ يُخَصّـمُونَ» بفتـح الـخاء وتشـديد الصـاد بـمعنى: يختصمون, غير أنهم نقلوا حركة التاء وهي الفتحة التـي فـي يفتعلـون إلـى الـخاء منها, فحرّكوها بتـحريكها, وأدغموا التاء فـي الصـاد وشـدّدوها. وقـرأ ذلك بعض قرّاء الكوفة: يَخِصّـمُونَ بكسـر الـخاء وتشـديد الصـاد, فكسـروا الـخاء بكسر الصاد وأدغموا التاء فـي الصـاد وشـدّدوها. وقـرأ ذلـك آخـرون منهم: «يَخْصِمُونَ» بسكون الـخاء وتـخفـيف الصاد, بـمعنى «يَفْعَلُونَ» مـن الـخصومة, وكأن معنى قارىء ذلك كذلك: كأنهم يتكلـمون, أو يكـون معنـاه عنده: كان وهم عند أنفسهم يَخْصمُون مَن وعدهم مـجيء السـاعة, وقـيام القـيامة, ويغلبونه بـالـجدل فـي ذلك.

والصواب من القول فـي ذلك عندنا أن هذه قراءات مشهورات معروفـات فـي قرّاء الأمصار, متقاربـات الـمعانـي, فبأيتهنّ قرأ القارىء فمصيب.

وقـوله: فَلا يَسْـتَطِيعُونَ تَوْصِـيَةً يقـول تعالـى ذكـره: فلا يسـتطيع هـؤلاء الـمشركون عند النفخ فـي الصّـور أن يوصـوا فـي أمـوالهم أحـدا وَلا إلـى أهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ يقول: ولا يستطيع من كان منهـم خارجـا ع ن أهلـه أن يرجـع إلـيهم, لأنهم لا يُـمْهَلون بذلك. ولكن يُعَجّلون بـالهلاك. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22327ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِـيَةً: أي فـيـما فـي أيـديهم وَلا إلـى أهْلِهِـمْ يَرْجِعُـونَ قـال: أعْجِلوا عن ذلك.

22328ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله: ما يَنْظُرُ هَؤُلاء إلاّ صَيْحَةً وَاحِدَةً... الآية, قال هذا مبتـدأ يـوم القـيامة, وقرأ: فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً حتـى بلغ إلـى رَبّهِمْ يَنْسِلُونَ.

الآية : 51 -53

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَنُفِخَ فِي الصّورِ فَـإِذَا هُـم مّـنَ الأجْـدَاثِ إِلَىَ رَبّهِمْ يَنسِلُونَ * قَالُواْ يَوَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مّرْقَدِنَا هَذَا مَـا وَعَـدَ الرّحْمَـنُ وَصَـدَقَ الْمُرْسَـلُونَ * إِن كَـانَتْ إِلاّ صَـيْحَةً وَاحِـدَةً فَـإِذَا هُـمْ جَمِيـعٌ لّـدَيْنَا مُحْضَرُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: ونُفِخَ فِـي الصّـورِ, وقـد ذكرنـا اختلاف الـمختلفـين والصواب من القول فـيه بشواهده فـيـما مضى قبل بـما أغنـى عـن إعـادته فـي هذا الـموضع, ويُعْنَى بهذه النفخة, نفخة البعث.

وقوله: فإذَا هُمْ مِنَ الأجْدَاثِ يعنـي من أجـداثهم, وهـي قبـورهم, واحـدها جَدَث, وفـيها لغتان, فأمـا أهـل العالـية, فتقـوله بـالثاء: جَـدَث, وأمـا أهـل السافلة فتقوله بـالفـاء جَدَف. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22329ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: مِنَ الأَجْدَاثِ إلى رَبّهِمْ يَنْسِلُونَ يقول: من القبور.

22330ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فإذَا هُمْ مِنَ الأجْداث: أي من القبور.

وقوله: إلى رَبّهِمْ يَنْسِلُونَ يقول: إلى ربهم يخرجون سراعا, والنّسَلان: الإسراع في المشي. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22331ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: يَنْسِلونَ يقول: يخرجون.

22332ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إلى رَبّهِمْ يَنْسِلُونَ: أي يخرجون.

وقوله: قالُوا يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا هَذَا ما وَعَدَ الرّحْمَنُ وَصَدَقَ المُرْسَلُونَ يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء المشركون لما نُفخ في الصور نفخة البعث لموقف القيامة فردّت أرواحهم إلى أجسامهم, وذلك بعد نومة ناموها: يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا وقد قيل: إن ذلك نومة بين النفختين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22333ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن خيثمة, عن الحسن, عن أُبيّ بن كعب, في قوله: يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا قال: ناموا نومة قبل البعث.

22334ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن رجل يقال له خيثمة في قوله: يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا قال: ينامون نومة قبل البعث.

22335ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قالُوا يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا هذا قول أهل الضلالة. والرّقدة: ما بين النفختين.

22336ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا هَذَا قال: الكافرون يقولونه.

ويعني بقوله: مِنْ مَرْقَدِنا هَذَا من أيقظنا من منامنا, وهو من قولهم: بعث فلان ناقته فانبعثت, إذا أثارها فثارت. وقد ذُكر أن ذلك في قراءة ابن مسعود: «مَنْ أهَبّنا مِنْ مَرْقَدِنا هَذَا». وفي قوله: هَذَا وجهان: أحدهما: أن تكون إشارة إلى «ما», ويكون ذلك كلاما مبتدأ بعد تناهي الخبر الأوّل بقوله: مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا فتكون «ما» حينئذٍ مرفوعة بهذا, ويكون معنى الكلام: هذا وعد الرحمن وصدق المرسلون. والوجه الآخر: أن تكون من صفة المرقد, وتكون خفضا وردّا على المرقد, وعند تمام الخبر عن الأوّل, فيكون معنى الكلام: من بعثنا من مرقدنا هذا, ثم يبتدىء الكلام فيقال: ما وعدَ الرحمن, بمعنى: بعثكم وعد الرحمن, فتكون «ما» حينئذٍ رفعا على هذا المعنى.

وقد اختلف أهل التأويل في الذي يقول حينئذٍ: هذا ما وعد الرحمن, فقال بعضهم: يقول ذلك أهل الإيمان بالله. ذكر من قال ذلك:

22337ـ حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: هَذَا ما وَعَدَ الرّحمَنُ مما سرّ المؤمنون يقولون هذا حين البعث.
22338ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, في قوله: هَذَا ما وَعَدَ الرّحمَنُ وَصَدَقَ المُرْسَلُونَ قال: قال أهل الهدى: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون.
وقال آخرون: بل كلا القولين, أعني يا وَيْلَنا مَنْ بَعثَنا مِنْ مَرْقَدِنا هَذَا ما وَعَدَ الرّحْمَنُ وَصَدَق المُرْسَلُونَ من قول الكفار. ذكر من قال ذلك:
22339ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنا ثم قال بعضهم لبعض: هَذَا ما وَعَدَ الرّحْمَنُ وَصَدَقَ المُرْسَلُونَ كانوا أخبرونا أنا نبعث بعد الموت, ونُحاسب ونُجازَى.
والقول الأوّل أشبه بظاهر التنزيل, وهو أن يكون من كلام المؤمنين, لأن الكفار في قيلهم: مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا دليل على أنهم كانوا بمن بعثهم من مَرْقَدهم جُهّالاً, ولذلك من جهلهم استثبتوا, ومحال أن يكونوا استثبتوا ذلك إلاّ من غيرهم, ممن خالفت صفته صفتهم في ذلك.
وقوله: إنْ كانَتْ إلاّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فإذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ يقول تعالى ذكره: إن كانت إعادتهم أحياء بعد مماتهم إلا صيحة واحدة, وهي النفخة الثالثة في الصور فإذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ يقول: فإذا هم مجتمعون لدينا قد أحضروا, فأشهدوا مَوْقفَ العرض والحساب, لم يتخلف عنه منهم أحد. وقد بينا اختلاف المختلفين في قراءتهم إلاّ صَيْحَةً بالنصب والرفع فيما مضى, بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

الآية : 54 -55

القول في تأويل قوله تعالى: {فَالْيَوْمَ لاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلاَ تُجْزَوْنَ إِلاّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنّ أَصْحَابَ الْجَنّةِ اليَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ }.
يقول تعالى ذكره: فالْيَوْمَ يعني يوم القيامة لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئا كذلك ربنا لا يظلم نفسا شيئا, فلا يوفيها جزاء عملها الصالح, ولا يحمل عليها وِزْر غيرها, ولكنه يوفي كل نفس أجر ما عملت من صالح, ولا يعاقبها إلا بما اجترمت واكتسبت من شيء وَلا تُجْزَوْنَ إلاّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يقول: ولا تكافؤون إلا مكافأة أعمالكم التي كنتم تعملونها في الدنيا.
وقوله: إنّ أصحَابَ الجَنّةِ اليَوْمَ فِي شُغُلٍ فاكِهُونَ اختلف أهل التأويل في معنى الشغل الذي وصف الله جلّ ثناؤه أصحاب الجنة أنهم فيه يوم القيامة, فقال بعضهم: ذلك افتضاض العذارَى. ذكر من قال ذلك:
22340ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن حفص بن حميد, عن شَمِر بن عطية, عن شقيق بن سلمة, عن عبد الله بن مسعود, في قوله: إنّ أصحَابَ الجَنّةِ اليَوْمَ فِي شُغُلٍ فاكِهُونَ قال: شغلهم افتضاض العذارى.
22341ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر, عن أبيه, عن أبي عمرو, عن عكرمة, عن ابن عباس إنّ أصحَابَ الجَنّةِ اليَوْمَ فِي شُغُلٍ فاكِهُونَ قال: افتضاض الأبكار.

حدثني عبيد بن أسباط بن محمد, قال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن عكرمة, عن ابن عباس إنّ أصحَابَ الجَنّةِ اليَوْمَ فِي شُغُلٍ فاكِهُون قال: افتضاض الأبكار.

حدثني الحسن بن زُرَيْق الطّهَوِيّ, قال: حدثنا أسباط بن محمد, عن أبيه, عن عكرمة, عن ابن عباس, مثله.

22342ـ حدثني الحسين بن عليّ الصّدائي, قال: حدثنا أبو النضر, عن الأشجعيّ, عن وائل بن داود, عن سعيد بن المسيب, في قوله: إنّ أصحَابَ الجَنّةِ اليَوْمَ فِي شُغُلٍ فاكِهُونَ قال: في افتضاض العذارَى. وقال آخرون: بل عُنِى بذلك: أنهم في نعمة. ذكر من قال ذلك:

22343ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: إنّ أصحَابَ الجَنّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ قال: في نعمة.

22344ـ حدثنا عمرو بن عبد الحميد, قال: حدثنا مروان, عن جُوَيبر, عن أبي سهل, عن الحسن, في قول الله: إنّ أصحَابَ الجَنّةِ... الآية, قال: شَغلَهم النعيمُ عما فيه أهل النار من العذاب.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهم في شغل عما فيه أهل النار. ذكر من قال ذلك:

22345ـ حدثنا نصر بن عليّ الجَهْضَمِيّ, قال: حدثنا أبي, عن شعبة, عن أبان بن تغلب, عن إسماعيل بن أبي خالد إنّ أصحَابَ الجَنّةِ... الآية, قال: في شغل عما يلقى أهلُ النار.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله جل ثناؤه إنّ أصحَابَ الجَنّةِ وهم أهلها فِي شُغُلٍ فاكِهُونَ بنعم تأتيهم في شغل, وذلك الشغل الذي هم فيه نعمة, وافتضاض أبكار, ولهو ولذّة, وشغل عما يَلْقى أهل النار.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة قوله: في شُغُلٍ, فقرأت ذلك عامة قرّاء المدينة وبعض البصريين على اختلاف عنه: «فِي شُغْلٍ» بضم الشين وتسكين الغين. وقد رُوي عن أبي عمرو الضمّ في الشين والتسكين في الغين, والفتح في الشين والغين جميعا في شغل. وقرأ ذلك بعض أهل المدينة والبصرة وعامة قرّاء أهل الكوفة فِي شُغُلٍ بضم الشين والغين.

والصواب في ذلك عندي قراءته بضم الشين والغين, أو بضم الشين وسكون الغين, بأيّ ذلك قرأه القارىء فهو مصيب, لأن ذلك هو القراءة المعروفة في قرّاء الأمصار مع تقارب معنييهما. وأما قراءته بفتح الشين والغين, فغير جائزة عندي, لإجماع الحجة من القرّاء على خلافها.

واختلفوا أيضا في قراءة قوله: فاكِهُونَ فقرأت ذلك عامة قرّاء الأمصار فاكِهُونَ بالألف. وذُكر عن أبي جعفر القارىء أنه كان يقرؤه: «فَكِهُونَ» بغير ألف.

والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأه بالألف, لأن ذلك هو القراءة المعروفة.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معناه: فَرِحون. ذكر من قال ذلك:

22346ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فِي شُغُلٍ فاكِهُونَ يقول: فرحون.
وقال آخرون: معناه: عجبون. ذكر من قال ذلك:
22347ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فاكِهُونَ قال: عجبون.
حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد فَكِهُونَ قال: عَجِبون.
واختلف أهل العلم بكلام العرب في ذلك, فقال بعض البصريين: منهم الفكه الذي يتفكّه. وقال: تقول العرب للرجل الذي يتفكّه بالطعام أو بالفاكهة, أو بأعراض الناس: إن فلانا لفكِه بأعراض الناس, قال: ومن قرأها فاكِهُونَ جعله كثير الفواكه صاحب فاكهة, واستشهد لقوله ذلك ببيت الحُطَيئة:
وَدَعَوْتَنِي وَزَعَمْتَ أنّكَلابنٌ بالصّيْفِ تامِرْ
أي عنده لبن كثير, وتمرٌ كثير, وكذلك عاسل, ولاحم, وشاحم. وقال بعض الكوفيين: ذلك بمنزلة حاذرون وحذرون, وهذا القول الثاني أشبه بالكلمة.

الآية : 56 -58

القول في تأويل قوله تعالى: {هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلاَلٍ عَلَى الأرَآئِكِ مُتّكِئُونَ * لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مّا يَدّعُونَ * سَلاَمٌ قَوْلاً مّن رَّبّ رّحِيمٍ }.
يعني تعالى بقوله: هُمُ أصحاب الجنة وأزْوَاجُهُمْ من أهل الجنة في الجنة, كما:
22348ـ حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: هُمْ وأزْوَاجُهُمْ في ظِلالٍ قال: حلائلهم في ظُلَل.
واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأه بعضهم: «فِي ظُلَلٍ» بمعنى: جمع ظلة, كما تُجمع الْحُلة حُللاً. وقرأه آخرون: فِي ظِلالٍ وإذا قرىء ذلك كذلك كان له وجهان: أحدهما أن يكون مُرادا به جمع الظّلّل الذي هو بمعنى الكِنّ, فيكون معنى الكلمة حينئذٍ: هم وأزواجهم في كنّ لا يضْحَوْن لشمس كما يَضْحَى لها أهلُ الدنيا, لأنه لا شمس فيها. والآخر: أن يكون مرادا به جمع ظلة, فيكون وجه جمعها كذلك نظير جمعهم الحلة في الكثرة: الخِلال, والقُلّة: قِلال.
وقوله: عَلَى الأرَائِكِ مُتّكِئُونَ والأرائك: هي الحِجال فيها السُرر والفُرُش: واحدتها أريكة, وكان بعضهم يزعم أن كلّ فِراش فأريكة, ويستشهد لقوله ذلك بقول ذي الرمة:
ت.كأنّما تُباشِرْنَ بالمَعزاءِ مَسّ الأَرَائِكِ
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
22349ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حُصَيْن, عن مجاهد, عن ابن عباس, في قوله: عَلَى الأَرَائِكِ مُتّكِئِونَ قال: هي السّرُر في الحِجال.
22350ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن حصين, عن مجاهد, في قول الله: عَلَى الأرَائِكِ مُتّكِئُونَ قال: الأرائك: السّرر عليها الحِجال.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, قال: حدثنا حصين, عن مجاهد, في قوله: مُتّكِئِينَ عَلى الأرَائِكِ قال: الأرائك: السّرُر في الحِجال.

حدثنا أبو السائب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: أخبرنا حُصَيْن, عن مجاهد, في قوله: عَلى الأرَائك قال: سُرُر عليها الحِجال.

22351ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر, عن أبيه, قال: زعم محمد أن عكرمة قال: الأرائك: السّرُر في الحِجال.

22352ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن أبي رجاء, قال: سمعت الحسن, وسأله رجل عن الأرائك قال: هي الحجال. أهل اليمن يقولون: أريكة فلان. وسمعت عكرمة وسئل عنها فقال: هي الحجال على السّرُر.

22353ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة على الأرائِكِ مُتّكِئُونَ قال: هي الحِجال فيها السرر.

وقوله: لَهُمْ فِيها فاكِهَةٌ يقول لهؤلاء الذين ذكرهم تبارك وتعالى من أهل الجنة في الجنة فاكهة وَلَهُمْ ما يَدّعُونَ يقول: ولهم فيها ما يتَمّنون. وذُكر عن العرب أنها تقول: دع عليّ ما شئت: أي تمنّ عليّ ما شئت.

وقوله: سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبّ رَحِيمٍ في رفع سلامٌ وجهان في قول بعض نحويي الكوفة أحدهما: أن يكون خبرا لما يدّعون, فيكون معنى الكلام: ولهم ما يدّعون مسلّم لهم خالص. وإذا وُجّه معنى الكلام إلى ذلك كان القول حينئذٍ منصوبا توكيدا خارجا من السلام, كأنه قيل: ولهم فيها ما يدّعون مسلّم خالص حقا, كأنه قيل: قاله قولاً. والوجه الثاني: أن يكون قوله: سَلامٌ مرفوعا على المدح, بمعنى: هو سلام لهم قولاً من الله. وقد ذُكر أنها في قراءة عبد الله: «سَلاما قَوْلاً» على أن الخبر متناه عند قوله: وَلَهُمْ ما يَدّعُونَ, ثم نصب سلاما على التوكيد, بمعنى: مسلما قولاً. وكان بعضُ نحويي البصرة يقول: انتصب قولاً على البدل من اللفظ بالفعل, كأنه قال: أقول ذلك قولاً. قال: ومن نصبها نصبها على خبر المعرفة على قوله: وَلهُمْ فِيها ما يَدّعُونَ.

والذي هو أولى بالصواب على ما جاء به الخبر عن محمد بن كعب القُرَظيّ, أن يكون سَلامٌ خبرا لقوله: وَلَهُمْ ما يَدّعُونَ فيكون معنى ذلك: ولهم فيها ما يدّعون, وذلك هو سلام من الله عليهم, بمعنى: تسليم من الله, ويكون سلام ترجمة ما يدّعون, ويكون القول خارجا من قوله: سلام. وإنما قلت ذلك أولى بالصواب لما:

22354ـ حَدّثنا به إبراهيم بن سعيد الجوهريّ, قال: حدثنا أبو عبد الرحمن المقري عن حرملة, عن سليمان بن حميد, قال: سمعت محمد بن كعب, يحدّث عمر بن عبد العزيز, قال: إذا فرغ الله من أهل الجنة وأهل النار, أقبل يمشي في ظُلَل من الغمام والملائكة, فيقف على أوّل أهل درجة, فيسلم عليهم, فيردّون عليه السلام, وهو في القرآن: سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبّ رَحِيمٍ فيقول: سَلُوا, فيقولون: ما نسألك وعزّتك وجلالك, لو أنك قسمت بيننا أرزاق الثّقَلين لأطعمناهم وسقيناهم وكسوناهم, فيقول: سَلُوا, فيقولون: نسألك رضاك, فيقول: رضائي أحلّكم دار كرامتي, فيفعل ذلك بأهل كلّ درجة حتى ينتهي, قال: ولو أن امرأة من الحُور العِين طلعت لأطفأ ضوء سِوارَيْها الشمس والقمر, فكيف بالمُسَوّرة.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: حدثنا حرملة, عن سليمان بن حميد, قال: سمعت محمد بن كعب القرظيّ يحدّث عمر بن عبد العزيز, قال: إذا فرغ الله من أهل الجنة والنار, أقبل في ظُلَل من الغمام والملائكة, قال: فيسلم على أهل الجنة, فيردُون عليه السلام, قال القُرظيّ: وهذا في كتاب الله: سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبّ رَحِيمٍ؟ فيقول: سَلُوني, فيقولون: ماذا نسألك, أي رَبّ؟ قال: بل سلوني قالوا: نسألك أي ربّ رضاك, قال: رضائي أحلكم دار كرامتي, قالوا: يا ربّ وما الذي نسألك فوعزّتك وجلالك, وارتفاع مكانك, لو قسمت علينا رزق الثقلين لأطعمناهم, ولأسقيناهم, ولألبسناهم ولأخدمناهم, لا يُنقصنا ذلك شيئا, قال: إن لديّ مزيدا, قال: فيفعل الله ذلك بهم في درجهم حتى يستوي في مجلسه, قال: ثم تأتيهم التحف من الله تحملها إليهم الملائكة. ثم ذكر نحوه.

حدثنا ابن سنان القزاز, قال: حدثنا أبو عبد الرحمن, قال: حدثنا حرملة, قال: حدثنا سليمان بن حميد, أنه سمع محمد بن كعب القرظي يحدّث عمر بن عبد العزيز, قال: إذا فرغ الله من أهل الجنة وأهل النار, أقبل يمشي في ظُلل من الغمام ويقف, قال: ثم ذكر نحوه, إلا أنه قال: فيقولون: فماذا نسألك يا ربّ, فوعزّتك وجلالك وارتفاع مكانك, لو أنك قسمت علينا أرزاق الثقلين, الجنّ والإنس, لأطعمناهم, ولسقيناهم, ولأخدمناهم, من غير أن ينتقص ذلك شيئا مما عندنا, قال: بلى فسلوني, قالوا: نسألك رضاك, قال: رضائي أحلّكم دار كرامتي, فيفعل هذا بأهل كلّ درجة, حتى ينتهي إلى مجلسه. وسائر الحديث مثله.

فهذا القول الذي قاله محمد بن كعب, ينبىء عن أن «سلام» بيان عن قوله: ما يَدّعُونَ, وأن القول خارج من السلام. وقوله: مِنْ رَبّ رَحِيمٍ يعني: رحيم بهم إذ لم يعاقبهم بما سلف لهم من جُرْم في الدنيا.

الآية : 59 -61

القول في تأويل قوله تعالى: {وَامْتَازُواْ الْيَوْمَ أَيّهَا الْمُجْرِمُونَ * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبَنِيَ آدَمَ أَن لاّ تَعْبُدُواْ الشّيطَانَ إِنّهُ لَكُمْ عَدُوّ مّبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مّسْتَقِيمٌ }.

يعني بقوله: وَامْتازُوا: تَميزوا وهي افتعلوا, من ماز يميز, فعل يفعل منه: امتاز يمتاز امتيازا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22355ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَامْتَازوا اليَوْمَ أيّها المُجْرِمُونَ قال: عُزِلوا عن كلّ خير.

22356ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي, عن إسماعيل بن رافع, عمن حدثه, عن محمد بن كعب القرظيّ, عن أبي هريرة, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذَا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ أمَرَ اللّهُ جَهَنّمَ فَيَخْرُجُ مِنْها عُنُقٌ ساطِعٌ مُظْلِمٌ, ثُمّ يَقُولُ: ألَمْ أعْهَدْ إلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أنْ لا تَعْبُدُوا الشّيْطانَ... الآية, إلى قوله: هَذِهِ جَهَنّمُ التي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ وَامْتازُوا الْيَوْمَ أيّها المُجْرِمُونَ, فَيَتَمَيّزُ النّاسُ وَيجْثُونَ, وَهِيَ قَوْلُ اللّهِ: وَتَرَى كُلّ أمّةٍ... الآية».

فتأويل الكلام إذن: وتميزوا من المؤمنين اليوم أيها الكافرون بالله, فإنكم واردون غير موردهم, داخلون غير مدخلهم.

وقوله: أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ, وفي الكلام متروك استغني بدلالة الكلام عليه منه, وهو: ثم يقال: ألم أعهد إليكم يا بني آدم, يقول: ألم أوصكم وآمركم في الدنيا أن لا تعبدوا الشيطان فتطيعوه في معصية الله إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ يقول: وأقول لكم: إن الشيطان لكم عدوّ مبين, قد أبان لكم عَداوته بامتناعه من السجود, لأبيكم آدم, حسدا منه له, على ما كان الله أعطاه من الكرامة, وغُروره إياه, حتى أخرجه وزوجته من الجنة.

وقوله: وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ يقول: وألم أعهد إليكم أن اعبدوني دون كلّ ما سواي من الآلهة والأنداد, وإياي فأطيعوا, فإن إخلاص عبادتي, وإفراد طاعتي, ومعصية الشيطان, هو الدين الصحيح, والطريق المستقيم.

الآية : 62 -64

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَضَلّ مِنْكُمْ جِبِلاّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ * هَـَذِهِ جَهَنّمُ الّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ }.

يعني تعالى ذكره بقوله: وَلَقَدْ أَضَلّ مِنْكُمْ جِبِلاّ كَثِيرا: ولقد صدّ الشيطان منكم خلقا كثيرا عن طاعتي, وإفرادي بالألوهة حتى عبدوه, واتخذوا من دوني آلهة يعبدونها, كما:

22357ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَلَقَدْ أَضَلّ مِنْكُمْ جِبِلاّ قال: خلقا.

واختلف القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة وبعض الكوفيين جِبِلاّ بكسر الجيم وتشديد اللام, وكان بعض المكّيين وعامة قرّاء الكوفة يقرؤونه: «جُبُلاً» بضم الجيم والباء وتخفيف اللام. وكان بعض قرّاء البصرة يقرؤه: «جُبْلاً» بضم الجيم وتسكين الباء, وكل هذه لغات معروفات, غير أني لا أحبّ القراءة في ذلك إلا بإحدى القراءتين اللتين إحداهما بكسر الجيم وتشديد اللام, والأخرى: ضم الجيم والباء وتخفيف اللام, لأن ذلك هو القراءة التي عليها عامة قرّاء الأمصار.

وقوله: أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ يقول: أفلم تكونوا تعقلون أيها المشركون, إذ أطعتم الشيطان في عبادة غير الله, أنه لا ينبغي لكم أن تطيعوا عدوّكم وعدوّ الله, وتعبدوا غير الله. وقوله: هَذِهِ جَهَنّم التي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ يقول: هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا على كفركم بالله, وتكذيبكم رسله, فكنتم بها تكذّبون. وقيل: إن جهنم أوّل باب من أبواب النار. وقوله: اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ يقول: احترقُوا بها ا اليوم ورِدُوها يعني باليوم: يوم القيامة بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ: يقول: بما كنتم تَجْحدونها في الدنيا, وتكذّبون بها.

الآية : 65

القول في تأويل قوله تعالى: {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىَ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ }.

يعني تعالى ذكره بقوله: الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أفْوَاهِهِمْ: اليوم نطبع على أفواه المشركين, وذلك يوم القيامة وَتُكَلّمُنا أيْدِيهِمْ بما عملوا في الدنيا من معاصي الله وَتَشْهَدُ أرْجُلُهُمْ قيل: إن الذي ينطق من أرجلهم: أفخاذهم من الرجل اليُسرى بَمَا كانُوا يَكْسِبُونَ في الدنيا من الآثام. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22358ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, قال: حدثنا يونس بن عبيد, عن حميد بن هلال, قال: قال أبو بردة: قال أبو موسى: يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة, فيعرض عليه ربّه عمله فيما بينه وبينه, فيعترف فيقول: نعم أي ربّ عملت عملت عملت, قال: فيغفر الله لهم ذنوبه, ويستره منها, فما على الأرض خليقة ترى من تلك الذنوب شيئا, وتبدو حسناته, فودّ أن الناس كلهم يرونها ويدَعى الكافر والمنافق للحساب, فيعرض عليه ربه عمله فيجحده, ويقول: أي ربّ, وعزّتك لقد كتب عليّ هذا الملك ما لم أعمل, فيقول له الملك: أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا؟ فيقول: لا وعزّتك أي ربّ, ما عملته, فإذا فعل ذلك ختم على فيه. قال الأشعري: فإني أحسب أوّل ما ينطق منه لفخذه اليمنى, ثم تلا: اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أفْوَاهِهِمْ وتُكَلّمُنا أيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أرْجُلُهُمْ بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ.

22359ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: ثني يحيى, عن أبي بكر بن عياش, عن الأعمش, عن الشعبيّ, قال: يقال للرجل يوم القيامة: عملت كذا وكذا, فيقول: ما عملت, فيختم على فيه, وتنطق جوارحه, فيقول لجوارحه: أبعدكنّ الله, ما خاصمت إلا فيكنّ.

22360ـ حدثنا بشر, قلا: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أفْوَاهِهِمْ... الآية, قال: قد كانت خصومات وكلام, فكان هذا آخره, وَخَتَمَ على أفْوَاهِهِمْ.

22361ـ حدثني محمد بن عوف الطائي, قال: حدثنا ابن المبارك, عن ابن عياش, عن ضمضم بن زرعة, عن شريح بن عبيد, عن عقبة بن عامر, أنه سمع النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: «أوّلُ شَيْءٍ يَتَكَلّمُ مِنَ الإنْسانِ, يَوْمَ يَخْتِمُ اللّهُ على الأفْوَاهِ, فَخِذُهُ مِنْ رِجْلِهِ اليُسْرَى».

الآية : 66 - 67

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىَ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُواْ الصّرَاطَ فَأَنّىَ يُبْصِرُونَ * وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىَ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُواْ مُضِيّاً وَلاَ يَرْجِعُونَ}.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: وَلَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا على أعْيُنِهِمْ فاسْتَبَقُوا الصّراطَ فقال بعضهم: معنى ذلك: ولو نشاء لأعميناهم عن الهدى, وأضللناهم عن قصد المَحَجّة. ذكر من قال ذلك:

22362ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـ يّ, عن ابن عبـ اس, قوله: وَلَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا عَلى أعْيُنِهِمْ يقول: أضللتهم وأعميتهم عن الهدى.

وقال آخرون: معنى ذلك: ولو نشاء لتركناهم عميا. ذكر من قال ذلك:

22363ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن أبي رجاء, عن الحسن, في قوله: وَلَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا عَلى أعْيُنِهِمْ فاسْتَبَقُوا الصّراطَ فَأنّى يُبْصِرُونَ قال: لو يشاء لطمس على أعينهم فتركهم عميا يتردّدون.

22364ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا على أعْيُنِهِمْ فاسْتَبَقُوا الصّرَاطَ فأنّى يُبْصِرُونَ يقول: لو شئنا لتركناهم عميا يتردّونه.

وهذا القول الذي ذكرناه عن الحسن وقتادة أشبه بتأويل الكلام, لأن الله إنما تهدّد به قوما كفارا, فلا وجه لأن يقال: وهم كفار, لو نشاء لأضللناهم وقد أضلهم, ولكنه قال: لو نشاء لعاقبناهم على كفرهم, فطمسنا على أعينهم فصيرّناهم عميا لا يبصرون طريقا, ولا يهتدون له والطّمْس على العين: هو أن لا يكون بين جفني العين غرّ, وذلك هو الشقّ الذي بين الجفنين, كما تطمس الريح الأثر, يقال: أعمى مطموس وطميس.

وقوله: فاسْتَبَقُوا الصّراطَ يقول: فابتدروا الطريق, كما:

22365ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فاسْتَبَقُوا الصّرَاطَ قال الطريق.

22366ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فاسْتَبَقُوا الصّراطَ: أي الطريق.

22367ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فاسْتَبَقُوا الصّراطَ قال: الصراط, الطريق.

وقوله: فَأنّى يُبْصِرُونَ يقول: فأيّ وجه يبصرون أن يسلكوه من الطرق, وقد طمسنا على أعينهم, كما:

22368ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فَأنّى يُبْصِرُون وقد طمسنا على أعينهم.

وقال الذين وجهوا تأويل قوله: وَلَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا على أعْيُنِهِمْ إلى أنه معنيّ به العَمَى عن الهدى, تأويل قوله: فَأنّى يُبْصِرُونَ: فأنى يهتدون للحقّ. ذكر من قال ذلك:

22369ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس فَأنّى يُبْصِرُونَ يقول: فكيف يهتدون.

22370ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس فَأنّى يُبْصِرُونَ يقول: لا يبصرون الحقّ.

وقوله: وَلَوْ نَشاءُ لَمَسَخْناهُمْ على مَكانَتِهِمْ يقول تعالى ذكره: ولو نشاء لأقعدنا هؤلاء المشركين من أرجلهم في منازلهم فَمَا اسْتَطاعُوا مُضِيّا وَلا يَرْجِعُونَ يقول: فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم, ولا أن يرجعوا وراءهم.

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم نحو الذي قلنا في ذلك. ذكر من قال ذلك:

22371ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن أبي رجاء, عن الحسن وَلَوْ نَشاءُ لَمَسَخْناهُمْ عَلى مَكانَتِهِمْ قال: لو نشاء لأقعدناهُمْ.

22372ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, حدثنا سعيد عن قتادة وَلَوْ نَشاءُ لَمَسَخْناهُمْ عَلى مَكانَتِهِمْ: أي لأقعدناهم على أرجلهم فَمَا اسْتَطاعُوا مُضِيّا وَلا يَرْجِعُونَ فلم يستطيعوا أن يتقدّموا ولا يتأخروا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولو نشاء لأهلكناهم في منازلهم. ذكر من قال ذلك:

22373ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَلَوْ نَشاءُ لَمَسَخْناهُمْ عَلى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطاعُوا مُضِيّا وَلا يَرْجِعُونَ يقول: ولو نشاء أهلكناهم في مساكنهم.

والمكانة والمكان بمعنى واحد. وقد بيّنا ذلك فيما مضى قبل.

الآية : 68 -70

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَن نّعَمّرْهُ نُنَكّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلاَ يَعْقِلُونَ * وَمَا عَلّمْنَاهُ الشّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مّبِينٌ * لّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّاً وَيَحِقّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وَمَنْ نُعَمّرْهُ فنمُدّ له في العمر نُنَكّسْهُ فِي الخَلْقِ نردّه إلى مثل حاله في الصبا من الهرم والكبر, وذلك هو النكس في الخلق, فيصير لا يعلم شيئا بعد العلم الذي كان يعلمه. وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22374ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قوله: وَمَنْ نُعَمّرْهُ نُنَكّسْهُ فِي الخَلْقِ يقول: من نَمُدّ له في العمر ننكسه في الخلق, لكيلا يعلم بعد علم شَيئا, يعني الهَرَم.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: نُنَكّسْهُ فقرأه عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: «نَنْكِسْهُ» بفتح النون الأولى وتسكين الثانية, وقرأته عامة قرّاء الكوفة: نُنَكّسْهُ بضم النون الأولى وفتح الثانية وتشديد الكاف.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قرّاء الأمصار, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب, غير أن التي عليها عامة قرّاء الكوفيين أعجبُ إليّ, لأن التنكيس من الله في الخلق إنما هو حال بعد حال, وشيء بعد شيء, فذلك تأييد للتشديد.

وكذلك اختلفوا في قراءة قوله: أفَلا يَعْقِلُونَ فقرأته قراء المدينة: «أفَلا تَعْقِلُونَ» بالتاء على وجه الخطاب. وقرأته قرّاء الكوفة بالياء على الخبر, وقراءة ذلك بالياء أشبه بظاهر التنزيل, لأن احتجاج من الله على المشركين الذين قال فيهم وَلَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا عَلى أعْيُنِهِمْ فإخراج ذلك خبرا على نحو ما خرج قوله: لَطَمَسْنا على أعْيُنِهِمْ أعجب إليّ, وإن كان الآخر غير مدفوع.

ويعني تعالى ذكره بقوله: أفَلا يَعْقِلُونَ: أفلا يعقل هؤلاء المشركون قُدْرة الله على ما يشاء بمعاينتهم ما يعاينون من تصريفه خلقه فيما شاء وأحبّ من صغر إلى كبر, ومن تنكيس بعد كبر في هرم.

وقوله: وَما عَلّمْناهُ الشّعْرَ وما يَنْبَغِي لَهُ يقول تعالى ذكره: وما علّمنا محمدا الشعر, وما ينبغي له أن يكون شاعرا. كما:

22375ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَما عَلّمْناهُ الشّعْرَ وَما يَنْبَغِي لَهُ قال: قيل لعائشة: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: كانت أبغض الحديث إليه, غير أنه كان يتمثّل ببيت أخي بني قيس, فيجعل آخره أوّله, وأوّله آخره, فقال له أبو بكر: إنه ليس هكذا, فقال نبيّ الله: «إنّي وَاللّهِ ما أنا بِشاعِرٍ, وَلا يَنْبَغِي لي».

وقوله: إنْ هُوَ إلاّ ذِكْرٌ يقول تعالى ذكره: ما هو إلا ذكر, يعني بقوله: إنْ هُوَ: أي محمد إلا ذكر لكم أيها الناس, ذكركم الله بإرساله إياه إليكم, وَنّبهكم به على حظكم وَقُرآنٌ مُبِينٌ يقول: وهذا الذي جاءكم به محمد قرآن مبين, يقول: يَبِين لمن تدبّره بعقل ولبّ, أنه تنزيل من الله أنزله إلى محمد, وأنه ليس بشعر ولا مع كاهن, كما:

22376ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وقُرآنٌ مُبِينٌ قال: هذا القرآن.

وقوله: لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيّا يقول: إن محمد إلا ذكر لكم لينذر منكم أيها الناس من كان حيّ القلب, يعقل ما يقال له, ويفهم ما يُبيّن له, غير ميت الفؤاد بليد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22377ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن رجل, عن أبي رَوْق, عن الضحاك, في قوله: لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيّا قال: من كان عاقلاً.

22378ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيّا: حيّ القلب, حيّ البصر.

قوله: وَيَحِقّ القَوْلُ على الكافِرِينَ يقول: ويحقّ العذاب على أهل الكفر بالله, المولّين عن اتباعه, المعرضين عما أتاهم به من عند الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22379ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَيحِقّ القَوْلُ على الكافِرِينَ بأعمالهم.

الآية : 71 -72

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنّا خَلَقْنَا لَهُم مِمّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: أوَ لَمْ يَرَ هؤلاء المشركون بالله الآلهة والأوثانَ أنّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمّا عَمِلَتْ أيْدِينا يقول: مما خلقنا من الخلق أنْعاما وهي المواشي التي خلقها الله لبني آدم, فسخّرها لهم من الإبل والبقر والغنم فَهُمْ لَهَا مالِكُونَ يقول: فهم لها مصرّفون كيف شاءوا بالقهر منهم لها والضبط, كما:

22380ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَهَمُ لَهَا مالِكُونَ: أي ضابطون.

22381ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أوَ لَمْ يَرَوْا أنّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمّا عَمِلَتْ أيْدِينا أنْعاما فَهُمْ لَهَا مالِكُونَ فقيل له: أهي الإبل؟ فقال: نعم, قال: والبقر من الأنعام, وليست بداخلة في هذه الآية, قال: والإبل والبقر والغنم من الأنعام, وقرأ: ثَمانِيَةَ أزْوَاجٍ قال: والبقر والإبل هي النعم, وليست تدخل الشاء في النعم.

وقوله: وَذَلّلْناها لَهُمْ يقول: وذللنا لهم هذه الأنعام فَمِنْها رَكُوبُهُمْ يقول: فمنها ما يركبون كالإبل يسافرون عليها يقال: هذه دابة ركوب, والرّكوب بالضمّ: هو الفعل وَمِنْها يأكُلونَ لحومها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22382ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَذَلّلْناها لَهُمْ فَمِنْها رَكُوبُهُمْ: يركبونها يسافرون عليها وَمِنْها يأكُلُونَ لحومها.

الآية : 73 -74

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلاَ يَشْكُرُونَ * وَاتّخَذُواْ مِن دُونِ اللّهِ آلِهَةً لّعَلّهُمْ يُنصَرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولهم في هذه الأنعام منافع, وذلك منافع في أصوافها وأوبارها وأشعارها باتخاذهم من ذلك أثاثا ومتاعا, ومن جلودها أكنانا, ومشارب يشربون ألبانها, كما:

22383ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ولَهُمْ فِيها مَنافِعُ يَلْبسونِ أصوافها وَمَشارِبُ يشربون ألبانها.

وقوله: أفَلا يَشْكُرُونَ يقول: أفلا يشكرون نعمتي هذه, وإحساني إليهم بطاعتي, وإفراد الألوهية والعبادة, وترك طاعة الشيطان وعبادة الأصنام.

قوله: واتّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ آلِهَةً يقول: واتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة يعبدونها لَعَلّهُمْ يُنْصَرُونَ يقول: طمعا أن تنصرهم تلك الآلهة من عقاب الله وعذابه.

الآية : 75 -76

القول في تأويل قوله تعالى: {لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مّحْضَرُونَ * فَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنّا نَعْلَمُ مَا يُسِرّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ }.

يقول تعالى ذكره: لا تستطيع هذه الآلهة نصرهم من الله إن أراد بهم سوءا, ولا تدفع عنهم ضرّا.

وقوله: وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ يقول: وهؤلاء المشركون لآلهتهم جند محضَرون.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: مُحْضَرُونَ وأين حضورهم إياهم, فقال بعضهم: عُني بذلك: وهم لهم جند محضرون عند الحساب. ذكر من قال ذلك:

22384ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ قال: عند الحساب.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وهم لهم جند محضَرون في الدنيا يغضبون لهم. ذكر من قال ذلك:

22385ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ الآلهة وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ والمشركون يغضَبون للآلهة في الدنيا, وهي لا تسوق إليهم خيرا, ولا تدفع عنهم سوءا, إنما هي أصنام.

وهذا الذي قاله قتادة أولى القولين عندنا بالصواب في تأويل ذلك, لأن المشركين عند الحساب تتبرأ منهم الأصنام, وما كانوا يعبدونه, فكيف يكونون لها جندا حينئذٍ, ولكنهم في الدنيا لهم جند يغضبون لهم, ويقاتلون دونهم.

وقوله تعالى: فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فلاَ يحْزُنْك يا محمد قول هؤلاء المشركين بالله من قومك لك: إنك شاعر, وما جئتنا به شعر, ولا تكذيبهم بآيات الله وجحودهم نبوّتك.

وقوله: إنّا نَعْلَمُ ما يُسِرّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ يقول تعالى ذكره: إنا نعلم أن الذي يدعوهم إلى قيل ذلك الحسد, وهم يعلمون أن الذي جئتهم به ليس

بشعر, ولا يشبه الشعر, وأنك لست بكذّاب, فنعلم ما يسرّون من معرفتهم بحقيقة ما تدعوهم إليه, وما يعلنون من جحودهم ذلك بألسنتهم علانية.

الآية : 77 -79

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مّبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الّذِيَ أَنشَأَهَآ أَوّلَ مَرّةٍ وَهُوَ بِكُلّ خَلْقٍ عَلِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: أوَ لَمْ يَرَ الإنْسانُ أنّا خَلَقْناهُ. واختُلِفَ في الإنسان الذي عُني بقوله: أوَ لَمْ يَرَ الإنْسانُ فقال بعضهم: عُني به أبّي بن خلف. ذكر من قال ذلك:

22386ـ حدثني محمد بن عُمارة, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي يحيى عن مجاهد, في قوله: مَنْ يُحْيِي العِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قال: أُبيّ بن خَلَف أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعَظْم.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَضَرَبَ لنَا مَثَلاً أُبيّ بن خلف.

22387ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: قالَ مَنْ يُحْيِي العِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ: ذُكر لنا أن أُبيّ بن خلف, أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظْم حائل, ففتّه, ثم ذرّاه في الريح, ثم قال: يا محمد من يحيي هذا وهو رميم؟ قال: «الله يحييه, ثم يُميته, ثم يُدخلك النار» قال: فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحد.

وقال آخرون: بل عُني به: العاص بن وائل السّهميّ. ذكر من قال ذلك:

22388ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا أبو بشر, عن سعيد بن جبير, قال: جاء العاص بن وائل السهميّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظْم حائل, ففتّه بين يديه, فقال: يا محمد أيبعث الله هذا حيا بعد ما أرمّ؟ قال: «نَعَمْ يَبْعَثُ اللّهُ هَذَا, ثُمّ يُمِيتُكَ ثُمّ يُحْيِيكَ, ثُم يُدْخِلُكَ نارَ جَهَنّم» قال: ونزلت الآيات: أوَ لَمْ يَرَ الإنْسانُ أنّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فإذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ..» إلى آخر الآية.

وقال آخرون: بل عُنِي به: عبد الله بن أُبيّ. ذكر من قال ذلك:

22389ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس أوَ لَمْ يَرَ الإنْسانُ أنّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ... إلى قوله: وَهِيَ رَمِيمٌ قال: جاء عبد الله بن أُبيّ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم بعظْم حائل فكسره بيده, ثم قال: يا محمد كيف يبعث الله هذا وهو رميم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَبْعَثُ اللّهُ هَذَا, ويُمِيتُكَ ثُمّ يُدْخِلُكَ جَهَنّمَ», فقال الله: قُلْ يُحْيِيها الّذِي أنشأها أوّلَ مَرّةٍ وَهُو بِكُلّ خَلْقٍ عَلِيمٌ.

فتأويل الكلام إذن: أو لم ير هذا الإنسان الذي يقول: مَنْ يُحْيِي العِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ أنا خلقناه من نطفة فسوّيناه خلقا سَوِيّا فإذَا هوَ خَصِيمٌ يقول: فإذا هو ذو خصومة لربه, يخاصمه فيما قال له ربه إني فاعل, وذلك إخبار لله إياه أنه مُحْيي خلقه بعد مماتهم, فيقول: مَنْ يحيي هذه العظام وهي رميم؟ إنكارا منه لقُدرة الله على إحيائها.

وقوله: مُبِينٌ يقول: يبين لمن سمع خُصومته وقيله ذلك أنه مخاصم ربه الذي خلقه. وقوله: وَضَرَبَ لنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ يقول: ومثّل لنا شبها بقوله: مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ إذ كان لا يقدر على إحياء ذلك أحد, يقول: فجعلنا كمن لا يقدر على إحياء ذلك من الخلق وَنَسِيَ خَلْقَهُ يقول: ونسي خلْقنَا إياه كيف خلقناه, وأنه لم يكن إلا نطفة, فجعلناها خلقا سَوِيّا ناطقا, يقول: فلم يفكر في خلقناه, فيعلم أن من خلقه من نطفه حتى صار بشرا سويا ناطقا متصرّفا, لا يعْجِز أن يعيد الأموات أحياء, والعظام الرّميم بشَرا كهيئتهم التي كانوا بها قبل الفناء يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ لهذا المشرك القائل لك: من يُحيي العظام وهي رميم يُحْيِيها الّذِي أنشأها أوّلَ مَرّةٍ يقول: يحييها الذي ابتدع خلْقها أوّل مرّة ولم تكن شيئا وَهُوَ بِكُلّ خَلْقٍ عَلِيمٌ يقول: وهو بجميع خلقه ذو علم كيف يميت, وكيف يحيي, وكيف يبدىء, وكيف يعيد, لا يخفى عليه شيء من أمر خلقه.

الآية : 80 -81

القول في تأويل قوله تعالى: {الّذِي جَعَلَ لَكُم مّنَ الشّجَرِ الأخْضَرِ نَاراً فَإِذَآ أَنتُم مّنْه تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الّذِي خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالأرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىَ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىَ وَهُوَ الْخَلاّقُ الْعَلِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة الّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشّجَرِ الأخْضَر نارا يقول: الذي أخرج لكم من الشجر الأخضر نارا تُحْرق الشجر, لا يمتنع عليه فعل ما أراد, ولا يعجز عن إحياء العظام التي قد رَمّت, وإعادتها بشَرا سويا, وخلقا جديدا, كما بدأها أوّل مرّة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22390ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة الّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشّجَرِ الأخْضَرِ نارا يقول: الذي أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر أن يبعثه.

قوله: فإذَا أنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ يقول: فإذا أنتم من الشجر توقدون النار وقال: مِنْهُ والهاء من ذكر الشجر, ولم يقل: منها, والشجر جمع شجرة, لأنه خرج مخرج الثمر والحصَى, ولو قيل: منها كان صوابا أيضا, لأن العرب تذكّر مثل هذا وتؤنّثه. وقوله: أوَ لَيْسَ الّذِي خَلَقَ السّمَوَاتِ والأرْضَ بِقادِرٍ عَلى أنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ يقول تعالى ذكره منبها هذا الكافر الذي قال: مَنْ يُحْيِي العِظامَ وَهيَ رَمِيمٌ على خطأ قوله, وعظيم جهله أوَ لَيْسَ الّذِي خَلَقَ السّمَوَات السبع والأرْضَ بقادِرٍ عَلى أنْ يَخْلُقَ مثلكم, فإن خلق مثلكم من العظام الرميم ليس بأعظم من خلق السموات والأرض. يقول: فمن لم يتعذّر عليه خلق ما هو أعظم من خلقكم, فكيف يتعذّر عليه إحياء العظام بعد ما قد رمّت وبَلِيَت؟ وقوله: بلَى وَهُوَ الخَلاّقُ العَلِيمُ يقول: بلى هو قادر على أن يخلق مثلهم وهو الخلاق لما يشاء, الفعّال لما يريد, العليم بكلّ ما خلق ويخلق لا يخفى عليه خافية.

الآية : 82 - 83

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّمَآ أَمْرُهُ إِذَآ أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }.

يقول تعالى ذكره: إنّـمَا أمْرهُ إذَا أرَادّ شَيْئا أنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَـيَكُونُ. وكان قتادة يقول فـي ذلك ما:

22391ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة أوَ لَـيْسَ الّذِي خَـلَقَ السَمَوَاتِ والأرْضَ بقادِرٍ عَلـى أنْ يَخْـلُقَ مِثْلَهُـمْ بَلـى وَهُـوَ الـخَلاّقُ العَلِـيـمُ قـال: هـذا مثـل إنــما أمـره إذا أراد شـيئا أن يقـول لـه كـن فـيكون, قال: لـيس من كلام العرب شـيء هـو أخـفّ مـن ذلـك, ولا أهـون, فأمر الله كذلك.

وقوله: فَسُبْحانَ الّذِي بِـيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلّ شَيْءٍ يقول تعالى ذكره: فتنزيـه الذي بـيده ملك كلّ شـيء وخزائنـه. وقـوله: وَإلَــيْهِ تُرْجَعُـونَ يقـول: وإلــيه تردّون وتصيرون بعد مـماتكم.

آخر تفسير سورة يس

سورة الصافات

سورة الصافـات مكية

وآياتها ثِنتانِ وثمانون ومائة

بسم الله الرحمَن الرحيـم

الآية : 1 - 3

القول فـي تأويـل قـوله تعالــى: {وَالصّـافّاتِ صَـفّا * فَـالزّاجِرَاتِ زَجْـراً * فَالتّالِيَاتِ ذِكْراً }.

قال أبو جعفر: أقسم الله تعالى ذكره بـالصّافـات, والزاجرات, والتالـيات ذكرا فأما الصّافـات: فإنها الـملائكة الصافـات لربها فـي السماء وهـي جمـع صافّة, فـالصافـات: جَمْعُ جَمْعٍ, وبذلك جاء تأويـل أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22392ـ حدثنـي سلْـم بن جنادة, قال: حدثنا أبو معاويـة, عـن الأعمـش, عن مسلـم, قال: كان مسروق يقول فـي الصّافّـات: هي الـملائكة.

22393ـ حدثنا إسحاق بن أبـي إسرائيـل, قال: أخبرنا النضر بن شميــل, قال: أخبرنا شُعْبة, عن سلـيـمان, قال: سمعت أبـا الضحى, عــن مسـروق, عن عبد الله, بـمثله.

22394ـ حدثنا بشر, قـال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة والصّافّــات صَفّــا قـال: قسـم أقسـم اللـه بخــلق, ثـم خــلق, ثـم خــلق, والصّافـات: الـملائكة صُفوفـا فـي السماء.

22395ـ حدثنـي مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, فـي قوله: والصّافّـاتِ قال: هم الـملائكة.

22396ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: والصّافّـاتِ صَفّـا قال: هذا قسم أقسم الله به.

واختلف أهل التأويـل فـي تأويـل قوله: فـالزّاجِرَاتِ زَجْرا فقـال بعضـهم: هي الـملائكة تزجُر السحاب تسوقه. ذكر من قال ذلك:

22397ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا

عن ابـن أبــي نــجيح, عـن مــجاهد, فــي قـوله: فــالزّاجِرَاتِ زَجْـرا: قـال: الـملائكة.
22398ـ حدثنـي مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, فـي قوله: فـالزّاجِرَاتِ زَجْرا قال: هم الـملائكة.
وقال آخرون: بل ذلك أي القرآن التـي زجر الله بها عما زَجر بها عنه فــي القرآن. ذكر من قال ذلك:
22399ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فـالزّاجِرَاتِ زَجْرا قال: ما زَجَر الله عنه فـي القرآن.
والذي هو أولـى بتأويـل الآية عندنا ما قال مـجاهد, ومن قال هم الـملائكة, لأن الله تعالـى ذكره, ابتدأ القسم بنوع من الـملائكة, وهم الصافون بإجمـاع من أهل التأويـل, فلأن يكون الذي بعد قسما بسائر أصنافهم أشبه.
وقوله: فـالتّالِـياتِ ذِكْرا يقول: فـالقارئات كتابـا.
واختلف أهل التأويـل فـي الـمعنـيّ بذلك, فقال بعضهم: هم الـملائكة. ذكر من قال ذلك:
22400ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد فـالتّالِـياتِ ذِكْرا قال: الـملائكة.
22401ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قـال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ فـالتّالِـياتِ ذِكْرا قال: هم الـملائكة.
وقال آخرون: هو ما يُتلـى فـي القرآن من أخبـار الأمـم قبلنا. ذكر من قال ذلك:
22402ـ حدثنا بشر, قـال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة فـالتّالـيات ذِكْرا قال: ما يُتلـى علـيكم فـي القرآن من أخبـار الناس والأمــم قبلكم.

الآية : 4 -10

القول فـي تأويـل قوله تعالـى {إِنّ إِلَـهَكُمْ لَوَاحِدٌ * رّبّ السّـمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبّ الْمَشَارِقِ * إِنّا زَيّنّا السّمَآءَ الدّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَـوَاكِبِ * وَحِفْظاً مّن كُلّ شَيْطَانٍ مّـارِدٍ * لاّ يَسّـمّعُونَ إِلَـىَ الْمَلإِ الأَعْلَـىَ وَيُقْـذَفُونَ مِـن كُـلّ جَانِبٍ * دُحُوراً وَلَهُمْ عَذابٌ وَاصِبٌ * إِلاّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَـأَتْبَعَهُ شِـهَابٌ ثَاقِبٌ }.
يعنـي تعالـى ذكره بقوله: إنّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ والصافـات صفـا إن معبودكم الذي يستوجب علـيكم أيها الناس العبـادة, وإخلاص الطاعة منكم لـه لواحـد لا ثانـي له ولا شريك. يقول: فأخـلصوا العبـادة وإياه فـأفردوا بــالطاعة, ولا تـجعلوا له فـي عبــادتكم إيـاه شـريكا. وقـوله: رَبّ السّـمَوَاتِ والأرْضِ وَمـا بَـيْنَهُما يقول: هـو واحـد خـالق السـموات السـبع ومـا بــينهما مـن الـخَــلق, ومالك ذلك كله, والقـيّــم علــى جميـع ذلـك, يقـول: فــالبعادة لا تصلــح إلا لـمن هذه صفته, فلا تعبدوا غيره, ولا تشركوا معه فـي عبـادتكم إيـاه مـن لا يضرّ ولا ينفع, ولا يخـلق شيئا ولا يُفْنـيه.
واختلف أهل العربـية فـي وجه رفع ربّ السموات, فقـال بعـض نـحويــيّ البصرة: رُفع علــى معنـى: إن إلهكـم لـربّ. وقـال غيـره: هـو رَدّ علــى إن إلهكم لواحد ثم فَسّر الواحـد, فقـال: ربّ السـموات, وهـو ردّ علــى واحـد.

وهذا القول عندي أشبه بالصواب في ذلك, لأن الخبر هو قوله: لَوَاحِدٌ, وقوله: رَبّ السّمَوَاتِ ترجمة عنه, وبيان مردود على إعرابه.

وقوله: وَرَبّ الـمَشارِقِ يقول: ومدبر مشارق الشمس في الشتاء والصيف ومغاربها, والقيّم على ذلك ومصلحه وترك ذكر المغارب لدلالة الكلام عليه, واستغني بذكر المشارق من ذكرها, إذ كان معلوما أن معها المغارب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22403ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إنّ إلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ وقع القسم على هذا إن إلهكم لواحد رَبّ السّمَوَاتِ والأرْضِ وَما بَيْنَهُما وَرَبّ الـمَشارِقِ قال: مشارق الشمس في الشتاء والصيف.

22404ـ حدثني محمد بن الحسين, قلا: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: رَبّ الـمَشارِقِ قال: المشارق ستون وثلاثُ مئة مَشْرِق, والمغارب مثلها, عدد أيام السنة.

وقوله: إنّا زَيَّنا السّماءَ الدّنيْا بزِينَةٍ الكَوَاكِبِ اختلفت القرّاء في قراءة قوله: بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة: «بزِينةِ الكواكبِ» بإضافة الزينة إلى الكواكب, وخفض الكواكب إنّا زَيّنّا السّماءَ الدّنيْا التي تليكم أيها الناس وهي الدنيا إليكم بتزيينها الكواكب: أي بأنّ زينتها الكواكب. وقرأ ذلك جماعة من قرّاء الكوفة: بِزِينَةٍ الكَوَاكبِ بتنوين زينة, وخفض الكواكبَ ردّا لها على الزينة, بمعنى: إنا زينا السماء الدنيا بزينة هي الكواكب, كأنه قال: زيناها بالكواكب. ورُوِي عن بعض قرّاء الكوفة أنه كان ينوّن الزّينة وينصب الكواكبَ, بمعنى: إنا زيّنا السماء الدنيا بتزييننا الكواكبَ. ولو كانت القراءة في الكواكب جاءت رفعا إذا نوّنت الزينة, لم يكن لحنا, وكان صوابا في العربية, وكان معناه: إنا زينا السماء الدنيا بتزيينها الكواكب: أي بأن زينتها الكواكب وذلك أن الزينة مصدر, فجائز توجيهها إلى أيّ هذه الوجوه التي وُصِفت في العربية.

وأما القراءة فأعجبها إليّ بإضافة الزينة إلى الكواكب وخفض الكواكب لصحة معنى ذلك في التأويل والعربية, وأنها قراءة أكثر قرّاء الأمصار, وإن كان التنوين في الزينة وخفض الكواكب عندي صحيحا أيضا. فأما النصب في الكواكب والرفع, فلا أستجيز القراءة بهما, لإجماع الحجة من القرّاء على خلافهما, وإن كان لهما في الإعراب والمعنى وجه صحيح.

وقد اختلف أهل العربية في تأويل ذلك إذا أضيفت الزينة إلى الكواكب, فكان بعض نحويّي البصرة يقول: إذا قرىء ذلك كذلك, فليس يعني بعضَها, ولكن زينتها حسنها وكان غيره يقول: معنى ذلك إذا قرىء كذلك: إنا زينا السماء الدنيا بأن زينتها الكواكب. وقد بيّنا الصواب في ذلك عندنا.

وقوله: وَحِفْظا يقول تعالى ذكره: وَحِفْظا للسماء الدنيا زيناها بزينة الكواكب.

وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب قوله: وَحِفْظا فقال بعض نحويي البصرة: قال وحفظا, لأنه بدل من اللفظ بالفعل, كأنه قال, وحفظناها حفظا. وقال بعض نحويي الكوفة: إنما هو من صلة التزيين أنا زينا السماء الدنيا حفظا لها, فأدخل الواو على التكرير: أي وزيناها حفظا لها, فجعله من التزيين وقد بيّنا القول فيه عندنا. وتأويل الكلام: وحفظا لها من كل شيطان عات خبيث زيناها, كما:

22405ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَحِفْظا يقول: جعلتها حفظا من كلّ شيطان مارد.

وقوله: لا يَسّمّعُونَ إلى المَلإِ الأعْلَى اختلفت القرّاء في قراءة قوله: لا يَسّمّعُونَ, فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة, وبعض الكوفيين: «لا يَسْمَعُونَ» بتخفيف السين من يسمعون, بمعنى أنهم يتسمّعون ولا يسمعون. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين بعد لا يسّمّعون بمعنى: لا يتسمعون, ثم أدغموا التاء في السين فشدّدوها.

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بالتخفيف, لأن الأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه, أن الشياطين قد تتسمع الوحي, ولكنها تُرمَى بالشهب لئلا تسمع. ذكر رواية بعض ذلك:

22406ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس, قال: كانت للشياطين مَقاعد في السماء, قال: فكانوا يسمعون الوحي, قال: وكانت النجوم لا تجري, وكانت الشياطين لا تُرمَى, قال: فإذا سمعوا الوحي نزلوا إلى الأرض, فزادوا في الكلمة تسعا قال: فلما بُعِثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الشيطانُ إذا قعد مقعده جاء شهاب, فلم يُخْطه حتى يحرقه, قال: فشكوا ذلك إلى إبليس, فقال: ما هو إلا لأمر حدث قال: فبعث جنوده, فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي بين جبلي نخلة قال أبو كُرَيب, قال وكيع: يعني بطن نخلة, قال: فرجعوا إلى إبليس فأخبروه, قال: فقال هذا الذي حدث.

حدثنا ابن وكيع وأحمد بن يحيى الصوفي قالا: حدثنا عبيد الله, عن إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس, قال: كانت الجنّ يصعدون إلى السماء الدنيا يستمعون الوحي, فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا, فأما الكلمة فتكون حقا, وأما ما زادوا فيكون باطلاً فلما بُعث النبيّ صلى الله عليه وسلم مُنِعوا مقاعدَهم, فذكروا ذلك لإبليس, ولم تكن النجوم يُرْمى بها قبل ذلك, فقال لهم إبليس: ما هذا إلا لأمر حدث في الأرض, فبعث جنوده, فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي, فأتوه فأخبروه, فقال: هذا الحدث الذي حدث.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن رجاء, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: كانت الجنّ لهم مقاعد, ثم ذكر نحوه.

22407ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا يونس بن بكير, قال: حدثنا محمد بن إسحاق, قال: ثني الزهريّ, عن عليّ بن الحسين, عن أبي إسحاق, عن ابن عباس, قال: حدثني رهط من الأنصار, قالوا: بينا نحن جلوس ذات ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم, إذ رأى كوكبا رُمي به, فقال: «ما تقولون في هذا الكوكب الذي يُرمَى به؟» فقلنا: يُولد مولود, أو يهلك هالك, ويموت ملك ويملك ملك, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ كَذَلكَ, ولكِنّ اللّهَ كانَ إذَا قَضَى أمْرا فِي السّماءِ سَبّحَ لِذَلِكَ حَمَلَةُ العَرْشِ, فَيُسَبّحُ لِتَسْبِيحِهِمْ مَنْ يَلِيهِمْ مِنْ تَحْتِهِمْ مِنَ المَلائِكَةِ, فَمَا يَزَالُونَ كذلكَ حتى يَنْتَهِيَ التّسْبِيحُ إلى السَّماءِ الدّنْيَا, فَيَقُولُ أهْلُ السّماءِ الدّنْيَا لِمَنْ يَلِيهِمْ مِنَ المَلائِكَةِ مِمّ سَبّحْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: ما نَدْرِي: سَمِعْنا

مَنْ فَوْقَنا مِنَ الـمَلائِكَةِ سَبّحُوا فَسَبّحْنا اللّهَ لتَسْبِيحِهِمْ ولكِنّا سَنَسأَلُ, فَيَسأَلُونَ مَنْ فَوْقَهُمْ, فَمَا يَزَالُونَ كَذلكَ حتى يَنْتَهِيَ إلى حَمَلَةِ العَرْشِ, فَيَقُولُونَ: قَضَى اللّهُ كَذَا وكَذَا, فَيُخْبِرُونَ بِهِ مَنْ يَلِيهِمْ حتى يَنْتَهُوا إلى السّماءِ الدّنيْا, فَتَسْتَرِقُ الجِنّ ما يَقُولُونَ, فَيَنْزِلُونَ إلى أوْلِيائِهِمْ مِنَ الإنْسِ فَيَلْقُونَهُ على ألْسِنَتِهِمْ بِتَوَهّمٍ مِنْهُمْ, فَيُخْبِرُونَهُمْ بِهِ, فَيَكُونَ بَعْضُهُ حَقًّا وَبَعْضُهُ كَذِبا, فَلَمْ تَزَلِ الجِنّ كذَلك حتى رُمُوا بِهذِهِ الشّهُبِ».

22408ـ حدثنا ابن وكيع وابن المثنى, قالا: حدثنا عبد الأعلى, عن معمر, عن الزهريّ, عن علي بن حسين, عن ابن عباس, قال بينما النّبِيّ صلى الله عليه وسلم في نفر من الأنصار, إذ رُمي بنجم فاستنار, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ما كُنْتُمْ تَقُولُونَ لِمِثْلِ هَذَا في الجاهِلِيّةِ إذَا رأيْتُمُوهُ؟» قالوا: كنا نقول: يموت عظيم أو يولد عظيم, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإنّهُ لا يُرْمَى بِهِ لِمَوْتِ أحَدٍ وَلا لِحَياتِهِ, وَلَكِنّ رَبّنا تَبارَكَ اسمُهُ إذَا قَضَى أمْرا سَبّحَ حَمَلَةُ العَرْشِ, ثُمّ سَبّحَ أهْلُ السّمّاءِ الّذِينَ يَلُونَهُمْ, ثُمّ الّذِينَ يَلُونَهُمْ حتى يَبْلُغَ التّسْبِيحُ أهْلَ هَذِهِ السّماءِ ثُمّ يَسأَلُ أهْلُ السّماءِ السابعة حمَلَة العرش: مَاذا قال ربنا؟ فيخبرونهم, ثم يستخبر أهل كل سماء, حتى يبلغ الخبر أهل السّماءِ الدّنيْا, وتَخْطِفُ الشّياطِينُ السّمْعَ, فَيرْمُونَ, فَيَقْذِفُونَهُ إلى أوْلِيائِهِم, فَمَا جاءُوا بِهِ على وَجْهِهِ فَهُوَ حَقّ, وَلَكِنّهُمْ يَزِيدُونَ».

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: أخبرنا معمر, قال: حدثنا ابن شهاب, عن عليّ بن حسين, عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في نّفَرٍ من أصحابه, قال: فرُمي بنجم, ثم ذكر نحوه, إلا أنه زاد فيه: قلتُ للزهري: أكان يُرْمى بها في الجاهلية؟ قال: نعم, ولكنها غلظت حين بُعث النبيّ صلى الله عليه وسلم.

22409ـ حدثني عليّ بن داود, قال: حدثنا عاصم بن عليّ, قال: حدثنا أبي عليّ بن عاصم, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس, قال: كان للجنّ مقاعد في السَماء يسمعون الوحي, وكان الوحي إذا أُوحِي سمعت الملائكة كهيئة الحديدة يُرْمى بها على الصّفْوان, فإذا سمعت الملائكة صلصلة الوحي خرّ لجباههم مَنْ في السماء من الملائكة, فإذا نزل عليهم أصحاب الوحي قالُوا ماذَا قالَ رَبّكُمْ قالُوا الحَقّ وَهُوَ العَلِيّ الكَبِيرُ قال: فيتنادون, قال: ربكم الحقّ وهو العليّ الكبير قال: فإذا أنزل إلى السماء الدنيا, قالوا: يكون في الأرض كذا وكذا موتا, وكذا وكذا حياة, وكذا وكذا جدوبة, وكذا وكذا خِصْبا, وما يريد أن يصنع, وما يريد أن يبتدىء تبارك وتعالى, فنزلت الجنّ, فأوحوا إلى أوليائهم من الإنس, مما يكون في الأرض, فبيناهم كذلك, إذ بعث الله النبيّ صلى الله عليه وسلم, فزجرت الشياطين عن السماء ورَمَوهم بكواكب, فجعل لا يصعُد أحد منهم إلا احترق, وفزع أهل الأرض لِمَا رأوا في الكواكب, ولم يكن قبل ذلك, وقالوا: هلك مَنْ في السماء, وكان أهل الطائف أوّل من فزع, فينطلق الرجل إلى إبله, فينحَر كلّ يوم بعيرا لآلهتهم, وينطلق صاحب الغنم, فيذبح كلّ يوم شاة, وينطلق صاحب البقر, فيذبح كلّ يوم بقَرة, فقال لهم رجل: ويْلَكم لا تُهْلكوا أموالكم, فإن معالمكم من الكواكب التي تهتدون بها لم يسقط منها شيء, فأقلعوا وقد أسرعوا في أموالهم. وقال إبليس: حدث في الأرض حدث, فأتي من كلّ أرض بتربة,

فجعل لا يؤتي بتربة أرض إلا شمها, فلما أتي بتربة تهامة قال: ههنا حدث الحدث, وصرف الله إليه نفرا من الجنّ وهو يقرأ القرآن, فقالوا: إنّا سَمِعْنا قُرآنا عَجَبا حتى ختم الآية, فولّوا إلى قومهم منذرين.

22410ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني ابن لهيعة, عن محمد بن عبد الرحمن, عن عُروة, عن عائشة أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنّ المَلائِكَةَ تَنْزِلُ فِي العَنان وَهُوَ السّحابُ فَتَذْكُرُ ما قُضِيَ فِي السّماءِ, فَتَسْتَرِقُ الشّياطِينُ السّمْعَ, فَتَسْمَعُهُ فَتُوحِيهِ إلى الكُهّانِ, فَيَكْذِبُونَ مَعَها مِئَةَ كِذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أنْفُسِهِمْ».

فهذه الأخبار تُنبىء عن أن الشياطين تسمع, ولكنها تُرْمى بالشهب لئلا تسمع. فإن ظنّ ظانّ أنه لما كان في الكلام «إلى», كان التسمع أولى بالكلام من السمع, فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظنّ, وذلك أن العرب تقول: سمعت فلانا يقول كذا, وسمعت إلى فلان يقول كذا, وسمعت من فلان.

وتأويل الكلام: إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب. وحفظا من كلّ شيطان مارد أن لا يسّمّع إلى الملإ الأعلى, فحذفت «إن» اكتفاء بدلالة الكلام عليها, كما قيل: كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به بمعنى: أن لا يؤمنوا به ولو كان مكان «لا» أن, لكان فصيحا, كما قيل: يُبَيّنُ اللّهُ لَكُمْ أنْ تَضِلّوا بمعنى: أن لا تضلوا, وكما قال: وألْقَى فِي الأرْضِ رَوَاسيَ أنْ تَمِيدَ بِكُمْ بمعنى: أن لا تميد بكم. والعرب قد تجزم مع «لا» في مثل هذا الموضع من الكلام, فتقول: ربطت الفرس لا يَنْفَلِتْ, كما قال بعض بني عُقَيل:

وَحتى رأيْنا أحْسَنَ الوُدّ بَيْنَنامُساكَنَةً لا يَقْرِفِ الشّرّ قارِفُ

ويُروي: لا يقرف رفعا, والرفع لغة أهل الحجاز فيما قيل: وقال قتادة في ذلك ما:

22411ـ حدثني بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة لا يَسّمّعُونَ إلى المَلإِ الأعْلَى قال: منعوها. ويعني بقوله: إلى المَلإِ: إلى جماعة الملائكة التي هم أعلى ممن هم دونهم.

وقوله: وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلّ جانِبٍ دُحُورا ويُرْمَوْن من كلّ جانب من جوانب السماء دُحُورا والدحور: مصدر من قولك: دَحَرْته أدحَرُه دَحْرا ودُحورا, والدّحْر: الدفع والإبعاد, يقال منه: ادْحَرْ عنك الشيطان: أي ادفعه عنك وأبعده. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22412ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلّ جانِبٍ دُحُورا قذفا بالشهب.

22413ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَيُقْذَفُونَ يُرمَوْن مِنْ كُلّ جانِبٍ قال: من كلّ مكان. وقوله: دُحُورا قال: مطرودين.

22414ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلّ جانبٍ دُحُورا قال: الشياطين يدحرون بها عن الاستماع, وقرأ وقال: «إلاّ مَنِ اسْتَرَقَ السّمْعَ فأتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ».

وقوله: ولَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ يقول تعالى ذكره: ولهذه الشياطين المسترِقة السمع عذاب من الله واصب.

واختلف أهل التأويل في معنى الواصب, فقال بعضهم: معناه: الموجع. ذكر من قال ذلك:
22415ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ قال: موجع.
22416ـ وحدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: عَذَابٌ وَاصِبٌ قال: الموجع.
وقال آخرون: بل معناه: الدائم. ذكر من قال ذلك:
22417ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد عن قتادة وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ: أي دائم.
22418ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: عَذَابٌ وَاصِبٌ قال: دائم.
22419ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ يقول: لهم عذاب دائم.
22420ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, عم ن ذكره, عن عكرمة ولَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ قال: دائم.
22421ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ قال: الواصب: الدائب.
وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من قال: معناه: دائم خالص, وذلك أن الله قال وَلَهُ الدّين وَاصِبا فمعلوم أنه لم يصفه بالإيلام والإيجاع, وإنما وصفه بالثبات والخلوص ومنه قول أبي الأسود الدؤلي:
لا أشْتَرِي الحَمْدَ القَلِيلَ بَقاؤُهُيَوْما بِذَمّ الدّهْر أجمَعَ وَاصِبا
أي دائما.
وقوله: إلاّ مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ يقول: إلا من استرق السمع منهم فأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ يعني: مضيء متوقد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
22422ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ من نار وثقوبه: ضوؤه.
22423ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: شِهابٌ ثاقِبٌ قال: شهاب مضيء يحرقه حين يُرْمى به.
22424ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فأَتْبَعَهُ شِهابٌ قال: كان ابن عباس يقول: لا يقتلون الشهاب, ولا يموتون, ولكنها تحرقهم من غير قتل, وتُخَبّل وتُخْدِج من غير قتل.
22425ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ قال: والثاقب: المستوقد قال: والرجل يقول: أَثْقِب نارك, ويقول: استثقِب نارك, استوقد نارك.
22426ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبيد الله, قال: سُئل الضحاك, هل للشياطين أجنحة؟ فقال: كيف يطيرون إلى السماء إلا ولهم أجنحة.

الآية : 11 -12

القول في تأويل قوله تعالى: {فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدّ خَلْقاً أَم مّنْ خَلَقْنَآ إِنّا خَلَقْنَاهُم مّن طِينٍ لاّزِبٍ * بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فاستفت يا محمد هؤلا المشركين الذي يُنكرون البعث بعد الممات والنشور بعد البلاء: يقول: فسَلْهم: أهم أشدّ خلقا؟ يقول: أخلقُهم أشدّ؟ أم يخلق من عددنا خلقه من الملائكة والشياطين والسموات والأرض؟.

وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله بن مسعود: «أهُمْ أشَدّ خَلْقا أمْ مَنْ عَدَدْنا»؟. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22427ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد أهُمْ أشَدّ خَلْقا أمْ مَنْ خَلَقْنا؟ قال: السموات والأرض والجبال.

22428ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, عن الضحاك أنه قرأ: «أهُمْ أشَدّ خَلْقا أمْ مَنْ عَدَدْنا»؟. وفي قراءة عبد الله بن مسعود «عَدَدْنا» يقول: رَبّ السّمَوَاتِ والأرْضِ وَما بَيْنَهُما وَرَبّ المَشارِقِ يقول: أهم أشدّ خلقا, أم السموات والأرض؟ يَقول: السموات والأرض أشَدّ خلقا منهم.

22429ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة «فاسْتَفْتِهِمْ أهُمْ أشَدّ خَلْقا أمْ مَنْ عَدَدْنا» من خَلْق السموات والأرض, قال الله: لَخَلَقُ السّمَواتِ والأرْضِ أكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النّاسِ... الآية.

22430ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ فاسْتَفْتِهِمْ أهُمْ أشَدّ خَلْقا قال يعني المشركين, سلهم أهم أشدّ خلقا أمْ مَنْ خَلَقْنا.

وقوله: إنّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ يقول: إنا خلقناهم من طين لاصق. وإنما وصفه جلّ ثناؤه باللّزوب, لأنه تراب مخلوط بماء, وكذلك خَلْق ابن آدم من تراب وماء ونار وهواء والتراب إذا خُلط بماء صار طينا لازبا, والعرب تُبدل أحيانا هذه الباء ميما, فتقول: طين لازم ومنه قول النجاشي الحارثي:

بَنَى اللّؤْمُ بَيْتا فاسْتَقَرّتْ عِمادُهُعليكُمْ بَنِي النّجّارِ ضَرْبَةَ لازِمِ

ومن اللازب قول نابغة بني ذُبيان:

وَلا يَحْسِبُونَ الخَيْرَ لا شَرّ بَعْدهُوَلا يَحْسَبُونَ الشّرّ ضَرْبَةَ لازِبِ

وربما أبدلوا الزاي التي في اللازب تاء, فيقولون: طين لاتب, وذُكر أن ذلك في قَيس زعم الفراء أن أبا الجرّاح أنشده:

صُدَاعٌ وَتَوْصِيمُ العِظام وَفَتْرَةٌوَغَثْيٌ معَ الإشْراقِ في الجوْفِ لاتِبَ

بمعنى: لازم, والفعل من لازب: لَزِبَ يَلْزُب, لزْبا ولُزوبا, وكذلك من لاتب: لَتَبَ يَلْتُب لُتُوبا. وبنحو الذي قلنا في معنى لازِبٍ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22431ـ حدثني عبيد الله بن يوسف الجُبَيري, قال: حدثنا محمد بن كثير, قال: حدثنا مسلم, عن مجاهد, عن ابن عباس, في قوله: مِنْ طِينٍ لازِبٍ قال: هو الطين الحرّ الجيد اللزج.

حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن, قالا: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن مسلم البطين, عن سعيد, عن ابن عباس, قال: اللازب: الجيد.
حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا عثمان بن سعيد, قال: حدثنا بشر بن عمارة, عن أبي رَوْق, عن الضحاك, عن ابن عباس قال: اللازب: اللّزج, الطيب.
22432ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: مِنْ طِينٍ لازِبٍ يقول: ملتصق.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: إنّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ قال: من التراب والماء فيصير طينا يَلْزَق.
22433ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن سماك, عن عكرمة, في قوله: إنّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ قال: اللازب: اللّزِج.
22434ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, عن الضحاك إنّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ واللازب: الطين الجيد.
22435ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال الله: إنّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ واللازب: الذي يَلْزَق باليد.
22436ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: مِنْ طِينٍ لازِبٍ قال: لازم.
22437ـ حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآمُلي, قال: حدثنا مروان بن معاوية, قال: حدثنا جُوَيبر, عن الضحاك, في قوله: مِن طِينٍ لازِبٍ قال: هو اللازق.
22438ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ قال: اللازب: الذي يلتصق كأنه غِراء, ذلك اللازب.
قوله: بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الكوفة: «بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ» بضم التاء من عجبت, بمعنى: بل عظم عندي وكبر اتخاذهم لي شريكا, وتكذيبهم تنزيلي وهم يسخرون. وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة بَلْ عَجِبْتَ بفتح التاء بمعنى: بل عجبت أنت يا محمد ويسخرون من هذا القرآن.
والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قرّاء الأمصار, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.
فإن قال قائل: وكيف يكون مصيبا القارىء بهما مع اختلاف معنييهما؟ قيل: إنهما وإن اختلف معناهما فكلّ واحد من معنييه صحيح, قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل, وسخْر منه أهل الشرك بالله, وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله, وَسخِر المشركون بما قالوه.
فإن قال: أكان التنزيل بإحداهما أو بكلتيهما؟ قيل: التنزيل بكلتيهما, فإن قال: وكيف يكون تنزيل حرف مرّتين؟ قيل: إنه لم ينزل مرّتين, إنما أنزل مرّة, ولكنه أمر صلى الله عليه وسلم أن يقرأ بالقراءتين كلتيهما, ولهذا مَوضع سنستقصي إن شاء الله فيه البيان عنه بما فيه الكفاية. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22439ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ قال: عجب محمد عليه الصلاة والسلام من هذا القرآن حين أعطيه, وسخر منه أهل الضلالة.

الآية : 13 -14

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا ذُكّرُواْ لاَ يَذْكُرُونَ * وَإِذَا رَأَوْاْ آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وإذا ذُكّر هؤلاء المشركون حُجَجَ الله عليهم ليعتبروا ويتفكروا, فينيبوا إلى طاعة الله لا يذكرون: يقول: لا ينتفعون بالتذكير فيتذكروا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22440ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَإِذَا ذُكّرُوا لا يَذْكُرُونَ: أي لا ينتفعون ولا يُبْصرون.

وقوله: وَإِذَا رأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ يقول: وإذا رأوا حُجّة من حجج الله عليهم, ودلالة على نبوّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم يستسخرون: يقول: يسخرون ويستهزئون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22441ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ: يسخرون منها ويستهزئون.

22442ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَإِذَا رَأَوْا آيَةٍ يَسْتَسْخِرُونَ قال: يستهزِئون, يَسْخَرون.

الآية : 15 -19

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالُوَاْ إِن هَـَذَآ إِلاّ سِحْرٌ مّبِينٌ * أَإِذَا مِتْنَا وَكُنّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَ آبَآؤُنَا الأوّلُونَ * قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ * فَإِنّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون من قُرَيش بالله لمحمد صلى الله عليه وسلم: ما هذا الذي جئتنا به إلاّ سحرٌ مبين. يقول: يبين لمن تأمله ورآه أنه سحر أئِذَا مِتْنا وكُنّا تُرَابا وَعِظاما أئِنّا لَمَبْعُوثُونَ يقولون, منكرين بعث الله إياهم بعد بلائهم: أئنا لمبعوثون أحياء من قبورنا بعد مماتنا, ومصيرنا ترابا وعظاما, قد ذهب عنها اللحوم أوَ آباؤُنا الاوّلُونَ الذين مضوا من قبلنا, فبادوا وهلكوا؟ يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء: نعم أنتم مبعوثون بعد مصيركم ترابا وعظاما أحياء كما كنتم قبل مماتكم, وأنتم داخرون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22443ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أئِذَا مِتْنا وكُنّا تُرَابا وَعِظاما أئِنّا لَمَبْعُوثُونَ أو آباؤُنا الأوّلُونَ تكذيبا بالبعث قُلْ نَعَمْ وأنْتُمْ داخِرُونَ.

وقوله: وأنْتُم داخِرُونَ يقول تعالى ذكره: وأنتم صاغرون أشدّ الصّغَر من قولهم: صاغر داخر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22444ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وأنْتُـمْ داخِرُونَ: أي صاغرون.
22445ـ حدثنـي مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, فـي قوله: وأنْتُـم دَاخِرُونَ قال: صاغرون.
وقوله: فإنّـما هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فإذَا هُمْ يَنْظُرُونَ يقول تعالـى ذكره: فإنـما هي صيحة واحدة, وذلك هو النفخ فـي الصور فإذَا هُمْ يَنْظُـرُونَ يقـول: فـإذا هم شاخصة أبصارهم ينظـرون إلــى مـا كـانوا يوعـدونه مـن قــيام السـاعة ويعاينونه, كما:
22446ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قـال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, فـي قوله: زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ قال: هي النفخة.

الآية : 20 -21

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَقَالُواْ يَوَيْلَنَا هَـذَا يَوْمُ الـدّينِ * هَــذَا يَـوْمُ الْفَصْلِ الّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذّبُونَ }.
يقول تعالـى ذكره: وقال هؤلاء الـمشركون الـمكذّبون إذا زجرت زجـرة واحدة, ونُفخ فـي الصور نفخة واحدة: يَا وَيْـلَنَا هَذَا يَوْمُ الـدّينِ يقولـون: هـذا يوم الـجزاء والـمـحاسبة. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكـر من قال ذلك:
22447ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عـن قتـادة هَـذَا يَوْمَ الدّينِ قال: يدين الله فـيه العبـاد بأعمالهم.
22448ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قـال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, فـي قوله: هَذَا يَوْمُ الدّينِ قال: يوم الـحساب.
وقوله: هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ الّذِي كُنْتُـمْ بِهِ تُكَذّبُونَ يقول تعالـى ذكره: هذا يوم فصل الله بـين خـلقه بـالعدل من قضائه الذي كنتـم به تكـذّبون فــي الدنــيا فتنكرونه. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
22449ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عـن قتـادة هَـذَا يَوْمُ الفَصْلِ الّذِي كُنْتُـمْ بِهِ تُكَذّبُونَ يعنـي: يوم القـيامة.
22450ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قـال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, فـي قوله: هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ قال: يوم يُقضى بـين أهل الـجنة وأهل النار.

الآية : 22 -23

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {احْشُرُواْ الّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىَ صِرَاطِ الْجَحِيمِ }.
وفـي هذا الكلام متروك استغنـي بدلالة ما ذُكر عما ترك, وهو: فــيقال: احشروا الذين ظلـموا, ومعنى ذلك اجمعوا الذين كفـروا بــالله فــي الدنــيا وعصوه وأزواجهم وأشياعهم علـى ما كانوا علـيه من الكفر بـالله ومـا كـانوا يعبـدون مـن دون اللـه م ن الآلهـة. وبنــحو الـذي قلنـا فــي ذلـك ق ال أهـل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
22451ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حـدثنا سفــيان, عن سماك بن حرب, عن النعمان بن بشير عن عمر بـن الــخطاب احْشُـرُوا الّذِينَ ظَلَـمُوا وأزْوَاجَهُمْ قال: ضُرَبـاءهم.
22452ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قـال: ثنــي معاويـة, عـن علـيّ, عن ابن عبـاس احْشُرُوا الّذِينَ ظَلَـمُوا وأزْوَاجَهُمْ يقول: نظراءهم.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: احْشَرُوا الّذِينَ ظَلَمُوا وأزْوَاجَهُمْ يعني: أتباعهم, ومن أشبههم من الظلمة.

22453ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن داود, قال: سألت أبا العالية, عن قول الله: احْشُرُوا الّذِينَ ظَلَمُوا وأزْوَاجَهُمْ وَما كانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ قال: الذين ظلموا وأشياعهم.

حدثنا ابن المثنى, قال: ثني عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عن أبي العالية, أنه قال في هذه الآية احْشُرُوا الّذِينَ ظَلَمُوا وأزْوَاجَهُمْ قال: وأشياعهم.

حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, قال: حدثنا داود, عن أبي العالية مثله.

22454ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: احْشُرُوا الّذِينَ ظَلَمُوا وأزْوَاجَهُمْ: أي وأشياعهم الكفار مع الكفار.

22455ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدّيّ, في قوله: احْشُرُوا الّذِينَ ظَلَمُوا وأزْوَاجَهُمْ قال: وأشباههم.

22456ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: احْشُرُوا الّذِينَ ظَلَمُوا وأزْوَاجَهُمْ قال: أزواجهم في الأعمال, وقرأ: وكُنْتُمْ أزْوَاجا ثَلاثَةً فَأصحَابُ المَيْمَنَةِ ما أصحَابُ المَيْمَنَةِ وأصحَابُ المَشأمَةِ ما أصحَابُ المَشْأمةِ وَالسّابِقُونَ السّابِقُونَ فالسابقون زوج وأصحاب الميمنة زوج, وأصحاب الشمال زوج, قال: كلّ من كان من هذا حشره الله معه. وقرأ: وَإذَا النّفُوسُ زُوّجَتْ قال: زوّجت على الأعمال, لكل واحد من هؤلاء زوج, زوّج الله بعض هؤلاء بعضا زوّج أصحاب اليمين أصحاب اليمين, وأصحاب الْمشأمة أصحابَ المشأمة, والسابقين السابقين, قال: فهذا قوله: احْشُرُوا الّذِينَ ظَلَمُوا وأزْوَاجَهُمْقال: أزواج الأعمال التي زوّجهن الله.

22457ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وأزْوَاجَهُمْ قال: أمثالهم.

وقوله: وَما كانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ فاهْدُوهُمْ إلى صِراطِ الجَحِيم يقول تعالى ذكره: احشروا هؤلاء المشركين وآلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله, فوجّهوهم إلى طريق الجحيم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22458ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَما كانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ الأصنام.

22459ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فاهدوهمْ إلى صِراطِ الجَحِيمِ يقول: وجّهوهم, وقيل: إن الجحيم الباب الرابع من أبواب النار.

الآية : 24 -27

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقِفُوهُمْ إنّهُمْ مّسْئُولُونَ * مَا لَكُمْ لاَ تَنَاصَرُونَ * بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ * وَأقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىَ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ}.

يقول تعالى ذكره: وَقِفُوهُمْ: احبسوهم: أي احبسوا أيها الملائكة هؤلاء المشركين الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم, وما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة إنّهُمْ مَسْئُولُونَ فاختلف أهل التأويل في المعنى الذي يأمر الله تعالى ذكره بوقفهم لمسألتهم عنه, فقال بعضهم: يسألهم هل يعجبهم ورود النار. ذكر من قال ذلك:

22460ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن سلمة بن كهيل, قال: حدثنا أبو الزعراء, قال: كنا عند عبد الله, فذكر قصة, ثم قال: يتمثل الله للخلق فيلقاهم, فليس أحد من الخلق كان يعبد مِن دون الله شيئا إلا وهو مرفوع له يتبعه قال: فيلقى اليهود فيقول: من تعبدون؟ فيقولون: نعبد عُزَيرا, قال: فيقول: هل يسرّكم الماء؟ فيقولون: نعم, فيريهم جهنم وهي كهيئة السّراب, ثم قرأ: وَعَرَضْنا جَهَنّمَ لِلْكافِرِينَ عَرْضا قال: ثم يلقى النصارَى فيقول: من تعبدون؟ فيقولون: المسيح, فيقول: هل يسرّكم الماء؟ فيقولون: نعم, فيريهم جهنم, وهي كهيئة السراب, ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيئا, ثم قرأ عبد الله وَقِفُوهُمْ إنّهُمْ مَسْئُولُونَ.

وقال آخرون: بل ذلك للسؤال عن أعمالهم. ذكر من قال ذلك:

22461ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا معتمر, عن ليث, عن رجل, عن أنس بن مالك, قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أيّمَا رَجُلٍ دَعا رَجُلاً إلى شَيْءٍ كانَ مَوْقُوفا لازِما بِهِ, لا يُغادِرُهُ, وَلا يُفارِقُهُ» ثُمّ قَرأ هَذِهِ الآيَةَ: وَقِفُوهُمْ إنّهُم مَسْئُولُونَ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وقفوا هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم إنهم مسئلون عما كانوا يعبدون من دون الله.

وقوله: مالَكُمْ لا تَناصَرُونَ يقول: مالكم أيها المشركون بالله لا ينصر بعضكم بعضا بَلْ هُمُ اليوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ يقول: بل هم اليوم مستسلمون لأمر الله فيهم وقضائه, موقنون بعذابه, كما:

22462ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ما لَكُمْ لا تَناصَرُونَ لا والله لا يتناصرون, ولا يدفع بعضهم عن بعض بَلْ هُمُ اليَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ في عذاب الله.

وقوله: وأقْبَلَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ قيل: معنى ذلك: وأقبل الإنس على الجنّ يتساءلون. ذكر من قال ذلك:

22463ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وأقْبَلَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ الإنسُ على الجنّ.

الآية : 28 -30

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُوَاْ إِنّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ * قَالُواْ بَلْ لّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْماً طَاغِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قالت الإنس للجنّ: إنكم أيها الجنّ كنتم تأتوننا من قِبَل الدين والحقّ فتخدعوننا بأقوى الوجوه واليمين: القوّة والقدرة في كلام العرب ومنه قول الشاعر:

إذَا ما رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقّاها عَرَابَةُ بالْيَمِينَ

يعني: بالقوّة والقدرة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22464ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: تَأْتُونَنَا عَنِ اليَمِينِ قال: عن الحقّ, الكفار تقوله للشياطين.

22465ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قالُوا إنّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنا عَنِ اليَمِينِ قال: قالت الإنس للجنّ: إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين, قال: من قبل الخير, فتنهوننا عنه, وتبطّئوننا عنه.

22466ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: إنّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنا عَنِ اليَمِينِ قال: تأتوننا من قبل الحقّ تزينون لنا الباطل, وتصدّوننا عن الحقّ.

22467ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: إنّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنا عَنِ اليَمِينِ قال: قال بنو آدم للشياطين الذين كفروا: إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين, قال: تحولون بيننا وبين الخير, ورددتمونا عن الإسلام والإيمان, والعمل بالخير الذي أمر الله به.

وقوله: قالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَما كانَ لَنا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ يقول تعالى ذكره: قالت الجنّ للإنس مجيبة لهم: بل لم تكونوا بتوحيد الله مُقِرّين, وكنتم للأصنام عابدين وَما كانَ لنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ يقول: قالوا: وما كان لنا عليكم من حُجّة, فنصدّكم بها عن الإيمان, ونحول بينكم من أجلها وبين اتباع الحقّ بَلْ كُنْتُمْ قَوْما طاغِينَ يقول: قالوا لهم: بل كنتم أيها المشركون قوما طاغين على الله, متعدّين إلى ما ليس لكم التعدّي إليه من معصية الله وخلاف أمره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22468ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: قالت لهم الجنّ: بَلْ لَمْ تَكونُوا مُؤْمِنِينَ حتى بلغ قَوْما طاغِينَ.

22469ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: وَما كانَ لنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ قال: الحجة... وفي قوله: بَلْ كُنْتُمْ قَوْما طاغِينَ قال: كفّار ضُلاّل.

الآية : 31 -34

القول في تأويل قوله تعالى: {فَحَقّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبّنَآ إِنّا لَذَآئِقُونَ * فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنّا كُنّا غَاوِينَ * فَإِنّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ * إِنّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: فحقّ علينا قول ربنا, فوجب علينا عذاب ربنا, إنا لذائقون العذاب نحن وأنتم بما قدّمنا من ذنوبنا ومعصيتنا في الدنيا فهذا خبر من الله عن قيل الجنّ والإنس, كما:

22470ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَحَقّ عَلَيْنا قَوْلُ رَبّنا... الآية, قال: هذا قول الجنّ.

وقوله: فأغْوَيْناكُمْ إنّا كُنّا غاوِينَ يقول: فأضللناكم عن سبيل الله والإيمان به إنا كنا ضالين وهذا أيضا خبر من الله عن قيل الجنّ والإنس, قال الله: فإنّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي العَذَابِ مُشْتَرِكُونَ يقول: فإن الإنس الذين كفروا بالله وأزواجهم, وما كانوا يعبدون من دون الله, والّذين أغْوَوا الإنس من الجنّ

يوم القيامة في العذاب مشتركون جميعا في النار, كما اشتركوا في الدنيا في معصية الله.
22471ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: فإنّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي العَذَابِ مُشْتَرِكُونَ قال: هم والشياطين.
إنّا كذلكَ نَفْعَلُ بالمُجْرِمِينَ يقول تعالى ذكره: إنا هكذا نفعل بـ الذين اختاروا معاصيَ الله في الدنيا على طاعته, والكفر به على الإيمان, فنذيقهم العذاب الأليم, ونجمع بينهم وبين قرنائهم في النار.

الآية : 35 -37

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّهُمْ كَانُوَاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَـهَ إِلاّ اللّـهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَإِنّا لَتَارِكُوَ آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مّجْنُونٍ * بَلْ جَآءَ بِالْحَقّ وَصَدّقَ الْمُرْسَلِينَ }.
يقول تعالى ذكره: وإن هؤلاء المشركين بالله الذين وصف صفتهم في هذه الآيات كانوا في الدنيا إذا قيل لهم: قولوا لا إلَه إلاّ اللّـهُ يَسْتَكْبِرُونَ يقول: يتعظّمون عن قِيل ذلك ويتكبرون وترك من الكلام قولوا, اكتفاء بدلالة الكلام عليه من ذكره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
22472ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: إذَا قِيلَ لَهُمْ لا إلَهَ إلاّ اللّـهُ يَسْتَكْبِرُونَ قال: يعني المشركين خاصّة.
22473ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّهُمْ كانُوا إذَا قِيلَ لَهُمْ لا إلَهَ إلاّ اللّـهُ يَسْتَكْبِرُونَ قال: قال عمر بن الخطاب: احْضُروا موتاكم, ولقنوهم لا إله إلا الله, فإنهم يرون ويسمعون.
وقوله: وَيَقُولُونَ أئِنّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المشركون من قريش: أنترك عبادة آلهتنا لشاعر مجنون؟ يقول: لاتّباع شاعر مجنون, يعنون بذلك نبّي الله صلى الله عليه وسلم, ونقول: لا إله إلا الله, كما:
22474ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَيَقُولُونَ آئِنّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم.
وقوله: بَلْ جاءَ بالحَقّ وهذا خبر من الله مكذّبا للمشركين الذين قالوا للنبيّ صلى الله عليه وسلم: شاعر مجنون, كذبوا, ما محمد كما وصفوه به من أنه شاعر مجنون, بل هو الله نبيّ جاء بالحقّ من عنده, وهو القرآن الذي أنزله عليه, وصدّق المرسلين الذين كانوا من قبله. وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
22475ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة بَلْ جاءَ بالحَقّ بالقرآن وَصَدّقَ المُرْسَلِينَ: أي صدّق من كان قبله من المرسلين.

الآية : 38 -41

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّكُمْ لَذَآئِقُو الْعَذَابِ الأليمِ * وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِلاّ عِبَادَ اللّهِ الْمُخْلَصِينَ * أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مّعْلُومٌ }.

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من أهل مكة, القائلين لمحمد: شاعر مجنون إنّكُمْ أيها المشركون لَذائِقُوا العَذَابِ الأليمِ الموجع في الآخرة وَما تُجْزَوْنَ يقول: وما تُثابون في الآخرة إذا ذقتم العذاب الأليم فيها إلاّ ثواب ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ في الدنيا, معاصِيَ الله. وقوله: إلاّ عِبادَ اللّهِ المُخْلَصِينَ يقول: إلا عباد الله الذين أخلصهم يوم خلقهم لرحمته, وكتب لهم السعادة في أمّ الكتاب, فإنهم لا يذوقون العذاب, لأنهم أهل طاعة الله, وأهل الإيمان به.

22476ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إلاّ عِبادَ اللّهِ المُخْلَصِينَ قال: هذه ثَنِية الله.

وقوله: أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ يقول: هؤلاء هم عباد الله المخلَصون لهم رزق معلوم وذلك الرزق المعلوم: هو الفواكه التي خلقها الله لهم في الجنة, كما:

22477ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ في الجنة.

22478ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: أُولئكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ قال: في الجنة.

الآية : 42 -47

القول في تأويل قوله تعالى: {فَوَاكِهُ وَهُم مّكْرَمُونَ * فِي جَنّاتِ النّعِيمِ * عَلَىَ سُرُرٍ مّتَقَابِلِينَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مّن مّعِينٍ * بَيْضَآءَ لَذّةٍ لّلشّارِبِينَ * لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ }.

قوله فَوَاكِهُ ردّا على الرزق المعلوم تفسيرا له, ولذلك رفعت. وقوله: وَهُمْ مُكْرَمُونَ يقول: وهم مع الذي لهم من الرزق المعلوم في الجنة, مكرمون بكرامة الله التي أكرمهم الله بها فِي جَنّاتِ النّعِيمِ يعني: في بساتين النعيم على سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ يعني: أن بعضهم يقابل بعضا, ولا ينظر بعضهم في قفا بعض. وقوله: يُطافُ عَلَيْهِمْ بكأسٍ مِنْ مَعِينٍ يقول تعالى ذكره: يطوف الخدم عليهم بكأس من خمر جارية ظاهرة لأعينهم غير غائرة, كما:

22479ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة يُطافُ عَلَيْهِمْ بكأسٍ مِنْ مَعِينٍ قال: كأس من خمر جارية, والمعين: هي الجارية.

22480ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا سفيان, عن سلمة بن نبيط, عن الضحاك بن مزاحم, في قوله: بكأسٍ مِنْ مَعِينٍ قال: كلّ كأس في القرآن فهو خمر.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الله بن داود, عن سلمة بن نبيط, عن الضحاك بن مزاحم, قال: كل كأس في القرآن فهو خمر.

22481ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: بكأسٍ مِن مَعِينٍ قال: الخمر. والكأس عند العرب: كلّ إناء فيه شراب, فإن لم يكن فيه شراب لم يكن كأسا, ولكنه يكون إناء.

وقوله: بَـيْضَاءَ لَذّةٍ للشّارِبِـينَ يعنـي بـالبـيضاء: الكأس, ولتأنــيث الكـأس أنثـت البــيضاء, ولــم يقـل أبــيض, وذُكـر أن ذلـك فــي قـراءة عبـد اللـه: «صفراء».

22482ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسبـاط, عـن السـديّ, فــي قـوله: بَـيْضَاءَ قـال السـديّ: فــي قـراءة عبـد اللـه: «صفراء».

وقوله: لَذّةٍ للشّارِبِـينَ يقول: هذه الـخمر لذّة يـلتذّها شاربوها.

وقوله: لا فِـيها غَوْلٌ يقول: لا فـي هذه الـخمر غَوْل, وهو أن تغتال عقولهم يقول: لا تذهب هذه الـخمر بعقول شاربـيها, كما تذهب بها خمور أهل الدنـيا إذا شربوها فأكثروا منها, كما قال الشاعر:

وَما زَالَتِ الكأسُ تَغْتالُنَاوَتَذْهَبُ بـالأَوّلِ الأَوّلِ

والعرب تقول: لـيس فـيها غيـلة وغائلة وغَوْل بـمعنى واحد ورفع غَوْل ولـم ينصب بلا لدخول حرف الصفة بـينها وبـين الغول, وكذلك تفعل العـرب فــي التبرئة إذا حالت بـين لا والاسم بحرف مـن حـروف الصفــات رفعـوا الاسـم ولـم ينصبوه, وقد يحتـمل قوله: لا فِـيها غَوْلٌ أن يكون معنـيا به: لـيس فـيها ما يؤذيهم من مكروه, وذلك أن العرب تقول للرجل يصاب بـأمر مكـروه, أو يُنال بداهية عظيـمة: غالَ فلانا غُولٌ. وقد اختلف أهـل التأويــل فــي تأويــل ذلك, فقال بعضهم: معناه: لـيس فـيها صُداع. ذكر من قال ذلك:

22483ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قـال: ثنــي معاويـة, عـن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: لا فِـيها غَوْلٌ يقول: لـيس فـيها صُداع.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لـيس فـيها أذًى فتشكّي منه بطـونهم. ذكـر من قال ذلك:

22484ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس لا فِـيها غَـوْلٌ قـال: هـي الــخمر لــيس فـيها وجع بطن.

22485ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد قوله: لا فِـيها غَوْلٌ قال: وجع بطن.

22486ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد فــي قوله: لا فِـيها غَـوْلٌ قـال: الغـول مـا يوجـع البطـون, وشـارب الــخمر ههنـا يشتكي بطنه.

22487ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة لا فِـيها غَوْلٌ يقول: لـيس فـيها وجع بطن, ولا صُداع رأس.

وقال آخرون: معنى ذلك: أنها لا تغول عقولهم. ذكر من قال ذلك:

22488ـ حدثنـي مـحمد بـن الــحسين, قـال: حـدثنا أحمـد, قـال: حـدثنا أسبـاط, عن السديّ لا فِـيها غَوْلٌ قال: لا تغتال عقولهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لـيس فـيها أذًى ولا مكـروه. ذكـر مـن قـال ذلك:

22489ـ حُدثت عن يحيى بن زكريا بن أبــي زائـدة, عـن إسرائيــل, عـن سالـم الأفطس, عن سعيد بن جُبَـير, فـي قوله: لا فِـيها غَـوْلٌ قـال: أذًى ولا مكروه.

حدثنا محمد بن سنان القزّاز, قال: حدثنا عبد الله بن بزيعة, قال: أخبرنا إسرائيل, عن سالم, عن سعيد بن جُبَير, في قوله: لا فِيها غَوْلٌ قال: ليس فيها أذًى ولا مكروه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ليس فيها إثم.

ولكلّ هذه الأقوال التي ذكرناها وجه, وذلك أن الغَوْل في كلام العرب: هو ما غال الإنسان فذهب به, فكلّ من ناله أمر يكرهه ضربوا له بذلك المثل, فقالوا: غالت فلانا غول, فالذاهب العقل من شرب الشراب, والمشتكي البطن منه, والمصدّع الرأس من ذلك, والذي ناله منه مكروه كلهم قد غالته غُول.

فإذا كان ذلك كذلك, وكان الله تعالى ذكره قد نفى عن شراب الجنة أن يكون فيه غَوْل, فالذي هو أولى بصفته أن يقال فيه كما قال جلّ ثناؤه لا فِيها غَوْلٌ فيعمّ بنفي كلّ معاني الغَوْل عنه, وأعمّ ذلك أن يقال: لا أذى فيها ولا مكروه على شاربيها في جسم ولا عقل, ولا غير ذلك.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله وَلا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة يُنْزَفُونَ بفتح الزاي, بمعنى: ولا هم عن شربها تُنْزَف عقولهم. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: «وَلا هُمْ عَنْها يُنْزِفُونَ» بكسر الزاي, بمعنى: ولا هم عن شربها يَنْفَد شرابهم.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى غير مختلفتيه, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب وذلك أن أهل الجنة لا ينفد شرابهم, ولا يُسكرهم شربهم إياه, فيُذهِب عقولَهم.

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك, فقال بعضهم: معناه: لا تذهب عقولهم. ذكر من قال ذلك:

22490ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس وَلا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ يقول: لا تذهب عقولهم.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَلا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ قال: لا تُنْزَف فتذهب عقولهم.

22491ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَلا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ قال: لا تذهب عقولهم.

22492ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: وَلا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ قال: لا تُنْزَف عقولهم.

22493ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ قال: لا تُنْزِف العقول.

22494ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَلا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ قال: لا تغلبهم على عقولهم.

وهذا التأويل الذي ذكرناه عمن ذكرنا عنه لم تفصّل لنا رَواته القراءة الذي هذا تأويلها, وقد يحتمل أن يكون ذلك تأويل قراءة من قرأها يَنْزِفُونَ ويُنْزَفُون كلتيهما, وذلك أن العرب تقول: قد نُزِف الرجل فهو منزوف: إذا ذهب عقله من السكر, وأنْزَف فهو مُنْزِف, محكية عنهم اللغتان كلتاهما في ذهاب العقل من السكر وأما إذا فَنِيت خمر القوم فإني لم أسمع فيه

إلا أنزَفَ القومُ بـالألف, ومن الإنزاف بـمعنى: ذهاب العقل من السكر, قول الأبَـيرد:
لَعَمْرِي لَئِنْ أنْزَفْتُـمُوا أوْ صَحَوْتُـمُلِئْسَ النّدامَى كنْتُـمُ آلَ أبْجَرَا

الآية : 48 -50

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطّـرْفِ عِيـنٌ * كَـأَنّهُنّ بَيْضٌ مّكْنُونٌ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىَ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ }.
يقول تعالـى ذكره: وعند هؤلاء الـمخْـلَصين من عبـاد اللـه فـي الـجنة قاصرات الطرف, وهنّ النساء اللواتـي قَصَرْن أطرافهنّ علـى بُعُـولتهنّ, لا يُرِدْن غيرهم, ولا يَـمْدُدْن أبصارهنّ إلـى غيرهم. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلـك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
22495ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قـال: ثنـي معاويـة, عـن علّـي, عـن ابـن عبـاس وَعِنْـدَهُمْ قاصِـرَاتُ الطّـرْفِ عِيـنٌ يقـول: عـن غيـر أزواجهنّ.
22496ـ حدثنـي مـحم بن عمـرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد وَعِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطّرْفِ عِينٌ قـال: علـى أزواجهن زاد الـحارث فـي حديثه: لا تبغي غيرهم.
22497ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, فـي قوله: وَعِنْدَهُمْ قاصِـرَاتُ الطّـرْفِ قـال: قَصَـرْن أبصـارهنّ وقلوبهنّ علـى أزواجهن, فلا يُردن غيرهم.
حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد, قال: حـدثنا أسبــاط, عـن السديّ, قال: ذُكر أيضا عن منصور, عن مـجاهد, مثله.
22498ـ حدثنا بشر, قـال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة وَعِنْدَهُمْ قاصِرَاتُ الطّرْفِ قال: قَصَرْن طرفهـنّ علــى أزواجهـنّ, فلا يُـردْن غيرهم.
22499ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قول الله قاصِراتُ الطّـرْفِ قـال: لا ينظـرن إلا إلــى أزواجهـنّ, قـد قَصَـرْن أطرافهنّ علـى أزواجهنّ, لـيس كما يكون نساء أهل الدنـيا.
وقوله: عِينٌ يعنـي بــالعِين: النّــجْلَ العيـون عِظامهـا, وهـي جمـع عينـاء, والعيناء: الـمرأة الواسعة العين عظيـمتها, وهي أحسن ما تكون من العيون. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
22500ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, فـي قوله: عِينٌ قال: عظام الأعين.
22501ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: عِينٌ قال: العَيناء: العظيـمة العين.
22502ـ حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بـن وهـب, قـال: حـدثنا مــحمد بـن الفرج الضّدَفـي الدّمْياطيّ, عن عمرو بن هاشم, عن ابن أبـي كريــمة, عـن هشام بن حسان, عن أبـيه, عن أمّ سلـمة زوج النبـيّ صلى الله عليه وسـلم أنها قالت: قلت: يا رسـول اللـه أخبرنــي عـن قـول اللـه: حُـورٌ عِيـنٌ قـال: «العِينُ: الضّخامُ العُيُونِ شُفْرُ الـحَوْرَاءِ بِـمَنْزِلَةِ جَناحِ النّسْرِ».

وقوله: كأنّهُنّ بَـيضٌ مَكْنُونٌ اختلف أهل التأويـل فـي الذي بـه شـبهن مـن البـيض بهذا القول, فقال بعضهم: شبهن ببطن البــيض فــي البــياض, وهـو الذي داخـل القِشْر, وذلك أن ذلك لـم يـمسّه شيء. ذكر من قال ذلك:

22503ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يـمان, عن أشعث, عن جعفـر, عن سعيد بـن جُبَـير, فــي قـوله: كـأنّهُنّ بَـيضٌ مَكْنُـونٌ قـال: كـأنهن بطْـن البـيض.

22504ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمـد بـن مفضـل, قـال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ كأنّهُنّ بَـيضٌ مَكْنُونٌ قال: البـيض حين يُقْشر قبـل أن تـمسّه الأيدي.

22505ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة كأنّهُنّ بَـيضٌ مَكْنُونٌ لـم تـمرّ به الأيدي ولـم تـمسه, يشبهن بـياضه.

وقال آخرون: بل شبهن بـالبـيض الذي يحضنه الطائر, فهو إلـى الصـفرة, فشبه بـياضهنّ فـي الصفرة بذلك. ذكر من قال ذلك:

22506ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: كأنّهُنّ بَـيضٌ مكْنونٌ قال: البـيض الذي يُكنه الريش, مثل بـيض النعـام الذي قد أكنه الريش من الريح, فهو أبـيض إلـى الصّفْرة فكأنه يُـبرُقُ, فـذلك الـمكنون.

وقال آخرون: بل عنى بـالبـيض فـي هذا الـموضع: اللؤلؤ, وبه شبهن فـي بـياضه وصفـائه. ذكر من قال ذلك:

22507ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قـال: ثنــي معاويـة, عـن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: كأنّهُنّ بَـيضٌ مَكْنُونٌ يقول: اللؤلؤ الـمكنون.

وأولـى الأقوال فـي ذلـك بــالصواب عنـدي قـول مـن قـال: شـبهن فــي بـياضهن, وأنهنّ لـم يـمسّهنّ قبـل أزواجهـنّ إنـس ولا جـانّ ببــياض البــيض الذي هو داخـل القشر, وذلك هو الـجلدة الـمُلْبَسة الـمُـحّ قبل أن تـمسه يـد أو شيء غيرها, وذلك لا شكّ هو الـمكنون فأما القشـرة العلــيا فـإن الطـائر يــمسها, والأيـدي تبــاشرها, والعُـشّ يــلقاها. والعـرب تقـول لكـلّ مصـون مكنون ما كان ذلك الشيء لؤلؤا كان أو بـيضا أو متاعا, كما قال أبو دَهْبَل:

وَهْيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لُؤْلُؤَةِ الغَوّاصِ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ

وتقول لكلّ شيء أضمرته الصدور: أكنته, فهو مُكنّ. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

22508ـ حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بـن وهـب, قـال: حـدثنا مــحمد بـن الفرج الصّدَفـي الدّمياطيّ, عن عمرو بن هاشم عن ابن أبــي كريــمة, عـن هشام, عن الـحسن, عن أمه, عن أمّ سلـمة قلتُ: يا رسـول اللــه أخبرنــي عن قوله كأنّهُنّ بَـيْضٌ مَكْنُون قال: «رِقّتُهُنّ كَرِقّةِ الـجِلْدَةِ الــتي رأيْتَهـا فِــي داخِـلِ البَـيْضَة التـي تَلِـي القِشْرَ وَهِيَ الغِرْقـيءُ».

وقوله: فأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ علـى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ يقـول تعالــى ذكـره: فأقبـل بعض أهل الـجنة علـى بعض يتساءلون, يقول: يسأل بعضهم بعضا. كما:

22509ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فأَقْبَلَ بَعْضَهُمْ علـى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ أهل الـجنة.

22510ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: فأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ علـى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ قال: أهل الـجنة.

الآية : 51 -53

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ قَآئِلٌ مّنْهُمْ إِنّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ أَإِنّكَ لَمِنَ الْمُصَدّقِينَ * أَإِذَا مِتْنَا وَكُنّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنّا لَمَدِينُونَ }.

يقول تعالى ذكره: قال قائل من أهل الجنة إذ أقبل بعضهم على بعض يتساءلون: إني كانَ لي قَرِينٌ فاختلف أهل التأويل في القرين الذي ذُكر في هذا الموضع, فقال بعضهم: كان ذلك القرين شيطانا, وهو الذي كان يقول له: أَئِنّكَ لَمِنَ الْمُصَدّقِينَ بالبعث بعد الممات. ذكر من قال ذلك:

22511ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله: إنّي كانَ لي قَرِينٌ قال: شيطان. وقال آخرون: ذلك القرين شريك كان له من بني آدم أو صاحب. ذكر من قال ذلك:

22512ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ إنّي كانَ لِي قَرِينٌ يقول أَئِنّكَ لَمِنَ الْمُصَدّقِينَ قال: هو الرجل المشرك يكون له الصاحب في الدنيا من أهل الإيمان, فيقول له المشرك: إنك لتُصدّق بأنك مبعوث من بعد الموت أئذا كنا ترابا؟ فلما أن صاروا إلى الآخرة وأدخل المؤمُن الجنة, وأدخل المشرك النار, فاطلع المؤمن, فرأى صاحبه في سَواء الجحيم قَالَ تَاللّهِ إنْ كِدْتَ لُتردِينِ.

22513ـ حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد, قال: عتاب بن بشير, عن خَصيف, عن فُرات بن ثعلبة البهراني في قوله: إنّي كانَ لِي قَرِينٌ قال: إن رجلين كانا شريكين, فاجتمع لهما ثمانية آلاف دِينار, وكان أحدهما له حرفة, والآخر ليس له حرفة, فقال الذي له حرفة للآخر: ليس لك حرفة, ما أراني إلا مفارقك ومُقاسمك, فقاسمه وفارقه ثم إن الرجل اشترى دارا بألف دينار كانت لملك قد مات فدعا صاحبه فأراه, فقال: كيف ترى هذه الدار ابتعُتها بألف دينار؟ قال: ما أحسنها فلما خرج قال: اللهمّ إن صاحبي هذا قد ابتاع هذه الدار بألف دينار, وإني أسألك دارا من دور الجنة, فتَصَدّقَ بألف دينار ثم مكث ما شاء الله أن يمكث, ثم إنه تزوّج امرأة بألف دينار, فدعاه وصنع له طعاما فلما أتاه قال: إني تزوّجت هذه المرأة بألف دينار قال: ما أحسن هذا فلما انصرف قال: يا ربّ إن صاحبي تزوّج امرأة بألف دينار, وإني أسألك امرأة من الحُور العين, فتصدّق بألف دينار ثم إنه مكث ما شاء الله أن يمكث, ثم اشترى بستانين بألفي دينار, ثم دعاه فأراه, فقال: إني ابتعت هذين البستانين, فقال: ما أحسن هذا فلما خرج قال: يا ربّ إن صاحبي قد اشترى بساتين بألفي دينار, وأنا أسألك بستانين من الجنة, فتصدّق بألفي دينار ثم إن الملك أتاهما فتوفّاهما ثم انطلق بهذا المتصدّق فأدخله دارا تعجبه, فإذا امرأة تطلع يضيء ما تحتها من حُسنها, ثم أدخله بستانين, وشيئا الله به عليم, فقال عند ذلك: ما أشبه هذا برجل كان من أمره كذا وكذا. قال: فإنه ذاك, ولك هذا المنزل والبستانان والمرأة. قال: فإنه كان لي صاحب يقول: أَئِنّكَ لَمِنَ الْمُصَدّقِينَ قيل له: فإنه من الجحيم, قال: فهل أنتم مُطّلِعون؟ فاطّلَع فرآه في سواء الجحيم, فقال عند ذلك: تاللّهِ إنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ... الآيات..

وهذا التأويل الذي تأوّله فرات بن ثعلبة يقوّي قراءة من قرأ «إنّكَ لَمِنَ المُصَدّقِينَ» بتشديد الصاد بمعنى: لمن المتصدقين, لأنه يذكر أن الله تعالى ذكره إنما أعطاه ما أعطاه على الصدقة لا على التصديق, وقراءة قرّاء الأمصار على خلاف ذلك, بل قراءتها بتخفيف الصاد وتشديد الدال, بمعنى: إنكار قرينه عليه التصديق أنه يبعث بعد الموت, كأنه قال: أتصدّق بأنك تبعث بعد مماتك, وتُجْزَى بعملك, وتحاسَب؟ يدل على ذلك قول الله: أئِذَا مِتْنا وكُنّا تُرَابا وَعِظاما أئِنّا لَمَدِينونَ وهي القراءة الصحيحة عندنا التي لا يجوز خِلافُها لإجماع الحجة من القرّاء عليها.

وقوله: أئِنّا لَمَدِينُونَ يقول: أئنا لمحاسبون ومجزيّون بعد مصيرنا عظاما ولحومنا ترابا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22514ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: أئِنّا لَمَدِينُونَ يقول: أئنا لمجازوْن بالعمل, كما تَدِين تُدان.

22515ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أئِنّا لَمَدينُونَ: أئنا لمحاسبون.

22516ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ أئِنّا لَمَدينُونَ محاسبون.

الآية : 54 -57

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ هَلْ أَنتُمْ مّطّلِعُونَ * فَاطّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَآءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللّهِ إِن كِدتّ لَتُرْدِينِ * وَلَوْلاَ نِعْمَةُ رَبّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قال هذا المؤمن الذي أُدخل الجنة لأصحابه: هل أنتم مُطّلِعون في النار, لعليّ أرى قريني الذي كان يقول لي: إنك لمن المصَدّقين بأنا مبعوثون بعد المَمات. وقوله: فاطّلَعَ فَرآهُ فِي سَوَاءِ الجَحِيمِ يقول: فاطلع في النار فرآه في وَسَط الجحيم. وفي الكلام متروك اَستغني بدلالة الكلام عليه من ذكره, وهو فقالوا: نعم. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: فاطّلَعَ فَرآهُ فِي سَوَاءِ الجَحِيمِ قال: أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22517ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فِي سَوَاءِ الجَحِيمِ يعني: وفي وَسَط الجحيم.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس فِي سِواءِ الجَحِيمِ يعني: في وسط الجحيم.

22518ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا عباد بن راشد, عن الحسن, في قوله: فِي سَواءِ الجَحِيمِ يقول: في وسط الجحيم.

حدثنا ابن سنان, قال: حدثنا عبد الصمد, قال: حدثنا عباد بن راشد, قال: سمعت الحسن, فذكر مثله.

22519ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا سليمان بن حرب, قال: حدثنا أبو هلال, قال: حدثنا قتادة, في قوله: سَوَاءِ الجَحِيمِ قال: وَسَطها.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: هَلْ أنْتُمْ مُطّلِعُونَ قال: سأل ربه أن يطلعه, قال فأطّلَعَ فَرآهُ فِي سَوَاءِ الجَحِيمِ: أي في وسط الجحيم.
22520ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن خليد العصري, قال: لولا أن الله عرّفه إياه ما عرفه, لقد تغيّر حِبْرُه وسِبْرُه بعده, وذُكر لنا أنه اطلع فرأى جماجم القوم, فقال: تاللّهِ إنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبّي لَكُنْتُ مِنَ المُحْضَرِينَ.
22521ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا إبراهيم بن أبي الوزير, قال: حدثنا سفيان بن عيينة, عن سعيد بن أبي عروبة, عن قتادة, عن مطرّف بن عبد الله, في قوله: فاطّلَعَ فَرآهُ فِي سَوَاءِ الجَحِيمِ قال: والله لولا أنه عرّفه ما عرفه, لقد غيرت النار حِبْرَهُ وسِبْره.
22522ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: هَلْ أنْتُمْ مُطّلِعُونَ قال: كان ابن عباس يقرؤها: «هَلْ أنْتُمْ مُطّلِعُونِي فاطّلَعَ فَرآهُ فِي سَوَاءِ الجَحِيم» قال: في وسط الجحيم.
وهذه القراءة التي ذكرها السديّ, عن ابن عباس, أنه كان يقرأ في مُطّلِعُونَ إن كانت محفوظة عنه, فإنها من شواذّ الحروف, وذلك أن العرب لا تؤثر في المكني من الأسماء إذا اتصل بفاعل على الإضافة في جمع أو توحيد, لا يكادون أن يقولوا أنت مُكَلّمني ولا أنتما مكلماني ولا أنتم مكلموني ولا مكلموننى, وإنما يقولون أنت مكلّمي, وأنتما مكلماي, وأنتم مكلّميّ وإن قال قائل منهم ذلك قاله على وجه الغلط توهما به: أنت تكلمني, وأنتما تكلماننى, وأنتم تكلموننى, كما قال الشاعر:
وَما أدْرِي وَظَنّي كُلّ ظَنّأَمُسْلِمُنِي إلى قَوْمِي شَرَاحِي؟
فقال: مسلمني, وليس ذلك وجه الكلام, بل وجه الكلام أمسلمي فأما إذا كان الكلام ظاهرا ولم يكن متصلاً بالفاعل, فإنهم ربما أضافوا, وربما لم يضيفوا, فيقال: هذا مكلم أخاك, ومكلم أخيك, وهذان مكلما أخيك, ومكلمان أخاك, وهؤلاء مكلمو أخيك, ومكلمون أخاك وإنما تختار الإضافة في المكني المتصل بفاعل لمصير الحرفين باتصال أحدهما بصاحبه, كالحرف الواحد.
وقوله: تاللّهِ إنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ يقول: فلما رأى قرينه في النار قال: تالله إن كدت في الدنيا لتهلكني بصدّك إياي عن الإيمان بالبعث والثواب والعقاب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
22523ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ قوله: إنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ قال: لتهلكني, يقال منه: أردَى فلان فلانا: إذا أهلكه, ورديَ فلانٌ: إذا هلك, كما قال الأعشى.
أفِي الطّوْفِ خِفْتِ عَلَيّ الرّدَىوكَمْ مِنْ رَدٍ أهْلَهُ لَمْ يَرِمْ
يعني بقوله «وكم من رد»: وكم من هالك.

وقوله: وَلَوْلا نَعْمَةُ رَبّي لَكُنْتُ مِنَ الـمُـحْضَرِينَ يقول: ولولا أن اللـه أنعـم علـيّ بهـدايته, والتوفـيق للإيـمان بـالبعث بعـد الـموت, لكنـتُ مـن الـمحضَرِين معك فـي عذاب الله, كما:

22524ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة لَكُنْتُ مِنَ الـمُـحْضَرِينَ: أي فـي عذاب الله.

22525ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, قوله: لَكُنْتُ مِنَ الـمُـحْضَرِينَ قال: من الـمعذّبـين.

الآية : 58 -61

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {أَفَمَا نَحْنُ بِمَيّتِينَ * إِلاّ مَوْتَتَنَا الأُولَـى وَمَـا نَحْنُ بِمُعَذّبِينَ * إِنّ هَـذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِمِثْلِ هَـذَا فَلْيَعْمَـلِ الْعَـامِلُونَ }.

يقول تعالـى ذكره مخبرا عن قـيـل هذا الـمؤمن الـذي أعطـاه اللـه مـا أعطاه من كرامته فـي جنته سرورا منه بـما أعطاه فـيها أفمَا نَـحْنُ بِـمَيّتِـينَ إلاّ مَوْتَتَنا الأُولـى يقول: أفما نـحن بـميتـين غير موتتنا الأولــى فــي الدنــيا, وَما نَـحْنُ بِـمُعَذّبِـينَ يقول: وما نـحن بـمعذّبـين بعد دخولنا الـجنة إنّ هَذا لَهُوَ الفَوْزُ العَظِيـمُ يقول: إن هذا الذي أعطاناه الله من الكرامة فـي الـجنة, أنـا لا نعذّب ولا نـموت, لهو النّـجاء العظيـم مـما كنـا فـي الدنـيا نـحذر مـن عقاب الله, وإدراك ما كنا فـيها, نؤمل بإيـماننا, وطاعتنا ربنا, كما:

22526ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد عن قتادة, قوله: أَفَمَا نَـحْنُ بِـمَيّتِـينَ... إلـى قوله: الفَوْزُ العَظِيـمُ قال: هذا قول أهل الـجنة.

وقوله: لِـمِثْلِ هَذَا فَلْـيَعْمَلِ العامِلُونَ يقول تعالـى ذكره: لـمثل هـذا الـذي أَعْطَيتُ هؤلاء الـمؤمنـين مـن الكرامـة فــي الآخـرة, فلـيعمل فــي الدنــيا لأنفسهم العاملون, لـيدركوا ما أدرك هؤلاء بطاعة ربهم.

الآية : 62 -66

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {أَذَلِكَ خَيْـرٌ نّـزُلاً أَمْ شَـجَرَةُ الزّقّـوم * إِنّـا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لّلظّالِمِينَ * إِنّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيَ أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَـأَنّهُ رُءُوسُ الشّيَاطِينِ * فَإِنّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: أهذا الذي أعطيت هؤلاء الـمؤمنـين الـذين وصـفت صفتهم من كرامتــي فـي الـجنة, ورزقتهـم فــيها مـن النعيــم خيـر, أو مـا أعددت لأهل النار من الزّقّوم. وعُنِـي بـالنزل: الفضـل, وفــيه لغتـان: نُـزُل ونُزْل يقال للطعام الذي له ريع: هو طعام له نُزْل ونُـزُل. وقـوله: أَمْ شَـجَرَةُ الزّقّومِ ذكر أن الله تعالـى لـما أنزل هذه الآية قال الـمشركون: كيف ينبــتُ الشـجرَ فــي النـار, والنـار تُــحْرق الشـجر؟ فقـال اللـه: إنّـا جَعَلْناهـا فِتْنَـةً للظّالِـمِينَ يعنــي لهـؤلاء الــمشركين الـذين قـالوا فــي ذلـك مـا قـالوا, ثـم أخبرهم بصفة هذه الشجرة فَقالَ إنّها شَـجَرَةٌ تَـخْرُجُ فِــي أَصْـلِ الـجَحِيــمِ. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22527ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أذلـكَ خَيْرٌ نُزُلاً أمْ شَجَرَةُ الزّقّومِ حتـى بلـغ فِـي أصْـلِ الـجَحِيــمِ قـال: لــما ذكـر شجرة الزقوم افتتن الظَلَـمة, فقـالوا: ينـبئكم صـاحبكم هـذا أن فــي النـار شجرة, والنار تأكل الشجر, فأنزل الله ما تسمعون: إنها شجرة تـخرج فــي أصل الـجحيـم, غُذِيت بـالنار ومنها خُـلقت.

22528ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: قال أبو جهل: لما نزلت إنّ شَجَرَةَ الزّقّومِ قال: تعرفونها في كلام العرب: أنا آتيكم بها, فدعا جارية فقال: ائتيني بتمر وزُبْد, فقال: دونكم تَزَقّموا, فهذا الزّقوم الذي يخوّفكم به محمد, فأنزل الله تفسيرها: أذلكَ خَيْرٌ نُزُلاً أمْ شَجَرَةُ الزّقّومِ إنّا جَعَلْناها فِتْنَةً للظّالِمِينَ قال: لأبي جهل وأصحابه.

22529ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: إنّا جَعَلْناها فِتْنَةً للظّالِمينَ قال: قول أبي جهل: إنما الزّقوم التمر والزبد أتَزَقّمه.

وقوله: طَلْعُها كأنّهُ رُؤُوسُ الشّياطِين يقول تعالى ذكره: كأن طلع هذه الشجرة, يعني شجرة الزقوم في قُبحه وسماجته رؤوس الشياطين في قُبحها.

وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «إنّها شَجَرَةٌ نابِتَةٌ فِي أصْلِ الجَحِيمِ», كما:

22530ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: طَلْعُها كأنّهُ رُءُوسُ الشّياطِينُ قال: شبهه بذلك.

فإن قال قائل: وما وجه تشبيهه طلع هذه الشجرة برؤوس الشياطين في القبح, ولا علم عندنا بمبلغ قبح رؤوس الشياطين, وإنما يمثّل الشيء بالشيء تعريفا من المُمَثّل المُمَثّل له قربُ اشتباه الممثّل أحدهما بصاحبه مع معرفة المُمَثّل له الشيئين كليهما, أو أحدَهما, ومعلوم أن الذين خوطبوا بهذه الآية من المشركين, لم يكونوا عارفين شَجَرة الزقوم, ولا برؤوس الشياطين, ولا كانوا رأوهما, ولا واحدا منهما؟.

قيل له: أما شجرة الزقوم فقد وصفها الله تعالى ذكره لهم وبينها حتى عرفوها ما هي وما صفتها, فقال لهم: شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أصْلِ الجَحِيمِ طَلْعُها كأنّهُ رُؤُوسُ الشّياطِين فلم يتركهم في عَماء منها. وأما في تمثيله طلعها برؤوس الشياطين, فأقول لكلّ منها وجه مفهوم: أحدها أن يكون مثل ذلك برؤوس الشياطين على نحو ما قد جرى به استعمال المخاطبين بالآية بينهم وذلك أن استعمال الناس قد جرى بينهم في مبالغتهم إذا أراد أحدهم المبالغة في تقبيح الشيء, قال: كأنه شيطان, فذلك أحد الأقوال. والثاني أن يكون مُثّل برأس حية معروفة عند العرب تسمى شيطانا, وهي حية لها عُرْف فيما ذُكر قبيح الوجه والمنظر, وإياه عنى الراجز بقوله:

عَنْجَرِدٌ تَحْلِفُ حِينَ أحْلِفُكمِثْلِ شَيْطانِ الحَماطِ أعْرَفُ

ويروى عُجَيّزٌ. والثالث: أن يكون مثل نبت معروف برؤوس الشياطين ذُكِر أنه قبيح الرأس فإنّهُمْ لآكِلُونَ مِنْها فَمالِئُونَ منها البُطُونَ يقول تعالى ذكره: فإن هؤلاء المشركين الذين جعل الله هذه الشجرة لهم فتنة, لآكلون من هذه الشجرة التي هي شجرة الزّقوم, فمالئون من زَقّومها بطونهم.

الآية : 67 -70

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ إنّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ * ثُمّ إنّ مَرْجِعَهُمْ لإلَى الْجَحِيمِ * إنّهُمْ ألْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالّينَ * فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ثُمّ إنّ لَهُمْ عَلَيْها لَشَوْبا مِنْ حَمِيمٍ ثم إن لهؤلاء المشركين على ما يأكلون من هذه الشجرة الزقوم شَوْبا, وهو الخَلْط من قول العرب: شاب فلان طعامه فهو يشوبه شَوْبا وشيابا مِنْ حَمِيمٍ والحميم: الماء المحموم, وهو الذي أُسخْن فانتهى حرّه, وأصله مفعولٌ صُرف إلى فعيل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22531ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: ثُمّ إنّ لَهُمْ عَلَيْها لَشَوْبا مِنْ حَمِيمٍ. يقول: لَمَزْجا.

22532ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: ثُمّ إنّ لَهُمْ عَلَيْها لَشوْبا مِنْ حَمِيمٍ يعني: شرب الحميم على الزّقوم.

22533ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ثُمّ إنّ لَهُمْ عَلَيْها لَشَوْبا مِنْ حَمِيمٍ قال: مِزاجا من حميم.

22534ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السّديّ ثُمّ إنّ لَهُمْ عَلَيْها لَشَوْبا مِنْ حَمِيمٍ قال: الشّوب: الخَلْط, وهو المَزْج.

22535ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: ثُمّ إنّ لَهُمْ عَلَيْها لَشَوْبا مِنْ حَمِيمٍ قال: حميم يُشاب لهم بغسّاق مما تَغْسِقُ أعينهم, وصديد من قيحهم ودمائهم مما يخرج من أجسادهم.

وقوله: ثُمّ إنّ مَرْجِعَهُمْ لإلَى الجَحِيمِ يقول تعالى ذكره: ثم إن مآبهم ومصيرهم لإلى الجحيم, كما:

22536ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ثُمّ إنّ مَرْجِعَهُمْ لإلَى الجَحِيمِ فهم في عنا وعذاب من نار جهنم, وتلا هذه الآية: يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبينَ حَمِيمٍ آنٍ.

22537ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السدّي, في قوله: ثُمّ إنّ مَرْجِعَهُم لإلَى الجَحِيمِ قال: في قراءة عبد الله: «ثُمّ إنّ مُنْقَلَبَهُمْ لإلَى الجَحِيمِ» وكان عبد الله يقول: والذي نفسي بيده, لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يَقِيلَ أهلُ الجنة في الجنة, وأهلُ النار في النار, ثم قال: أصحَابُ الجَنّةِ يَوْمَئِذٍ خَيُرٌ مُسْتَقَرّا وأحْسَنُ مَقِيلاً.

22538ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ثُمّ إنّ مَرْجِعَهُمْ لإلَى الجَحِيمِ قال: موتهم.

وقوله: إنّهُمْ ألْفَوْا آباءَهُمْ ضَالينَ يقول: إن هؤلاء المشركين الذين إذا قيل لهم: قولوا لا إله إلا الله يستكبرون, وجدوا آباءهم ضُلاّلاً عن قصد السبيل, غير سالكين مَحَجّة الحقّ فَهُمْ على آثارِهِمْ يُهْرَعُونَ يقول: فهؤلاء يُسْرع بهم في طريقهم, ليقتفوا آثارهم وسنتهم يقال منه: أهْرِع فلان: إذا سار سيرا حثيثا فيه شبه بالرعدة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22539ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس قوله: إنّهُمْ ألْفَوْا آباءَهُمْ ضَالّينَ: أي وجدوا آباءهم ضالّين.

22540ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّهُمْ ألْفَوْا آباءَهُمْ: أي وجدوا آباءهم.
وبنحو الذي قلنا في يُهْرَعون أيضا, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
22541ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فَهُمْ على آثارِهِمْ يُهْرَعُونَ قال: كهيئة الهرْوَلة.
22542ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَهُمْ على آثارِهِمْ يُهْرَعُونَ: أي يُسرعون إسراعا في ذلك.
22543ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: يُهْرَعُونَ قال: يُسْرِعون.
22544ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يُهْرَعُونَ إلَيْهِ قال: يستعجلون إليه.

الآية : 71 - 74

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ ضَلّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأوّلِينَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مّنذِرِينَ * فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ * إِلاّ عِبَادَ اللّهِ الْمُخْلَصِينَ }. يقول تعالى ذكره: ولقد ضلّ يا محمد عن قصد السبيل وَمحجة الحقّ قبل مشركي قومك من قريش أكثر الأمم الخالية مِن قبلهم وَلَقَدْ أرْسَلْنا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ يقول: ولقد أرسلنا في الأمم التي خلت من قبل أمتك, ومن قبل قومك المكذّبيك منذرين تنذرهم بأسنا على كفرهم بنا, فكذّبوهم ولم يقبلوا منهم نصائحهم, فأحللنا بهم بأسنا وعقوبتنا فانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُنْذَرِينَ يقول: فتأمل وتبين كيف كان غِبّ أمر الذين أنذَرْتهم أنبياؤنا, وإلاَمَ صار أمرهم, وما الذي أعقبهم كفرهم بالله, ألم نهلكهم فنصيرهم للعباد عِبرة ولمن بعدهم عظة؟.
وقوله: إلاّ عِبادَ اللّهِ المُخْلَصِينَ يقول تعالى: فانظر كيف كان عاقبة المنذَرين, إلا عباد الله الذين أخلصناهم للإيمان بالله وبرسله واستثنى عباد الله من المنذَرين, لأن معنى الكلام: فانظر كيف أهلكنا المنذَرين إلا عباد الله المؤمنين, فلذلك حسن استثناؤهم منهم. وبنحو الذي قلنا في قوله: إلاّ عِبادَ اللّهِ المُخْلَصِينَ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
22545ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: إلاّ عِبادَ اللّهِ المُخْلَصِينَ قال: الذين استخلَصهم الله.

الآية : 75 - 77

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرّيّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ }.
يقول تعالى ذكره: لقد نادانا نوح بمسألته إيانا هلاك قومه, فقال: رَبّ إنّي دَعَوْتُ قَوْمي لَيْلاً ونهارا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائي إلاّ فِرَارا... إلى قوله: رَبّ لا تَذَرْ على الأرْضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيّارا. وقوله: فَلَنِعْمَ المُجِيبُونَ يقول: فلنعم المجيبون كنا له إذ دعانا, فأجبنا له دعاءه, فأهلكنا قومه وَنَجّيْناهُ وأهْلَهُ يعني: أهل نوح الذين ركبوا معه السفينة. وقد ذكرناهم فيما مضى قبل, وبيّنا اختلاف العلماء في عددهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22546ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ولَقَـدْ نادَانا نُوحٌ فَلَنَعْمَ الـمُـجِيبُونَ قال: أجابه الله.
وقوله: مِنَ الكَرْبِ العَظِيـمِ يقول: من الأذى والـمكروه الذي كان فـيه من الكافرين, ومن كرب الطّوفـان والغرق الذي هلك به قوم نوح, كما:
22547ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضّل, قـال: حدثنا أسبـاط عن السديّ وَنــجّيْناهُ وأهْلَـهُ مِـنَ الكَـرْبِ العَظِيــمِ قـال: مـن الغرق.
وقوله: وَجَعَلْنا ذُرّيّتَهُ هُمُ البـاقِـينَ يقول: وجعلنا ذرّية نوح هـم الـذين بقـوا فـي الأرض بعد مَهْلَك قومه, وذلك أن الناس كلهم من بعد مَهْلَـك نـوح إلــى الـيوم إنـما هـم ذرّيـة نـوح, فــالعجم والعـرب أولاد سـام بـن نـوح, والـترك والصقالبة والـخَزَر أولاد يافث بن نوح, والسودان أولاد حام بن نـوح, وبـذلك جاءت الآثار, وقالت العلـماء.
22548ـ حدثنا مـحمد بن بشار, قال: حدثنا ابن عَثْمة, قال: حـدثنا سـعيد بن بشير, عن قتادة, عن الـحسن, عن سَمُرة, عن النبــيّ صـلى اللـه عليـه وسلم, فـي قوله: وَجَعَلْنا ذُرّيّتَهُ هُمُ البـاقِـينَ قال: «سام وحام ويافث».
22549ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, فــي قوله: وَجَعَلْنا ذُرّيّتَهُ هُمُ البـاقِـينَ قال: فـالناس كلهم من ذرية نوح.
22550ـ حدثنا علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـي, عن ابن عبـاس, فـي قوله: وَجَعَلْنا ذُرّيّتَهُ هُمُ البـاقِـينَ يقول: لـم يبق إلا ذريةُ نوح.

الآية : 78 - 82

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَتَرَكْنَا عَلَيْـهِ فِـي الآخِرِيـنَ * سَـلاَمٌ عَلَـىَ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ * إِنّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُــؤْمِنِينَ * ثُمّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ }.
يعنـي تعالـى ذكره بقوله: وَتَرَكْنا عَلَـيْهِ فِـي الآخِرِينَ وأبقـينا علـيه, يعنـي علـى نوح ذكرا جميلاً, وثناء حسنا فـي الآخِرين, يعنــي: فـيــمن تـأخّر بعـده من الناس يذكرونه به. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
22551ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قـال: ثنــي معاويـة, عـن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: وَتَرَكْنا عَلَـيْهِ فِـي الآخِرِينَ يقول: يُذْكَر بخير.
22552ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عـن مـجاهد, فــي قـوله: وَتَرَكْنـا عَلَـيْهِ فِــي الآخِرِيـنَ يقول: جعلنا لسان صدق للأنبـياء كُلّهم.
22553ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَتَرَكْنا عَلَـيْهِ فِـي الآخِرِينَ قال: أبقـى الله علـيه الثناء الـحسن فـي الآخرين.
22554ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قـال: حـدثنا أسبــاط, عـن السـديّ, قوله: وَتَرَكْنا عَلَـيْهِ فِـي الآخِرِينَ قال: الثناء الـحسن.
وقوله: سَلامٌ عَلـى نُوحٍ فـي العالَــمِينَ يقـول: أمَنَـة مـن اللـه لنـوحٍ فــي العالـمين أن يَذْكُره أحد بسوء وسلام مرفـوع بعلــى. وقـد كـان بعـض أهـل العربـية من أهل الكوفة يقـول: معنـاه: وتركنـا علــيه فــي الآخريـن, سَـلامٌ عَلـى نُوحٍ أي تركنا علـيه هذه الكلـمة, كما تقول: قرأت من القـرآن الــحَمْدُ

لِلّهِ رَبّ الْعَالِـمِينَ فتكون الـجملة فـي معنى نصب, وترفعهـا بـــاللام, كـذلك سلام علـى نوح ترفعه بعلـى, وهو فـي تأويـل نصب, قال: ولـو كـان: تركنـا علـيه سلاما, كان صوابـا.

وقوله: إنّا كَذلكَ نَـجْزِي الـمُـحْسَنِـينَ يقول تعالـى ذكره: إنا كما فعلنا بنوح مـجازاة له علـى طاعتنا وصبره علـى أذى قومه فـي رضانا فأنْـجَيْناهُ وأهْلَــهُ مِنَ الكَرْبِ العَظِيــمِ وَجَعَلْنـا ذُرّيّتَـهُ هُـمُ البـاقِــينَ, وأبقــينا علــيه ثنـاءً فــي الآخريـن كَـذلكَ نَـجْزِي الـذين يُحْسـنون فــيطيعوننا, وينتهـون إلــى أمرنـا, ويصبرون علـى الأذى فـينا. وقوله: إنّهُ مِنْ عِبـادِنا الـمُؤْمِنِـينَ يقول: إن نوحا مـن عبــادنا الـذين آمنـوا بنـا, فوحـدونا, وأخــلصوا لنـا العبــادة, وأفردونـا بـالألوهة. وقوله: ثُمّ أغْرَقْنا الآخَرِيـنَ يقـول تعالــى ذكـره: ثـم أغرقنـا حيـن نـجّينا نوحا وأهله من الكرب العظيـم من بَقِـيَ من قومه. وبنـحو الـذي قلنـا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22555ـ حدثنا بشر, قال: يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة ثُـمّ أغْرَقْنـا الآخَرِينَ قال: أنـجاه الله ومن معه فـي السفـينة, وأغرق بقـية قومه.

الآية : 83 - 86

القول فـي تأويـل قوله تعالــى: {وَإنّ مِـن شِـيعَتِهِ لإبْرَاهِيـمَ * إذْ جَـآءَ رَبّـهُ بِقَلْبٍ سَـلِيمٍ * إذْ قَـالَ لأبِيـهِ وَقَـوْمِهِ مَـاذَا تَعْبُـدُونَ * أإفْكـاً آلِهَـةً دُونَ اللّـهِ تُرِيدُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: وإن من أشياع نوح علـى مِنهاجه وملته والله لإبراهيـمَ خـلـيـلَ الرحمن. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قــال ذلك:

22556ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قـال: حـدثنا معاويـة, عـن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: وَإنّ مِنْ شِيعَتِهِ لإبْرَاهِيـمَ يقول: من أهل دينه.

22557ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن مــحمد بـن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبـي بَـزّة, عـن مــجاهد, فــي قـوله: وَإنّ مِـنْ شِيعَتِهِ لإبْرَاهِيـمَ قال: علـى مِنهاج نوح وسنته.

حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسـى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقـاء, جميعـا عـن ابـن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: وَإنّ مِنْ شِيعَتِهِ لإبراهِيـمَ قال: علـى مِنهـاجه وسنته.

22558ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عـن قتـادة وَإنّ مِنْ شِيَعَتِهِ لإبْراهِيـمَ قال: علـى دينه ومِلته.

22559ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, فـي قوله: وَإنّ مِنْ شِيعَتِهِ لإبْرَاهِيـمَ قال: من أهل دينه.

وقـد زعـم بعـض أهـل العربــية أن معنـى ذلـك: وإن مـن شـيعة مــحمد لإبراهيـم, وقال: ذلك مثل قوله: وآيَةٌ لَهُمْ أنّا حَمَلْنا ذُرّيّتَهُمْ بـمعنى: أنا حملنا ذريةٍ من هم منه, فجعلها ذرّية لهم, وقد سبقتهم.

وقوله: إذْ جاءَ رَبّهُ بِقَلْبٍ سَلِـيـمٍ يقول تعالـى ذكره: إذ جـاء إبراهيــمُ ربّـه بقلب سلـيـم من الشرك, مخـلص له التوحيد, كما:

22560ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إذْ جاءَ رَبّهُ بِقَلْبٍ سَلِـيـمٍ والله من الشرك.

22561ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: إذْ جاءَ رَبّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ قال: سليم من الشرك.
22562ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن ليث, عن مجاهد بِقَلْبٍ سَلِيمٍ قال: لا شكّ فيه. وقال آخرون في ذلك بما:
22563ـ حدثنا أبو كريب, قلا: حدثنا عَثّام بن عليّ, قال: حدثنا هشام, عن أبيه, قال: يا بنيّ لا تكونوا لعّانين, ألم تروا إلى إبراهيم لم يلعن شيئا قطّ, فقال الله: إذْ جاءَ رَبّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ.
وقوله: إذْ قالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ يقول حين قال: يعني إبراهيم لأبيه وقومه: أيّ شيء تعبدون.
وقوله: أَئِفْكا آلِهَةً دُونَ اللّهِ تُرِيدُونَ؟ يقول: أكذبا معبودا غير الله تريدون.

الآية : 87 - 92

القول في تأويل قوله تعالى: {فَمَا ظَنّكُم بِرَبّ الْعَالَمِينَ * فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النّجُومِ * فَقَالَ إِنّي سَقِيمٌ * فَتَوَلّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَىَ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لاَ تَنطِقُونَ }.
يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل إبراهيم لأبيه وقومه: فَما ظَنّكُمْ بِرَبّ العالَمِينَ؟ يقول: فأيّ شيء تظنون أيها القوم أنه يصنع بكم إن لقيتموه وقد عبدتم غيره, كما:
22564ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَمَا ظَنّكُمْ بِرَبّ العالَمِينَ يقول: إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره.
وقوله: فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النّجُومِ فَقالَ إنّي سَقِيمٌ ذكر أن قومه كانوا أهل تنجيم, فرأى نجما قد طلع, فغصب رأسه وقال: إني مَطْعُون, وكان قومه يهربُون من الطاعون, فأراد أن يتركوه في بيت آلهتهم, ويخرجوا عنه, ليخالفهم إليها فيكسرها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
22565ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النّجُومِ فَقالَ إنّي سَقِيمٌ قال: قالوا له وهو في بيت آلهتهم: اخرج, فقال: إني مَطْعُون, فتركوه مخافة الطاعون.
22566ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَيّة, عن سعيد, عن قتادة, عن سعيد بن المسيب فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النّجُومِ فَقالَ إنّي سَقِيمٌ رأى نجما طَلَع.
22567ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن سعيد بن المسيب, أنه رأى نجما طلع فقال إنّى سَقِيمٌ قال: كايَد نبيّ الله عن دينه, فقال: إني سقيم.
22568ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النّجُومِ فَقالَ إنّي سَقِيمٌ قالوا لأبراهيم وهو في بيت آلهتهم: اخرج معنا, فقال لهم: إني مطعون, فتركوه مخافة أن يعديهم.
22569ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, عن أبيه, في قول الله: فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النّجُومِ فَقالَ إنّي سَقِيمٌ قال: أرسلَ إليه ملكهم, فقال: إن غَدا عيدنا, فاحضر معنا, قال: فنظر إلى

نـجم فقال: إن ذلك النـجم لـم يطلع قط إلا طلـع بسـقم لــي, فقـال: إنّــي سَقِـيـمٌ.

22570ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق فَنَظَرَ نَظْرَةً فِـي النّـجُوم فَقالَ إنّـي سَقِـيـمٌ يقول الله: فَتَوَلّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ. وقوله: إنّــي سَقِـيـمٌ: أي طعين, أو لسقم كانوا يهربون منـه إذا سـمعوا بـه, وإنــما يريـد إبراهيـم أن يخرجوا عنه, لـيبلغ من أصنامهم الذي يريد.

واختلف فـي وجه قـيـل إبراهيـم لقومه: إنّـي سَقِـيـمٌ وهو صحيح, فـرُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَـمْ يَكْذِبْ إبْرَاهِيــمُ إلاّ ثَلاثَ كَذَبـاتٍ» ذكر من قال ذلك:

22571ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا أبو أسامة, قال: ثنــي هشـام, عـن مـحمد, عن أبـي هريرة, أن رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم قـال: «لَــمْ يَكْذِبْ إبْرَاهِيـمُ غَيَرَ ثَلاثِ كَذَبـاتٍ, ثِنْتَـيْنِ فِـي ذاتِ اللّهِ, قوله: إنّـي سَقِـيــمٌ, وقَولِهِ: بَلْ فَعَلَهُ كَبِـيرُهُمْ هَذَا, وقوْلِهِ فِـي سارّةَ: هِيَ أُخْتِـي».

حدثنا سعيد بن يحيى, قال: حدثنا أبـي, قال: حدثنا مــحمد بـن إسـحاق, قال: ثنـي أبو الزناد, عن عبد الرحمن الأعرج, عن أبــي هريـرة, قـال: قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَـمْ يَكْذِبْ إبْرَاهِيـمُ فِــي شَـيْءٍ قَـطّ إلاّ فِـي ثَلاَثٍ» ثم ذكر نـحوه.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن الـمسيب بن رافع, عن أبـي هريرة, قال: «ما كذب إبراهيـم غير ثلاث كذبـات, قوله: إنـي سَقِـيــمٌ, وقوله: بَلْ فَعَلَهُ كَبِـيرُهُمْ هَذَا, وإنـما قاله موعظة, وقوله حين سأله الــملك, فقال أختـي لسارّة, وكانت امرأته».

حدثنـي يعقوب بن إبراهيـم, قال: حدثنا ابن علـية, عن أيوب, عن مـحمد, قال: «إن إبراهيـم ما كذب إلا ثلاث كذبـات, ثنتان فــي اللـه, وواحـدة فــي ذات نفسه فأما الثنتان فقوله: إنـي سَقِـيـمٌ, وقوله: بَلْ فَعَلَـهُ كَبِــيرُهُمْ هَـذَا وقصته فـي سارة, وذكر قصتها وقصة الـملك».

وقال آخرون: إن قوله إنّـي سَقِـيـمٌ كلـمة فـيها مِعْراض, ومعناهـا أن كـلّ من كان فـي عقبة الـموت فهو سقـيـم, وإن لـم يكـن بـه حيـن قالهـا سـقم ظاهر, والـخبر عن رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم بخلاف هـذا القـول, وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الـحقّ دون غيـره. قـوله: فَتَوَلّـوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ يقول: فتولوا عن إبراهيـم مدبرين عنـه, خوفــا مـن أن يعـدِيَهُم السقم الذي ذكر أنه به, كما:

22572ـ حُدثت عن يحيى بن زكريا, عن بعـض أصـحابه, عـن حكيــم بـن جُبَـير, عن سعيد بن جُبَـير, عن ابـن عبــاس إنّــي سَقِـيــمٌ يقـول: مطعـون فتولّوا عنه مدبرين, قال سعيد: إن كان الفرار من الطاعون لقديـما.

22573ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد عن قتـادة فَتَوَلّـوْا فنكصوا عنه مُدْبِرِينَ منطلقـين.

وقوله: فَرَاغَ إلَـى آلِهَتِهِمْ يقول تعالـى ذكره: فمـال إلــى آلهتهـم بعـد مـا خرجوا عنه وأدبروا وأرى أن أصل ذلـك مـن قـولهم: راغ فلان عـن فلان: إذا حاد عنه, فـيكون معناه إذا كان كذلك: فراغ عن قومه والـخروج معهم إلــى آلهتهم كما قال عديّ بن زيد:

حِينَ لا يَنْفَعُ الرّوَاغُ وَلا يَنْفَعُ إلاّ الـمُصَادِقُ النّـحْرِيرُ

يعني بقوله: «لا ينفع الرّواغ»: الحِياد. أما أهل التأويل فإنهم فسّروه بمعنى فمَال. ذكر من قال ذلك:
22574ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَرَاغَ إلى آلِهَتِهِم: أي فمال إلى آلهتهم, قال: ذهب.
22575ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السدّيّ قوله: فَرَاغَ إلى آلِهَتِهِمْ قال: ذهب.
وقوله: فَقالَ ألاَ تأكُلُونَ ما لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ هذا خبر من الله عن قيل إبراهيم للآلهة وفي الكلام محذوف استغني بدلالة الكلام عليه من ذكره, وهو: فقرّب إليها الطعام فلم يرها تأكل, فقال لها: ألا تَأكُلُونَ فلما لم يرها تأكل قال لها: مالكم لا تأكلون, فلم يرها تنطق, فقال لها: ما لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ مستهزئا بها, وكذلك ذكر أنه فعل بها, وقد ذكرنا الخبر بذلك فيما مضى قبلُ. وقال قتادة في ذلك ما:
22576ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَقالَ ألاَ تأكُلونَ يستنطقهم مالَكُمْ لا تَنْطِقُونَ؟.

الآية : 93 - 96

القول في تأويل قوله تعالى: {فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوَاْ إِلَيْهِ يَزِفّونَ * قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ }.
يقول تعالى ذكره: فمال على آلهة قومه ضربا لها باليمين بفأس في يده يكسرهنّ, كما:
22577ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قال: لما خلا جعل يضرب آلهتهم باليمين.
22578ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك, فذكر مثله.
22579ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبا باليَمِينِ فأقبل عليهم يكسرهم.
22580ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: ثم أقبل عليهم كما قال الله ضربا باليمين, ثم جعل يكسرهنّ بفأس في يده.
وكان بعض أهل العربية يتأوّل ذلك بمعنى: فراغ عليهم ضربا بالقوّة والقدرة, ويقول: اليمين في هذا الموضع: القوّة: وبعضهم كان يتأوّل اليمين في هذا الموضع: الحلف, ويقول: جعل يضربهنّ باليمين التي حلف بها بقوله: وَتاللّهِ لأَكِيدَنّ أصْنامَكُمْ بَعْدَ أنْ تُوَلّوا مُدْبِرِينَ.
وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَفْقَا بالْيَمِينِ». ورُوي نحو ذلك عن الحسن.
22581ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا خالد بن عبد الله الجُشَمِي, قال: سمعت الحسن قرأ: «فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَفْقا بالْيَمِينِ»: أي ضربا باليمين.
وقوله: فأقْبَلُوا إلَيْهِ يَزِفّونَ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة, وبعض قرّاء الكوفة: فأقْبَلُوا إلَيْهِ يَزِفّونَ بفتح الياء وتشديد الفاء من قولهم: زَفّتِ النعامة, وذلك أوّل عدوها, وآخر مشيها ومنه قول الفرزدق:

وَجاءَ قَرِيعُ الشّوْلِ قَبْلِ إفالِهَايَزِفّ وَجاءَتْ خَلْفَهُ وَهْيِ زُفّفُ

وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة: «يُزِفّونَ» بضم الياء وتشديد الفاء من أزف فهو يزف. وكان الفرّاء يزعم أنه لم يسمع في ذلك إلا زفَفْت, ويقول: لعلّ قراءة من قرأه: «يَزِفّونَ» بضم الياء من قول العرب: أطْرَدتُ الرجل: أي صيرته طريدا, وطردته: إذا أنت خسأته إذا قلت: اذهب عنا فيكون يزفون: أي جاؤوا على هذه الهيئة بمنزلة المزفوفة على هذه الحالة, فتدخل الألف. كما تقول: أحمدت الرجل: إذا أظهرت حمده, وهو محمد: إذا رأيت أمره إلى الحمد, ولم تنشر حمده قال: وأنشدني المفضّل:

تَمَنّى حُصَيْنٌ أنْ يَسُودَ جِذاعَهُفأمْسَى حُصَيْنٌ قَدْ أذَلّ وأقْهَرا

فقال: أقْهَر, وإنما هو قُهِر, ولكنه أراد صار إلى حال قهر. وقرأ ذلك بعضهم: «يَزِفُونَ» بفتح الياء وتخفيف الفاء من وَزَفَ يَزِف. وذُكر عن الكسائي أنه لا يعرفها, وقال الفرّاء: لا أعرفها إلا أن تكون لغة لم أسمعها. وذُكر عن مجاهد أنه كان يقول: الوَزْف: النّسَلان.

22582ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: إلَيْهِ يَزِفّونَ قال: الوزيف: النّسَلان.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأه بفتح الياء وتشديد الفاء, لأن ذلك هو الصحيح المعروف من كلام العرب, والذي عليه قراءة الفصحاء من القرّاء.

وقد اختف أهل التأويل في معناه, فقال بعضهم: معناه: فأقبل قوم إبراهيم إلى إبراهيم يَجْرُون. ذكر من قال ذلك:

22583ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فأقْبَلُوا إلَيْهِ يَزِفّونَ: فأقبلوا إليه يجرون.

وقال آخرون: أقبلوا إليه يَمْشُون. ذكر من قال ذلك:

22584ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: فأقْبَلُوا إلَيْهِ يَزِفّونَ قال: يَمْشُون.

وقال آخرون: معناه: فأقبلوا يستعجلون. ذكر من قال ذلك:

22585ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, عن أبيه فَأقْبَلُوا إلَيْهِ يَزِفّونَ قال: يستعجلون, قال: يَزِفّ: يستعجل.

وقوله: قالَ أتَعْبُدونَ ما تَنْحِتُونَ يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لقومه: أتعبدون أيها القوم ما تنحتون بأيديكم من الأصنام, كما:

22586ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قالَ أتَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ الأصنام.

وقوله: وَاللّهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل إبراهيم لقومه: والله خلقكم أيها القوم وما تعملون. وفي قوله: وَما تَعْمَلُونَ وجهان: أحدهما: أن يكون قوله: «ما» بمعنى المصدر, فيكون معنى الكلام حينئذٍ: والله خلقكم وعملكم. والآخر أن يكون بمعنى «الذي», فيكون معنى الكلام عند ذلك: والله خلقكم والذي تعملونه: أي والذي تعملون منه الأنصام, وهو الخشب والنحاس والأشياء التي كانوا ينحِتون منها أصنامهم. وهذا المعنى الثاني قصد إن شاء الله قتادةُ بقوله الذي:

22587ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَاللّهُ خَـلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ: بأيْدِيكُمْ.

الآية : 97 - 100

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُواْ ابْنُواْ لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ * فَأَرَادُواْ بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأسْفَلِينَ * وَقَالَ إِنّي ذَاهِبٌ إِلَىَ رَبّي سَيَهْدِينِ * رَبّ هَبْ لِي مِنَ الصّالِحِين }.

يقول تعالى ذكره: قال قوم إبراهيم لما قال لهم إبراهيم: أتَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ وَاللّهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ ابنُوا لإبراهيم بنيانا ذُكر أنهم بنوا له بنيانا يشبه التّنّور, ثم نقَلوا إليه الحطب, وأوقدوا عليه فألْقُوهُ في الجَحِيمِ والجحيم عند العرب: جمر النار بعضُه على بعض, والنار على النار.

وقوله: فأَرَادُوا بِهِ كَيْدا يقول تعالى ذكره: فأراد قوم إبراهيم بإبراهيم كيدا, وذلك ما كانوا أرادوا من إحراقه بالنار. يقول الله: فَجَعَلْناهُمْ أي فجعلنا قوم إبراهيم الأسْفَلِين يعني الأذلّين حُجّة, وغَلّبنا إبراهيم عليهم بالحجة, وأنقذناه مما أرادوا به من الكيد, كما:

22588ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وأرَادُوا بِهِ كَيْدا فَجَعَلْناهُمُ الأَسْفَلِينَ قال: فما ناظرهم بعد ذلك حتى أهلكهم.

وقوله: وَقالَ إنّي ذَاهِبٌ إلى رَبّي سَيَهْدِينِ يقول: وقال إبراهيم لما أفْلَجَه الله على قومه ونجاه من كيدهم: إنّي ذاهِبٌ إلى رَبّي يقول: إني مهاجِرٌ من بلدة قومي إلى الله: أي إلى الأرض المقدّسة, ومفارقهم, فمعتزلهم لعبادة الله. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

22589ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَقالَ إنّي ذاهِبٌ إلى رَبّي سَيَهْدِينِ: ذاهب بعمله وقلبه ونيته.

وقال آخرون في ذلك: إنما قال إبراهيم إنّي ذاهِبٌ إلى رَبّي حني أرادوا أن يُلْقُوه في النار. ذكر من قال ذلك:

22590ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا شعبة, عن أبي إسحاق, قال: سمعت سليمان بن صُرَدَ يقول: لما أرادوا أن يُلْقوا إبراهيم في النار قالَ إنّي ذاهِبٌ إلى رَبّي سَيَهْدِينِ فجمع الحطب, فجاءت عجوز على ظهرها حطب, فقيل لها: أين تريدين؟ قالت: أريد أذهب إلى هذا الرجل الذي يُلْقَى في النار فلما أُلقي فيها, قال: حَسْبِيَ الله عليه توكلت, أو قال: حسبي الله ونعم الوكيل, قال: فقال الله: يا نارُ كُونِي بَرْدا وَسَلاما على إبْرَاهِيمَ قال: فقال ابن لُوط, أو ابن أخي لوط: إن النار لم تحرقه من أجلي, وكان بينهما قرابة, فأرسل الله عليه عُنُفا من النار فأحرقته.

وإنما اخترت القول الذي قلت في ذلك, لأن الله تبارك وتعالى ذكر خبره وخبر قومه في موضع آخر, فأخبر أنه لما نجاه مما حاول قومه من إحراقه قال إنّي مُهاجِرٌ إلى رَبّي ففسر أهل التأويل ذلك أن معناه: إني مهاجر إلى أرض الشام, فكذلك قوله: إنّي ذَاهِبٌ إلى رَبّي لأنه كقوله: إنّي مُهاجِرٌ إلى رَبّي. وقوله: سَيَهْدِينِ يقول: سيثبتني على الهدى الذي أبصرته, ويعينني عليه.

وقوله: رَبّ هَبْ لي مِنَ الصّالِحِينَ وهذا مسألة إبراهيم ربه أن يرزقه ولدا صالحا يقول: قال: يا ربّ هب لي منك ولدا يكون من الصالحين الذين يطيعونك, ولا يعصُونك, ويصلحون في الأرض, ولا يفسدون, كما:

22591ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: رَبّ هَبْ لِي مِنَ الصّالِحِينَ قال: ولدا صالحا.

وقال: من الصالحين, ولم يَقُلْ: صالحا من الصالحين, اجتزاءً بمن ذكر من المتروك, كما قال عزّ وجلّ: وكانُوا فِيهِ مِنَ الزّاهِدِينَ بمعنى زاهدين من الزاهدين.

الآية : 101 - 102

القول في تأويل قوله تعالى: {فَبَشّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَلِيمٍ * فَلَمّا بَلَغَ مَعَهُ السّعْيَ قَالَ يَبُنَيّ إِنّيَ أَرَىَ فِي الْمَنَامِ أَنّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىَ قَالَ يَأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤمَرُ سَتَجِدُنِيَ إِن شَآءَ اللّهُ مِنَ الصّابِرِينَ }.

يقول تعالى ذكره: فبشّرنا إبراهيم بغلام حَليم, يعني بغلام ذي حِلْم إذا هو كَبِر, فأما في طفولته في المهد, فلا يوصف بذلك. وذُكر أن الغلام الذي بَشّر الله به إبراهيم إسحاق. ذكر من قال ذلك:

22592ـ حدثنا محمد بن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الحسين, عن يزيد, عن عكرمة: فَبَشّرْناهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ قال: هو إسحاق.

22593ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَبَشّرْناهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ بشر بإسحاق, قال: لم يُثْنَ بالحلم على أحد غير إسحاق وإبراهيم.

وقوله: فَلَمّا بَلَغَ مَعَهُ السّعْيَ يقول: فلما بلغ الغلام الذي بشر به إبراهيم معَ إبراهيم العملَ, وهو السعي, وذلك حين أطاق معونته على عمله.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك, فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه. ذكر من قال ذلك:

22594ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فَلَمَا بَلَغَ مَعَهُ السّعْيَ يقول: العمل.

22595ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: فَلَمّا بَلَغَ مَعَهُ السّعْيَ قال: لما شبّ حتى أدرك سعيُه سَعْيَ إبراهيمَ في العمل.

حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله, إلا أنه قال: لما شبّ حين أدرك سعيه.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن شعبة, عن الحكم, عن مجاهد فَلَمّا بَلَغَ مَعَهُ السّعْيَ قال: سعي إبراهيم.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا سهل بن يوسف, عن شعبة, عن الحكم, عن مجاهد فَلَمّا بَلَغَ مَعَهُ السّعْيَ: سَعَي إبراهيم.

22596ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَلَمّا بَلَغَ مَعَهُ السّعْيَ قال: السّعْيُ ها هنا العبادة.

وقال آخرون: معنى ذلك: فلما مشى مع إبراهيم. ذكر من قال ذلك:

22597ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَلَـمّا بَلَغَ مَعَهُ السّعْيَ: أي لـما مشى مع أبـيه.

وقوله: قالَ يا بُنَـيّ إنّـي أرَى فِـي الـمَنامِ أنّـي أذْبَحُكَ يقول تعالـى ذكـره: قال إبراهيـم خـلـيـل الرحمـن لابنـه: يـا بُنَـيّ إنّــي أرَى فِــي الــمَنامِ أنّــي أذْبَحُكَ وكان فـيـما ذكر أن إبراهيـم نذر حين بشّرته الـملائكة بإسـحاقَ ولِـدا أن يجعله إذا ولدته سارّة لله ذبـيحا فلـما بلغ إسـحاقُ مـع أبــيه السّـعْي أُرِي إبراهيـم فـي الـمنام, فقـيــل لـه: أوف للـه بنـذرك, ورؤيـا الأنبــياء يقــين, فلذلك مضى لـما رأى فـي الـمنام, وقال له ابنه إسحاق مـا قـال. ذكـر مـن قال ذلك:

22598ـ حدثنا موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو بن حماد, قال: حدثنا أسبــاط, عـن السـديّ, قـال: قـال جبرائيــل لسـارَة: أبشـري بولـد اسـمه إسحاق, ومن وراء إسـحاق يعقـوب, فضـربت جبهتهـا عَجَبـا, فـذلك قـوله: فَصَكّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ يا وَيْـلَتَـي أألِدُو وأنا عَجُـوزٌ وَهَـذَا بَعْلِـي شَـيْخا إنّ هَـذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ إلـى قوله: حَمِيدٌ مَـجِيدٌ قالت سارَة لـجبريــل: مـا آيـة ذلـك؟ فأخذ بـيده عودا يابسا, فلواه بـين أصابعه, فـاهتزّ أخضر, فقال إبراهيـم: هو لله إذن ذَبـيح فلـما كبر إسحاق أُتِـيَ إبراهيـمُ فــي النـوم, فقـيــل لـه: أوفِ بنذرك الذي نَذَرْتَ, إن الله رزقك غلاما من سارَة أن تذبحه, فقال لإسـحاق: انطلق نقرّب قُرْبـانا إلـى الله, وأخذ سكينا وحبلاً, ثم انطلـق معـه حتــى إذا ذهب به بـين الـجبـال قال له الغلام: يا أبت أين قُرْبــانُك؟ قـالَ يـا بنــيّ أرَى فـي الــمَنام أنّــي أذْبحُـكَ فَــانْظُرْ مـاذَا تَـرَى قـالَ يـا أبَـتِ افْعَـلْ مـا تُـؤْمَرُ سَتَـجِدُنِـي إنْ شاءَ اللّهُ مِنَ الصّابِرِينَ فقال له إسحاق: يا أبَتِ اشْدُد رِبــاطي حتـى لا أضطرب, واكففْ عنـي ثـيابك حتـى لا ينتضح علـيها من دمي شيء, فتراه سارَة فتـحْزَن, وأسْرِعْ مرّ السكين علـى حَلْقـي لـيكون أهون للـموت علـيّ, فإذا أتـيتَ سارَة فـاقرأ علـيها منــي السـلام فأقبـل علــيه إبراهيــم يقبله وقد ربطه وهو يبكي وإسحاق يبكي, حتـى استنقع الـدموع تــحت خـدّ إسحاق, ثم إنه جرّ السكين علـى حلقه, فلـم تَــحِكِ السـكين, وضـرب اللـه صفـيحة من نــحاس علــى حلـق إسـحاق فلــما رأى ذلـك ضـرب بـه علــى جبـينه, وحزّ من قـفـاه, فذلك قوله: فَلَـمّا أسْلَـما يقـول: سلّــما للـه الأمـر وَتَلّهُ لِلْـجَبِـينِ فنودي يـا إبراهيــم قـد صـدّقت الرؤيـا بـالــحقّ فـالتفت فـإذا بكبش, فأخذه وخَـلّـى عن ابنه, فأكبّ علـى ابنه يقبله, وهو يقول: الـيوم يــا بنـيّ وُهِبْتَ لِـي فلذلك يقول الله: وَفَدَيْناهُ بِذِبْـحٍ عَظِيــمٍ فرجـع إلــى سـارَة فأخبرها الـخبر, فجَزِعت سارَة وقالت: يا إبراهيــم أردتَ أن تذبـح ابنــي ولا تُعِلـمْنـي.

22599ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يا بُنَـيّ إنّـي أرَى فِـي الـمَنامِ أنّـي أذْبَحُكَ قال: رؤيا الأنبـياء حقّ إذا رأوا فـي الـمنام شيئا فعلوه.

22600ـ حدثنا مـجاهد بن موسى, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سفـيان بن عيـينة, عن عمرو بن دينار, عن عبـيد بن عمير, قال: رؤيا الأنبـياء وَحْي, ثــم تلا هذه الآية: إنّـي أرَى فِـي الـمنامِ أنّـي أذْبَحُكَ.

قوله: فـانْظُرْ مـاذَا تَرَى: اختلفت القرّاء فـي قراءة قوله: مـاذَا تَرَى, فقرأته عامة قرّاء أهل الـمدينة والبصرة, وبعـض قـرّاء أهـل الكوفـة: فــانْظُرْ مـاذَا تَرَى؟ بفتـح التاء, بـمعنى: أيّ شيء تأمر, أو فـانظر ما الذي تأمر, وقرأ ذلك

عامة قرّاء الكوفة: ماذَا تُرَى بضم التاء, بـمعنى: ماذا تُشير, وماذا تُـرَى مـن صبرك أو جزعك من الذبح؟.
والذي هو أولـى القراءتـين فـي ذلك عندي بـالصواب قراءة من قرأه: ماذَا تَرَى بفتح التاء, بمعنى: ماذا ترى من الرأي.
فإن قال قائل: أوَ كان إبراهيـم يؤامر ابنه فـي الـمضي لأمر الله, والانتهاء إلـى طاعته؟ قـيـل: لـم يكن ذلك منه مشاورة لابنه فـي طاعة اللـه, ولكنـه كان منه لـيعلـم ما عند ابنه من العَزْم: هـل هـو مـن الصـبر علـى أمـر اللـه علـى مثل الذي هو علـيه, فـيسرّ بذلك أم لا, وهو فــي الأحـوال كلهـا مـاض لأمر الله.
وقوله: قالَ يا أبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ يقول تعالـى ذكره: قال إسحاق لأبـيه: يا أبت افعل ما يأمرك به ربك من ذبحي سَتَـجِدُنِـي إنْ شاءَ اللّهُ مِـنَ الصّـابِرِينَ يقول: ستـجدنـي إن شاء الله صابرا من الصابرين لـما يأمرنا به ربنا, وقـال: افعل ما تؤمر, ولـم يقل: ما تؤمر به, لأن الـمعنى: افعل الأمر الذي تـؤمره, وذُكر أن ذلك فـي قراءة عبد الله: «إنـي أرى فـي الـمنام: افعـل مـا أُمِـرْت به».

الآية : 103 - 106

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَلَمّـا أَسْـلَمَا وَتَلّـهُ لِلْجَبِيـنِ * وَنَادَيْنَـاهُ أَن يَابْرَاهِيمُ * قَدْ صَدّقْتَ الرّؤْيَآ إِنّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنّ هَـذَا لَهُوَ الْبَلاَءُ الْمُبِينُ }.
يقول تعالـى ذكره: فلـما أسلـما أمرهما لله وفوّضاه إلـيه واتفقـا علـى التسلـيـم لأمـره والرضـا بقضـائه. وبنــحو الـذي قلنـا فــي ذلـك قـال أهـل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
22601ـ حدثنـي سلـيـمان بن عبد الـجبـار, قال: حدثنا ثابت بـن مــحمد, وحدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مسلـم بـن صالــح, قـالا: حـدثنا عبـد اللـه بـن الـمبـارك, عن إسماعيـل بن أبـي خالد, عن أبـي صالـح, فــي قـوله: فَلَــمّا أسْلَـما قال: اتفقا علـى أمر واحد.
22602ـ حـدثنا ابـن حميـد, قـال: حـدثنا يحيـى بـن واضـح, قـال: حـدثنا الـحسين, عن يزيد, عن عكرمة, قـوله: فَلَــمّا أسْلَــما وَتَلّـهُ لِلْـجَبِـينِ قـال: أسلـما جميعا لأمر الله ورضي الغلام بـالذبح, ورضي الأب بأن يذبحه, فقال: يا أبت اقذفنـي للوجه كيلا تنظر إلــيّ فترحمنــي, وأنظـر أنـا إلــى الشـفرة فأجزع, ولكن أدخـل الشفرة من تـحتــي, وامـض لأمـر اللـه, فـذلك قـوله: فَلَـمّا أسْلَـما وَتَلّهُ لِلْـجَبِـينِ فلـما فعل ذلك نَادَيْناهُ أنْ يا إبْرَاهِيـمُ قَـدْ صَـدّقْتَ الرّؤْيا إنّا كَذلكَ نَـجْزِي الـمُـحْسِنِـينَ.
22603ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَلَــمّا أسْلَـما قال: أسلـم هذا نفسه الله, وأسلـم هذا ابنه لله.
22604ـ حدثنا مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقـاء, جميعـا عـن ابـن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قوله: فَلَـمّا أسْلَـما قال: أسلـما ما أمرا به.
22605ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ فَلَـمّا أسْلَـما يقول: أسلـما لأمر الله.

22606ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق فَلَمّا أَسْلَما: أي سلم إبراهيم لذبحه حين أمر به وسلم ابنه للصبر عليه, حين عرف أن الله أمره بذلك فيه.

وقوله: وَتَلّهُ لِلْجَبِينِ يقول: وصَرَعَه للجَبِين, والجبينان ما عن يمين الجبهة وعن شمالها, وللوجه جبينان, والجبهة بينهما. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22607ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى: وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وَتَلّهُ لِلْجَبِينِ قال: وضع وجهه للأرض, قال: لا تذبحني وأنت تنظر إلى وجهي عسى أن ترحمني, ولا تجهز عليّ, اربط يديّ إلى رقبتي ثم ضع وجهي للأرض.

22608ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَتَلّهُ لِلْجَبِينِ: أي وكبّه لفيه وأخذ الشّفرة وَنادَيْناهُ أَنْ يا إبْراهِيمُ قَدْ صَدّقْتَ الرؤْيا حتى بلغ وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ.

22609ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَتَلّهُ لِلْجَبِينِ قال: أكَبّه على جبهته.

22610ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَتَلّهُ لِلْجَبِين قال: جبينه, قال: أخذ جبينه ليذبحه.

22611ـ حدثنا ابن سنان, قال: حدثنا حجاج, عن حماد, عن أبي عاصم الغَنَوِيّ عن أبي الطّفَيل, قال: قال ابن عباس: إن إبراهيم لما أمر بالمناسك عرض له الشيطان عند المسعَى فسابقه, فسبقه إبراهيم, ثم ذهب به جبريل إلى جمرة العقبة, فعرض له الشيطان, فرماه بسبع حَصَيات حتى ذهب, ثم عرض له عند الجمرة الوُسْطَى, فرماه بسبع حَصيات حتى ذهب, ثم تلّه للجَبين, وعلى إسماعيل قَميص أبيض, فقال له: يا أبت إنه ليس لي ثوب تكفنني فيه غير هذا, فاخلعه حتى تكفنني فيه, فالتفت إبراهيم فإذا هو بكبش أَعْيَن أبيض فذبحه, فقال ابن عباس: لقد رأيتنا نتبع هذا الضرب من الكِباش.

وقوله: وَنادَيْناهُ أَنْ يا إبْراهِيمُ قَدْ صَدّقْتَ الرؤْيا وهذا جواب قوله: فَلَمّا أَسْلَما ومعنى الكلام: فلما أسلما وتلّه للجبين, وناديناه أن يا إبراهيم وأدخلت الواو في ذلك كما أدخلت في قوله: حتى إذا جاءُوها وَفُتِحَتْ أَبْوابُها وقد تفعل العرب ذلك فتدخل الواو في جواب فلما, وحتى وإذا تلقيها.

ويعني بقوله: قَدْ صَدّقْتَ الرّؤْيا التي أريناكها في منامك بأمرناك بذبح ابنك.

وقوله: إنّا كَذلكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ يقول: إنا كما جَزَيْناك بطاعتنا يا إبراهيم, كذلك نجزى الذين أحسنوا, وأطاعوا أمرنا, وعملوا في رضانا.

وقوله: إنّ هَذَا لَهُوَ البَلاءُ المُبِينُ: يقول تعالى ذكره: إن أمرنا إياك يا إبراهيم بذبح ابنك إسحاق, لهو البلاء, يقول: لهو الاختبار الذي يبين لمن فكّر فيه أنه بلاء شديد ومحْنة عظيمة. وكان ابن زيد يقول: البلاء في هذا الموضع الشرّ وليس باختبار.

22612ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّ هَذَا لَهُوَ البَلاءُ المُبِينُ قال: هذا في البلاء الذي نزل به في أن

يذبح ابنه. صدّقت الرؤيا: ابتليتَ ببلاء عظيم أمرت أن تذبح ابنك, قال: وهذا من البلاء المكروه وهو الشرّ وليس من بلاء الاختبار.

الآية : 107 -111

القول في تأويل قوله تعالى: {وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ * سَلاَمٌ عَلَىَ إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ }.

وقوله: وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ يقول: وفدينا إسحاق بذبح عظيم, والفدية: الجزاء, يقول: جزيناه بأن جعلنا مكان ذبحه ذبح كبش عظيم, وأنقذناه من الذبح.

واختلف أهل التأويل في المفديّ من الذبح من ابني إبراهيم, فقال بعضهم: هو إسحاق. ذكر من قال ذلك:

22613ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يمان, عن مبارك, عن الحسن, عن الأحنف بن قيس, عن العباس بن عبد المطلب وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ قال: هو إسحاق.

22614ـ حدثني الحسين بن يزيد بن إسحاق, قال: حدثنا ابن إدريس, عن داود, بن أبي هند, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: الذي أُمِر بذبحه إبراهيم هو إسحاق.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن داود, عن عكرمة, عن ابن عباس وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ قال: هو إسحاق.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن داود, عن عكرمة, قال: قال ابن عباس: الذبيح إسحاق.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا زيد بن حباب, عن الحسن بن دينار, عن عليّ بن زيد بن جُدْعان, عن الحسن, عن الأحنف بن قيس, عن العباس بن عبد المطلب, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره, قال: «هو إسحاق».

22615ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي إسحاق, عن أبي الأحوص, قال: افتخر رجل عند ابن مسعود, فقال: أنا فلان ابن فلان ابن الأشياخ الكرام, فقال عبد الله: ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله.

22616ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا إبراهيم بن المختار, قال: حدثنا محمد بن إسحاق, عن عبد الرحمن بن أبي بكر, عن الزهري, عن العلاء بن حارثة الثقفي, عن أبي هريرة, عن كعب في قوله: وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ قال: من ابنه إسحاق.

22617ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: حدثنا زكريا وشعبة, عن ابن إسحاق, عن مسروق, في قوله: وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ قال: هو إسحاق.

22618ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن زيد بن أسلم, عن عبيد بن عمير, قال: هو إسحاق.

22619ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا سفيان, عن زيد بن أسلم, عن عبد الله بن عمير قال: قال موسى: يا ربّ يقولون يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب, فبم قالوا ذلك؟ قال: إن إبراهيم لم يعدل

بي شيئا قطّ إلا اختارني عليه, وإن إسحاق جاد لي بالذبح, وهو بغير ذلك أجود, وإن يعقوب كلما زدته بلاء زادني حسن ظنّ.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن زيد بن أسلم, عن عبد الله بن عبيد بن عمير, عن أبيه, قال: قال موسى: أي ربّ بم أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما أعطيتهم؟ فذكر معنى حديث عمرو بن عليّ.
22620ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن أبي سنان الشيباني, عن ابن أبي الهذيل, قال: الذبيح هو إسحاق.
22621ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني يونس, عن ابن شهاب أن عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن حارثة الثقفي, أخبره أن كعبا قال لأبي هريرة: ألا أخبرك عن إسحاق بن إبراهيم النبيّ؟ قال أبو هريرة: بلى, قال كعب: لما رأى إبراهيمُ ذبحَ إسحاق, قال الشيطان: والله لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم لا أفِتن أحدا منهم أبدا, فتمثل الشيطان لهم رجلاً يعرفونه, فأقبل حتى إذا خرج إبراهيم بإسحاق ليذبحه دخل على سارَة امرأة إبراهيم, فقال لها: أي أصبح إبراهيم غاديا بإسحاق, قالت سارَة: غدا لبعض حاجته, قال الشيطان: لا والله ما لذلك غدا به, قالت سارَة: فلم غدا به؟ قال: غدا به ليذبحه قالت سارَة: ليس من ذلك شيء, لم يكن ليذبح ابنه قال الشيطان: بلى والله قالت سارَة: فلِمَ يذبحه؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك قالت سارَة: فهذا أحسن بأن يطيع ربه إن كان أمره بذلك. فخرج الشيطان من عند سارَة حتى أدرك إسحاق وهو يمشي على إثر أبيه, فقال: أين أصبح أبوك غاديا بك؟ قال: غدا بي لبعض حاجته, قال الشيطان: لا والله ما غدا بك لبعض حاجته, ولكن غدا بك ليذبحك, قال إسحاق: ما كان أبي ليذبحني قال: بلى قال: لِمَ؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك قال إسحاق: فوالله لئن أمره بذلك ليطيعنّه, قال: فتركه الشيطان وأسرع إلى إبراهيم, فقال: أين أصبحت غاديا بابنك؟ قال: غدوت به لبعض حاجتي, قال: أما والله ما غدوت به إلا لتذبحه, قال: لمَ أذبحه؟ قال: زعمتَ أن ربك أمرك بذلك قال: الله فوالله لئن كان أمرني بذلك ربي لأفعلنّ قال: فلما أخذ إبراهيم إسحاق ليذبحه وسَلّم إسحاق, أعفاه الله وفداه بذبح عظيم, قال إبراهيم لإسحاق: قم أي بنيّ, فإن الله قد أعفاك وأوحى الله إلى إسحاق: إني قد أعطيتك دعوة أستجيب لك فيها قال إسحاق: اللهمّ إني أدعوك أن تستجيب لي, أيما عبد لقيك من الأوّلين والآخرين لا يُشرك بك شيئا, فأدخله الجنة.
22622ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني ابن إسحاق, عن عبد الله بن أبي بكر, عن محمد بن مسلم الزهري, عن أبي سفيان بن العلاء بن حارثة الثقفي, حليف بني زهرة, عن أبي هريرة, عن كعب الأحبار أن الذي أُمِر إبراهيم بذبحه من ابنيه إسحاق, وأن الله لما فرّج له ولابنه من البلاء العظيم الذي كان فيه, قال الله لإسحاق: إني قد أعطيتك بصبرك لأمري دعوة أعطيك فيها ما سألت, فسلني, قال: ربّ أسألك أن لا تعذّب عبدا من عبادك لقيك وهو يؤمن بك, فكانت تلك مسألته التي سأل.
22623ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يمان, قال: حدثنا إسرائيل, عن جابر, عن ابن سابط, قال: هو إسحاق.

22624ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا سفيان بن عُقْبة, عن حمزة الزيات, عن أبي ميسرة, قال: قال يوسف للملِك في وجهه: ترغب أن تأكل معي, وأنا والله يوسف بن يعقوب نبيّ الله, ابن إسحاق ذبيح الله, ابن إبراهيم خليل الله.

22625ـ قال: ثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن أبي سنان, عن ابن أبي الهُذَيل, قال: قال يوسف للملك, فذكر نحوه.

وقال آخرون: الذي فُدِي بالذّبح العظيم من بني إبراهيم: إسماعيل. ذكر من قال ذلك:

22626ـ حدثنا أبو كُرَيب وإسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد, قالا: حدثنا يحيى بن يمان, عن إسرائيل, عن ثور, عن مجاهد, عن ابن عمر, قال: الذبيح: إسماعيل.

22627ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا سفيان, قال: ثني بيان, عن الشعبيّ, عن ابن عباس وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ قال: إسماعيل.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا أبو حمزة, عن محمد بن ميمون السكريّ, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس, قال: إن الذي أمر بذبحه إبراهيم إسماعيل.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, عن عليّ بن زيد, عن عمار, مولى بني هاشم, أو عن يوسف بن مِهْران, عن ابن عباس, قال: هو إسماعيل, يعني وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: حدثنا داود, عن الشعبيّ, قال: قال ابن عباس: هو إسماعيل.

وحدثني به يعقوب مرّة أخرى, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: سئل داود بن أبي هند: أيّ ابني إبراهيم الذي أُمر بذبحه؟ فزمع أن الشعبيّ قال: قال ابن عباس: هو إسماعيل.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن بيان, عن الشعبي, عن ابن عباس أنه قال في الذي فداه الله بذبح عظيم قال: هو إسماعيل.

حدثنا يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَيَة, قال: حدثنا ليث, عن مجاهد, عن ابن عباس, قوله: وَفدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيم قال: هو إسماعيل.

22628ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني عمر بن قيس, عن عطاء بن أبي رَباح, عن عبد الله بن عباس أنه قال: المَفْدِيّ إسماعيل, وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود.

حدثنا محمد بن سنان القزاز, قال: حدثنا أبو عاصم, عن مبارك, عن عليّ بن زيد, عن يوسف بن مِهْران, عن ابن عباس: الذي فداه الله هو إسماعيل.

حدثنا ابن سنان القزّاز, قال: حدثنا حجاج بن حماد, عن أبي عاصم الغَنَويّ, عن أبي الطفيل, عن ابن عباس, مثله.

22629ـ حدثني إسحاق بن شاهين, قال: حدثنا خالد بن عبد الله, عن داود, عن عامر, قال: الذي أراد إبراهيم ذبحه: إسماعيل.

22630ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عن عامر أنه قال في هذه الآية وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ قال: هو إسماعيل, قال: وكان قَرْنَا الكبش مَنُوطين بالكعبة.

22631ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يـمان, عن إسرائيـل, عن جابر, عن الشعبـيّ, قال: الذبـيح إسماعيـل.
22632ـ قال: ثنا ابن يـمان, عن إسرائيـل, عن جابر, عن الشعبـي, قال: رأيت قرنـي الكبش فـي الكعبة.
22633ـ قال: ثنا ابن يـمان, عن مبـارك بن فضالة, عن علـيّ بن زيد بـن جُدْعان, عن يوسف بن مِهْران, قال: هو إسماعيـل.
22634ـ قال: ثنا ابن يـمان, قال: حدثنا سفـيان, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قال: هو إسماعيـل.
22635ـ حدثنـي يعقوب بن إبراهيـم, قـال: حـدثنا هشيـم, قـال: حـدثنا عوف, عن الـحسن وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيـمٍ قال: هو إسماعيـل.
22636ـ حدثنا ابن حميد, قـال: حـدثنا سلـمة, عـن ابـن إسـحاق, قـال: سمعت مـحمد بن كعـب القُرظِـي وهـو يقـول: إن الـذي أمـر اللـه إبراهيـم بذبحه من بنـيه إسماعيـل, وإنا لنـجد ذلك فـي كتاب الله فـي قصـة الـخبر عن إبراهيـم وما أُمر به من ذبح ابنه إسماعيـل, وذلـك أن اللـه يقـول, حيـن فرغ من قصـة الـمذبوح مـن إبراهيـم, قـال: وَبَشّـرْناهُ بإسْـحاقَ نَبِـيّا مِـنَ الصّالِـحينَ يقول: بشّرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقـوب, يقـول: بـابن وابن ابن, فلـم يكن ليأمره بذبـح إسـحاق ولـه فـيه م ن اللـه الـموعود مـا وعده الله, وما الذي أُمِر بذبحه إلا إسماعيـل.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, عـن الـحسن بـن دينار وعمرو بن عبـيد, عن الـحسن البصري أنه كـان لا يشـكّ فـي ذلـك أن الذي أُمِر بذبحه من ابنـي إبراهيـم: إسماعيـل.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, قال: قال مـحمد بن إسحاق: سمعت مـحمد بن كعب القُرِظيّ يقول ذلك كثـيرا.
22637ـ حدثنا ابـن حميـد, قـال: حـدثنا سلـمة, قـال: ثنـي مـحمد بـن إسحاق, عن بريدة بن سفـيان بـن فَـرْوة الأسلـمي عـن مـحمد بـن كعـب الْقُرِظيّ, أنه حدثهم أنه ذَكَر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهـو خـلـيفة, إذ كـان معه بـالشام فقال له عمر: إن هذا لشيء مـا كنـت أنظـر فـيه, وإنـي لأراه كما هو ثم أرسل إلـى رجل كان عنده بـالشام كان يهوديـا, فأسلـم فحسُـن إسلامه, وكان يرى أنه من علـماء يهود, فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك, فقال مـحمد بن كعب: وأنا عند عمر بن عبد العزيز, فقال له عمر: أيّ ابنـي إبراهيـم أُمِر بذبحه؟ فقال: إسماعيـل واللـه يـا أميـر الـمؤمنـين, وإن يهـود لتعلـم بذلك, ولكنهم يحسُدونكم معشر العرب علـى أن يكـون أبـاكم الـذي كان من أمر الله فـيه, والفضل الذي ذكره الله منه لصبره لـما أمر به, فهـم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق, لأن إسحاق أبوهم, فـالله أعلـم أيهمـا كان, كلّ قد كان طاهرا طيبـا مطيعا لربه.
22638ـ حدثنـي مـحمد بن عمار الرازي, قال: حدثنا إسماعيـل بن عبـيد بن أبـي كريـمة, قال: حدثنا عمر بن عبد الرحيـم الـخطابـيّ, عن عبـيد بـن مـحمد العُتبـي من ولد عتبة بن أبـي سفـيان, عن أبـيه, قال: ثنـي عبـد اللـه بن سعيد, عن الصّنابحي, قال: كنا عنـد معاويـة بـن أبـي سفـيان, فـذكروا الذبـيح إسماعيـل أو إسحاق, فقال: علـى الـخبـير سقطتـم: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل, فقال: يا رسول الله عُدْ علـيّ مـما أفـاء الله علـيك يا ابن الذبـيحين فضحك علـيه الصلاة والسلام فقلنـا لـه: يـا

أمير المؤمنين, وما الذبيحان؟ فقال: إن عبد المطلب لما أُمِر بحفْر زمزم, نذر الله لئن سَهُل عليه أمرها ليذبحنّ أحد ولده, قال: فخرج السهم على عبد الله, فمنعه أخواله, وقالوا: افْدِ ابنك بمئة من الإبل, ففداه بمئة من الإبل, وإسماعيل الثاني.

22639ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عثمان بن عمر, قال: حدثنا ابن جريج, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ قال: الذي فُدِيَ به إسماعيل, ويعني تعالى ذكره الكبش الذي فُدِيَ به إسحاق, والعرب تقول لكلّ ما أُعِدّ للذبح ذِبْح, وأما الذّبح بفتح الذال فهو الفعل.

قال أبو جعفر: وأولى القولين بالصواب في المفْدِيّ من ابني إبراهيم خليل الرحمن على ظاهر التنزيل قول من قال: هو إسحاق, لأن الله قال: وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ فذكر أنه فَدَى الغلامَ الحليمَ الذي بُشّر به إبراهيم حين سأله أن يهب له ولدا صالحا من الصالحين, فقال: رَبّ هَبْ لي مِنَ الصّالِحِينَ فإذ كان المفدِيّ بالذبح من ابنيه هو المبشّر به, وكان الله تبارك اسمه قد بين في كتابه أن الذي بُشّر به هو إسحاق, ومن وراء إسحاق يعقوب, فقال جلّ ثناؤه: فَبَشّرْناهُ بإسَحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إسحَاقَ يَعْقُوبَ وكان في كل موضع من القرآن ذكر تبشيره إياه بولد, فإنما هو معنّى به إسحاق, كان بيّنا أن تبشيره إياه بقوله: فَبَشّرْناهُ بغُلامٍ حَلِيمٍ في هذا الموضع نحو سائر أخباره في غيره من آيات القرآن.

وبعد: فإن الله أخبر جلّ ثناؤه في هذه الآية عن خليله أن بشّره بالغلام الحليم عن مسألته إياه أن يهب له من الصالحين, ومعلوم أنه لم يسأله ذلك إلا في حال لم يكن له فيه ولد من الصالحين, لأنه لم يكن له من ابنيه إلا إمام الصالحين, وغير موهوم منه أن يكون سأل ربه في هبة ما قد كان أعطاه ووهبه له. فإذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن الذي ذكر تعالى ذكره في هذا الموضع هو الذي ذكر في سائر القرآن أنه بشّره به وذلك لا شك أنه إسحاق, إذ كان المفديّ هو المبشّر به. وأما الذي اعتلّ به من اعتلّ في أنه إسماعيل, أن الله قد كان وعد إبراهيم أن يكون له من إسحاق ابن ابن, فلم يكن جائزا أن يأمره بذبحه مع الوعد الذي قد تقدم فإن الله إنما أمره بذبحه بعد أن بلغ معه السعي, وتلك حال غير ممكن أن يكون قد وُلد لإسحاق فيها أولاد, فكيف الواحد؟ وأما اعتلال من اعتل بأن الله أتبع قصة المفديّ من ولد إبراهيم بقوله: وَبَشّرْناهُ بإسحَاقَ نَبِيّا ولو كان المفديّ هو إسحاق لم يبشّر به بعد, وقد ولد, وبلغ معه السعي, فإن البشارة بنبوّه إسحاق من الله فيما جاءت به الأخبار جاءت إبراهيم وإسحاق بعد أن فُدِي تكرمة من الله له على صبره لأمر ربه فيما امتحنه به من الذبح, وقد تقدمت الرواية قبلُ عمن قال ذلك. وأما اعتلال من اعتلّ بأن قرن الكبش كان معلقا في الكعبة فغير مستحيل أن يكون حُمِل من الشام إلى مكة. وقد رُوي عن جماعة من أهل العلم أن إبراهيم إنما أُمِر بذبح ابنه إسحاق بالشام, وبها أراد ذبحه.

واختلف أهل العلم في الذّبح الذي فُدِي به إسحاق, فقال بعضهم: كان كبشا. ذكر من قال ذلك:

22640ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن جابر, عن أبي الطفيل, عن عليّ وَفَديناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ قال: كبش أبيض أقرن أعين مربوط بسَمُرَة في ثَبِير.

22641ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني ابن جريج, عن عطاء بن أبي رباح, عن ابن عباس وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ قال: كبش عبيد بن عمير: ذُبِح بالمَقام, وقال مجاهد: ذبح بمنىً في المَنْحَر.

22642ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ابن خثيم, عن سعيد, عن ابن عباس قال: الكبش الذي ذبحه إبراهيم هو الكبش الذي قرّبه ابن آدم فتقبل منه.

22643ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا سيار, عن عكرمة, أن ابن عباس كان أفتى الذي جَعَلَ عليه أن ينحر نفسه, فأمره بمئة من الإبل, قال: فقال ابن عباس بعد ذلك: لو كنت أفتيته بكبش لأجزأه أن يذبح كبشا, فإن الله قال في كتابه: وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ.

22644ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ قال: ذِبْح كبش.

22645ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَفَدَيْناهُ بِذِبْحَ عَظِيمٍ قال: قال ابن عباس: التفتَ فإذا كبش, فأخذه فذبحه.

22646ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن سعيد بن جُبَير وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ قال: كان الكبش الذي ذبحه إبراهيم رعى في الجنة أربعين سنة, وكان كبشا أملح, صوفه مثل العِهْنِ الأحمر.

22647ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ قال: بكبش.

22648ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, قال: أخبرنا ليث, قال: قال مجاهد: الذبح العظيم: شاة.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد قوله: بِذِبْحٍ عَظِيمٍ قال: بكبش.

وحدثنا الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا شريك, عن ليث, عن مجاهد وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ قال: الذّبح: الكبش.

22649ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: التفت, يعني إبراهيم, فإذا بكبش, فأخذوه وخلّى عن ابنه.

22650ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: الذّبح العظيم: الكبش الذي فَدَى الله به إسحاق.

22651ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن الحسن بن دينار, عن قتادة بن دِعامة, عن جعفر بن إياس, عن عبد الله بن العباس, في قوله: وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ قال: خرج عليه كبش من الجنة قد رعاها قبل ذلك أربعين خريفا, فأرسل إبراهيم ابنه واتبع الكبش, فأخرجه إلى الجمرة الأولى فرمى بسبع حصيات, فأفلته عنده, فجاء الجمرة الوسطى, فأخرجه عندها, فرماه بسبع حصيات, ثم أفلته فأدركه عند الجمرة الكبرى, فرماه بسبع حصيات, فأخرجه عندها, ثم أخذه فأتى به المنحَر من مِنَى, فذبحه فوالذي نفس ابن عباس بيده, لقد كان أوّل الإسلام, وإن رأس الكبش لمعلّق بقرنيه عند مِيزاب الكعبة قد حُشّ, يعني يبس.

22652ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, قال ابن إسحاق: ويزعم أهل الكتاب الأول وكثـير من العلـماء أن ذبـيحة إبراهيـم التـي فدى بها ابنه كبش أملـح أقرن أعين.
22653ـ حدثنا عمرو بن عبد الـحميد, قال: حدثنا مروان بن معاوية, عـن جويبر, عن الضحاك فـي قوله: وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيـمٍ قال: بكبش.
وقال آخرون: كان الذبح وَعِلاً. ذكر من قال ذلك:
22654ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا معاوية بن هشام, عن سفـيان, عن رجل, عن أبـي صالـح, عن ابن عبـاس وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيـمٍ قال: كان وَعلاً.
22655ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, عن عمرو بن عبـيد, عن الـحسن أنـه كـان يقـول: مـا فُـدِي إسماعيــل إلا بتــيس مـن الأرويّ أهبط علـيه من ثبـير.
واختلف أهل التأويـل فـي السبب الذي من أجله قـيـل للذّبح الذي فدى به إسحاق عظيـم, فقال بعضهم: قـيـل ذلك كذلك, لأن كان رَعَى فـي الــجنة. ذكر من قال ذلك:
حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يـمان, عن سفـيان, عـن عبـد اللـه بـن عيسى, عن سعيد بن جُبَـير عن ابن عبـاس وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيـمٍ قال: رعـى فـي الـجنة أربعين خريفـا.
وقال آخرون: قـيـل له عظيـم, لأنه كان ذِبْحا متقبّلاً. ذكر من قال ذلك:
22656ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفـيان, عن ابـن جريـج, عن مـجاهد, عَظِيـمٍ قال: متقبّل.
حدثنا الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا شريك, عن لـيث, عـن مـجاهد فـي وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيـمٍ قال: العظيـم: الـمتقبل.
وقال آخرون: قـيـل له عظيـم, لأنه ذِبْحٌ ذُبِحَ بـالــحقّ, وذلـك ذبحـه بـدين إبراهيـم. ذكر من قال ذلك:
22657ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, عن عمرو بن عبـيد, عن الـحسن أنه كان يقول: مـا يقـول اللـه وَفَـدَيْناهُ بِذِبْـحٍ عَظِيــمٍ لذبـيحته التـي ذبح فقط, ولكنـه الذّبـح علــى دينـه, فتلـك السّـنة إلَــى يـوم القـيامة, فـاعلـموا أن الذبـيحة تدفع مِيتة السّوء, فضحّوا عبـاد الله.
قال أبو جعفر: ولا قول فـي ذلك أصحّ مـما قال اللـه جـلّ ثنـاؤه, وهـو أن يقال: فداه الله بذِبح عظيـم, وذلـك أن اللـه عـمّ وصـفه إيـاه بــالعظم دون تـخصيصه, فهو كما عمه به.
وقوله: وَتَرَكْنا عَلَـيْهِ فِـي الآخِرِينَ يقول تعالـى ذكره: وأبقـينا علـيه فـيـمن بعده إلـى يوم القـيامة ثناءً حسنا, كما:
22658ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَتَرَكْنا عَلَـيْهِ فِـي الآخِرِينَ قال: أبقـى الله علـيه الثناء الـحسن فـي الآخرين.
حدثنـي يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد فـي قوله: وَتَرَكْنا عَلَـيْهِ فِـي الآخِرِينَ قال: سأل إبراهيـمُ, فقال: وَاجْعَلْ لِـي لِسَانَ صِدْقٍ فــي الآخِرِينَ قال: فترك الله علـيه الثناء الـحسن فـي الآخرِين, كما ترك اللسانَ السّوْء علـى فرعون وأشبـاهه كذلك تـرك اللسـان الصـدق والثنـاء الصالــح علـى هؤلاء.
وقـيـل: معنى ذلك: وتركنا علـيه فـي الآخرين السلام, وهـو قـوله: سَـلامٌ علـى إبْرَاهِيـمَ, وذلك قول يُرْوى عن ابن عبـاس تركنا ذكره لأن فـي إسناده

من لم نستجز ذكره وقد ذكرنا الأخبار المروية في قوله: وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ فيما مضى قبل. وقيل: معنى ذلك: وتركنا عليه في الآخرين أن يقال: سلام على إبراهيم.

وقوله: سَلامٌ على إبْرَاهِيمَ يقول تعالى ذكره: أَمَنة من الله في الأرض لإبرايهم أن لا يذكر من بعده إلا بالجميل من الذكر. وقوله: كَذَلَكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ يقول: كما جزينا إبراهيم على طاعته إيانا وإحسانه في الانتهاء إلى أمرنا, كذلك نجزي المحسنين إنّهُ مِنْ عِبادِنا المُؤْمِنينَ يقول: إن إبراهيم من عبادنا المخلِصين لنا الإيمان.

الآية : 112-113

القول في تأويل قوله تعالى: {وَبَشّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مّنَ الصّالِحِينَ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىَ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرّيّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لّنَفْسِهِ مُبِينٌ }.

يقول تعالى ذكره: وبشّرنا إبراهيم بإسحاق نبيا شكرا له على إحسانه وطاعته, كما:

22659ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَبَشّرْناهُ بإسحَاقَ نَبِيّا مِنَ الصّالِحينَ قال: بشر به بعد ذلك نبيا, بعد ما كان هذا من أمره لمّا جاد لله بنفسه.

22660ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن داود, عن عكرمة, قال: قال ابن عباس: الذبيح إسحاق قال: وقوله: وَبَشّرْناهُ بإسحَاقَ نَبِيّا مِنَ الصّالِحِينَ قال بُشّر بنبوّته. قال: وقوله: وَوَهَبْنا لَهُ من رحمتنا أخاهُ هارُونَ نَبِيّا قال: كان هارون أكبر من موسى, ولكن أراد وَهَبَ الله له نبوّته.

22661ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا معتمر بن سليمان, قال: سمعت داود يحدّث, عن عكرمة, عن ابن عباس في هذه الآية وَبَشّرْناهُ بإسحَاقَ نَبِيّا مِنَ الصّالِحِينَ قال: إنما بشّره به نبيا حين فداه من الذبح, ولم تكن البشارة بالنبوّة عند مولده.

حدثني الحسين بن يزيد الطحان, قال: حدثنا ابن إدريس, عن داود, عن عكرمة, عن ابن عباس, في قول الله: وَبَشّرْناهُ بإسحَاقَ نَبِيّا قال: إنما بُشّر بالنبوّة.

22662ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَبَشّرْناهُ بإسحَاقَ نَبِيّا مِنَ الصّالِحِينَ قال: بُشّر إبراهيم بإسحاق.

22663ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَبَشّرْناهُ بإسحَاقَ نَبِيّا مِنَ الصّالِحينَ قال: بنبوّته.

22664ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا ابن فضيل, عن ضرار, عن شيخ من أهل المسجد, قال: بُشّر إبراهيم لسبع عشرة ومئة سنة.

وقوله: وَبارَكْنا عَلَيْهِ وَعَلى إسحَاقَ يقول تعالى ذكره: وباركنا على إبراهيم وعلى إسحاق وَمِنْ ذُرّيّتِهما مُحْسِنٌ يعني بالمحسن: المؤمن المطيع لله, المحسن في طاعته إياه وَظالِمٌ لنَفْسِهِ مُبِينٌ ويعني بالظالم لنفسه: الكافر بالله, الجالب على نفسه بكفره عذابَ الله وأليم عقابه مبين: يعني الذي قد أبان ظلمَه نفسَه بكفره بالله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22665ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: مُحْسِنٌ وَظالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ قال: المحسن: المطيع لله, والظالم لنفسه: العاصي لله.

الآية : 114-116

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ مَنَنّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ * وَنَجّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُواْ هُمُ الْغَالِبُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولقد تفضلنا على موسى وهارون ابني عمران, فجعلناهما نبيين, ونجيناهما وقومهما من الغم والمكروه العظيم الذي كانوا فيه من عُبودة آل فرعون, ومما أهلكنا به فرعون وقومه من الغرق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22666ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: وَنَجّيْناهُما وَقَوْمَهُما مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ قال: من الغرق.

22667ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَنَجّيْناهُما وَقَوْمَهُما مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ: أي من آل فرعون.

وقوله: وَنَصَرْناهُمْ يقول: ونصرنا موسى وهارون وقومهما على فرعون وآله بتغريقناهم, فَكانُوا هُمُ الغالِبِينَ لهم.

وقال بعض أهل العربية: إنما أريد بالهاء والميم في قوله: وَنَصَرْناهُمْ موسى وهارون, ولكنها أخرجت على مخرج مكنيّ الجمع, لأن العرب تذهب بالرئيس كالنبيّ والأمير وشبهه إلى الجمع بجنوده وأتباعه, وإلى التوحيد لأنه واحد في الأصل, ومثله: على خَوْفٍ من فرعَوْنَ ومَلَئهم وفي موضع آخر: وملئه. قال: وربما ذهبت العرب بالاثنين إلى الجمع كما تذهب بالواحد إلى الجمع, فتخاطب الرجل, فتقول: ما أحسنتم ولا أجملتم, وإنما تريده بعينه, وهذا القول الذي قاله هذا الذي حكينا قوله في قوله: وَنَصَرْناهُمْ وإن كان قولاً غير مدفوع, فإنه لا حاجة بنا إلى الاحتيال به لقوله: وَنَصَرْناهُمْ, لأن الله أتبع ذلك قوله: وَنَجّيْناهُما وَقَوْمَهُما مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ ثم قال: وَنَصَرْناهُمْ يعني: هما وقومهما, لأن فرعون وقومه كانوا أعداء لجميع بني إسرائيل, قد استضعفوهم, يذبحون أبناءهم, ويستحيون نساءهم, فنصرهم الله عليهم, بأن غرّقهم ونجّى الآخرين.

الآية : 117-122

القول في تأويل قوله تعالى: {وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الآخِرِينَ * سَلاَمٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ * إِنّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وآتينا موسى وهارون الكتاب: يعني التوراة, كما:

22668ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وآتَيْناهُما الكِتابَ المُسْتَبِينَ: التوراة.

ويعني بالمستبين: المتبيّن هُدَى ما فيه وتفصيله وأحكامه. وقوله: وَهَدَيْناهُما الصّراطَ المُسْتَقِيمَ يقول تعالى ذكره: وهدينا موسى وهارون الطريق المستقيم, الذي لا اعوجاج فيه وهو الإسلام دين الله, الذي ابتعث به أنبياءه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22669ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَهَدَيْناهُما الصّراطَ المُسْتَقِيمَ الإسلام.
وقوله: وَتَرَكْنا عَلَيْهِما فِي الآخِرِينَ يقول: وتركنا عليهما في الآخرين بعدهم الثناء الحسن عليهما.
وقوله: سَلامٌ على مُوسَى وَهارُونَ يقول: وذلك أن يقال: سلام على موسى وهارون.
وقوله: إنّا كَذلكَ نَجْزِي المُحْسَنِينَ يقول: هكذا نجزي أهل طاعتنا, والعاملين بما يرضينا عنهم إنّهُما مِنْ عِبادِنا المُؤْمِنِينَ يقول: إن موسى وهارون من عبادنا المخلصين لنا الإيمان.

الآية : 123-129

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِنّ إلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلاَ تَتّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ * اللّهَ رَبّكُمْ وَرَبّ آبَآئِكُمُ الأوّلِينَ * فَكَذّبُوهُ فَإِنّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إِلاّ عِبَادَ اللّهِ الْمُخْلَصِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ }.
يقول تعالى ذكره: وإن إلياس, وهو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران فيما:
22670ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سَلَمة, عن ابن إسحاق. وقيل: إنه إدريس.
22671ـ حدثنا بذلك بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: كان يقال: إلياس هو إدريس.
وقد ذكرنا ذلك فيما مضى قبل. وقوله: لَمِنَ المُرْسَلِينَ يقول جلّ ثناؤه: لمرسل من المرسلين إذْ قالَ لِقَوْمِهِ ألا تَتّقُونَ؟ يقول حني قال لقومه في بني إسرائيل: ألا تتقون الله أيها القوم, فتخافونه, وتحذرون عقوبته على عبادتكم ربا غير الله, وإلها سواه وَتَذَرُونَ أحْسَنَ الخالِقِينَ يقول: وتَدَعون عبادةَ أحسنِ مَن قيل له خالق.
وقد اختلف في معنى بَعْل, فقال بعضهم: معناه: أتدعون ربا؟ وقالوا: هي لغة لأهل اليمن معروفة فيهم. ذكر من قال ذلك:
22672ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا حِرْميّ بن عُمارة, قال: حدثنا شعبة, قال: أخبرني عُمارة, عن عكرمة, في قوله: أتَدْعُونَ بَعْلاً قال: إلها.
22673ـ حدثنا عمران بن موسى, قال: حدثنا عبد الوارث, قال: حدثنا عمارة, عن عكرمة, في قوله: أتَدْعونَ بَعْلاً يقول: أتدعون ربا, وهي لغة أهل اليمن, تقول: مَنْ بَعْل هذا الثور: أي من رَبّه؟.
22674ـ حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ومحمد بن عمرو, قالا: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: أتَدْعُونَ بَعْلاً؟ قال: ربا.
22675ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أتَدْعُونَ بَعْلاً قال: هذه لغة باليمانية: أتدعون ربا دون الله.
22676ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: أتَدْعُونَ بَعْلاً قال: رَبّا.
22677ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن عبد الله بن أبي يزيد, قال: كنت عند ابن عباس فسألوه عن

هذه الآية: أتَدْعُونَ بَعْلاً قال: فسكت ابن عباس, فقال رجل: أنا بعلُها, فقال ابن عباس: كفاني هذا الجواب.

وقال آخرون: هو صنم كان لهم يقال له بَعْل, وبه سميت بعلبك. ذكر من قال ذلك:

22678ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: أتَدْعُونَ بَعْلاً يعني: صنما كان لهم يسمى بَعْلاً.

22679ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أحْسَنَ الخالِقِينَ؟ قال: بعل: صنم كانوا يعبدون, كانوا ببعلك, وهم وراء دمشق, وكان بها البعل الذي كانوا يعبدون.

وقال آخرون: كان بَعْل: امرأة كانوا يعبدونها. ذكر من قال ذلك:

22680ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: سمعت بعض أهل العلم يقول: ما كان بَعْل إلا امرأة يعبدونها من دون الله.

وللبَعْل في كلام العرب أوجه: يقولون لربّ الشيء هو بَعْلَهُ, يقال: هذا بَعْل هذه الدار, يعني ربّها ويقولون لزوج المرأة بعلُها ويقولون لما كان من الغروس والزروع مستغنيا بماء السماء, ولم يكن سَقِيا بل هو بعل, وهو العَذْي. وذُكر أن الله بعث إلى بني إسرائيل إلياس بعد مهلك حِزْقيل بن يوزا. وكان من قصته وقصة قومه فيما بلغنا, ما:

22681ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن محمد بن إسحاق, عن وهب بن منبه, قال: إن الله قبض حِزْقيل, وعظمت من بني إسرائيل الأحداث, ونسُوْا ما كان من عهد الله إليهم, حتى نصبوا الأوثان وعبدوها دون الله, فبعث الله إليهم إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران نبيا. وإنما كانت الأنبياء من بني إسرائيل بعد موسى يُبعثون إليهم بتجديد ما نسُوا من التوراة, فكان إلياس مع ملك من ملوك بني إسرائيل, يقال له: أحاب, كان اسم امرأته: أربل, وكان يسمع منه ويصدّقه, وكان إلياس يقيم له أمره, وكان سائر بني إسرائيل قد اتخذوا صنما يعبدونه من دون الله يقال له بعل.

قال ابن إسحاق: وقد سمعت بعض أهل العلم يقول: ما كان بعد إلا امرأة يعبدونها من دون الله يقول الله لمحمد: وَإنّ إلْياس لَمِنَ المُرْسَلِينَ إذْ قالَ لِقَوْمِهِ ألا تَتّقُونَ أتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أحْسَنَ الخالِقِينَ اللّهَ رَبّكُمْ وَرَبّ آبائِكُمُ الأوّلِينَ فجعل إلياس يدعوهم إلى الله, وجعلوا لا يسمعون منه شيئا إلا ما كان من ذلك الملك, والملوك متفرّقة بالشام, كل ملك له ناحية منها يأكلها, فقال ذلك الملك الذي كان إلياس معه يقوّم له أمره, ويراه على هدى من بين أصحابه يوما: يا إلياس, والله ما أرى ما تدعو إليه إلا باطلاً, والله ما أرى فلانا وفلانا, يعدّد ملوكا من ملوك بني إسرائيل قد عبدوا الأوثان من دون الله إلا على مثل ما نحن عليه, يأكلون ويشربون وينعمون مملكين, ما ينقص دنياهم أمرُهم الذي تزعم أنه باطل, وما نرى لنا عليهم من فضل فيزعمون والله أعلم أن إلياس استرجع وقام شعر رأسه وجلده, ثم رفضه وخرج عنه, ففعل ذلك الملك فعل أصحابه: عبد الأوثان, وصنع ما يصنعون, فقال إلياس: اللهمّ إن بني إسرائيل قد أبَوْا إلا أن يكفروا بك والعبادةَ لغيرك, فغَيّرْ ما بهم من نعمتك, أو كما قال.

22682ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: حدثنا محمد بن إسحاق, قال: فذكر لي أنه أُوحي إليه: إنا قد جعلنا أمر أرزاقهم بيدك وإليك حتى تكون أنت الذي تأذن في ذلك, فقال إلياس: اللهمّ فأمسك عليهم المطر فحُبِس عنهم ثلاث سنين, حتى هلكت الماشية والهوامّ والدوابّ والشجر, وجَهِد الناس جَهدا شديدا. وكان إلياس فيما يذكرون حين دعا بذلك على بني إسرائيل قد استخفى, شفقا على نفسه منهم, وكان حيثما كان وضع له رزق, وكانوا إذا وجدوا ريح الخبز في دار أو بيت, قالوا: لقد دخل إلياس هذا المكان فطلبوه, ولقى منهم أهل ذلك المنزل شرا. ثم إنه أوَى ليلة إلى امرأة من بني إسرائيل لها ابن يقال له اليسع ابن أخطوب به ضرّ, فآوته وأخفت أمره, فدعا إلياس لابنها, فعُوفَى من الضرّ الذي كان به, واتبعَ اليسعُ إلياسَ, فآمن به وصدّقه ولزمه, فكان يذهب معه حيثما ذهب. وكان إلياس قد أسنّ وكبر, وكان اليسعُ غلاما شابا, فيزعمون والله أعلم أن الله أوحى إلى إلياس: إنك قد أهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعص سوى بني إسرائيل من البهائم والدوابّ والطير والهوامّ والشجر, بحبس المطر عن بني إسرائيل, فيزعمون والله أعلم أن إلياس قال: أي ربّ دعني أنا الذي أدعو لهم وأكون أنا الذي آتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء الذي أصابهم, لعلهم أن يرجعوا ويَنزِعوا عما هم عليه من عبادة غيرك, قيل له: نعم فجاء إلياس إلى بني إسرائيل فقال لهم: إنكم قد هلكتم جَهْدا, وهلكت البهائم والدوابّ والطير والهوامّ والشجر, بخطاياكم, وإنكم على باطل وغرور, أو كما قال لهم, فإن كنتم تحبون أن تعلموا ذلك, وتعلموا أن الله عليكم ساخط فيما أنتم عليه, وأن الذي أدعوكم إليه الحقّ, فاخرجوا بأصنامكم هذه التي تعبدون وتزعمون أنها خير مما أدعوكم إليه, فإن استجابت لكم, فذلك كما تقولون, وإن هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل, فنزعتُم, ودعوت الله ففرّج عنكم ما أنتم فيه من البلاء, قالوا: أنصفت فخرجوا بأوثانهم, وما يتقرّبون به إلى الله من إحداثهم الذي لا يرضى, فدعوها فلم تستجب لهم, ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء حتى عرفوا ما هم فيه من الضلالة والباطل, ثم قالوا لإلياس: يا إلياس إنا قد هلكنا فادع الله لنا, فدعا لهم إلياس بالفرج مما هم فيه, وأن يسقوا, فخرجت سحابة مثل التّرس بإذن الله على ظهر البحر وهم ينظرون, ثم ترامى إليه السحاب, ثم أرْخَسَتْ ثم أرسل المطر, فأغاثهم, فحييت بلادهم, وفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء, فلم ينزعوا ولم يرجعوا, وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه فلما رأى ذلك إلياس من كفرهم, دعا ربه أن يقبضه إليه, فيريحه منهم, فقيل له فيما يزعمون: انظر يوم كذا وكذا, فاخرج فيه إلى بلد كذا وكذا, فماذا جاءوك من شيء فاركبه ولا تهبه فخرج إلياس وخرج معه اليسع بن أخطوب, حتى إذا كان في البلد الذي ذُكر له في المكان الذي أُمر به, أقبل إليه فرس من نار حتى وقف بين يديه, فوثب عليه, فانطلق به, فناداه اليسع: يا إلياس يا إلياس ما تأمرني؟ فكان آخر عهدهم به, فكساه الله الريش, وألبسه النور, وقطع عنه لذّة المطعم والمشرب, وطار في الملائكة, فكان إنسيا ملكيا أرضيا سمَاويا.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: اللَّهَ رَبّكُمْ وَرَبّ آبائِكُمُ الأوّلِينَ فقرأته عامة قرّاء مكة والمدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة: «اللّهُ رَبّكُمْ وَرَبّ

آبـائِكُمُ الأوّلِـينَ» رفعا على الاسـتئناف, وأن الـخبر قـد تنـاهى عنـد قـوله: أحْسَنُ الـخالِقِـينَ. وقرأ ذلك عامـة قـرّاء الكوفـة: اللّـهَ رَبّكُـمْ وَرَبّ آبـائِكُمُ الأوّلِـينَ نصبـا, على الردّ على قوله: وَتَذَرُونَ أحْسَـنَ الـخالِقِـينَ علـى أن ذلك كله كلام واحد.

والصواب من القول فـي ذلك عندنا أنهما قراءتان متقاربتـا الـمعنى, مـع استفـاضة القـراءة بهمـا فـي القـرّاء, فبـأيّ ذلـك قـرأ القـارىء فمصـيب. وتأويـل الكلام: ذلك معبودكم أيهـا النـاس الـذي يستـحقّ علـيكم العبـادة: ربكم الذي خـلقكم, وربّ آبـائكم الـماضين قبلكم, لا الصنـم الـذي لا يخـلق شيئا, ولا يضرّ ولا ينفع.

وقوله: فَكَذّبُوهُ فإنّهُمْ لَـمُـحْضَرونَ يقـول: فكَـذّب إلـياسَ قـومُهُ, فـإنهم لـمـحضرون: يقول: فإنهم لـمـحضرون فـي عذاب الله فـيشهدونه, كما:

22683ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فإنّهُمْ لَـمُـحْضَرُونَ فـي عذاب الله.

إلاّ عِبـادَ اللّهِ الْـمُخْـلَصِينُ يقول: فإنهم يُحْضَرون فـي عذاب الله, إلا عبـاد الله الذين أخـلصهم من العذاب وَتَرَكْنا عَلَـيْهِ فِـي الآخِرِيـنَ يقـول: وأبقـينا علـيه الثناء الـحسن فـي الآخرين من الأمـم بعده.

الآية : 130-132

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {سَلاَمٌ عَلَىَ إِلْ يَاسِـينَ * إِنّـا كَـذَلِكَ نَجْـزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: أمنة من الله لآل ياسين.

واختلفت القرّاء فـي قراءة قوله: سَلامٌ عَلـى إلْـياسِينَ فقرأته عامة قرّاء مكة والبصرة والكوفة: سَلامٌ عَلـى إلْـياسِينَ بكسـر الألـف مـن إلـياسين, فكان بعضهم يقول: هو اسـم إلـياس, ويقـول: إنـه كـان يُسـمى بـاسمين: إلـياس, وإلـياسين مثـل إبراهيـم, وإبراهـام يُستشـهد علـى ذلـك أن ذلـك كذلك بأن جميع ما فـي السورة مـن قـوله: سَـلامٌ فـإنه سـلام علـى النبـيّ الذي ذكر دون آله, فكذلك إلـياسين, إنـما هو سلام علـى إلـياس دون آلـه. وكان بعض أهل العربـية يقول: إلـياس: اسم من أسماء العبرانـية, كقولهم: إسماعيـل وإسحاق, والألف واللام منه, ويقول: لو جعلته عربـيا من الإلـس, فتـجعله إفعالاً, مثل الإخـراج, والإدخـال أُجْـرِي ويقـول: قـال: سـلام علـى إلـياسين, فتـجعله بـالنون, والعَجَمِيّ من الأسماء قد تفعـل بـه هـذا العـرب, تقول: ميكال وميكائيـل وميكائين, وهي فـي بنـي أسد تقول: هذا إسـماعين قد جاء, وسائر العرب بـاللام قال: وأنشدنـي بعض بنـي نُـمير لضبّ صادَهُ:

يَقُولُ رَبّ السّوقِ لَـمّا جِيناهَذَا وَرَبّ البَـيْتِ إسْرَائِينا

قال: فهذا كقـوله: إلـياسين قـال: وإن شـئت ذهبـت بإلـياسين إلـى أن تـجعله جمعا, فتـجعل أصحابه داخـلين فـي اسمه, كما تقول لقوم رئيسـهم الـمهلب: قد جاءتكم الـمهالبة والـمهلبون, فـيكون بـمنزلة قولهم الأشعرين بـالتـخفـيف, والسعدين بـالتـخفـيف وشبهه, قال الشاعر:

(أنا ابْنُ سَعْدٍ سَيّدِ السّعْدِيْنَا)

قال: وهو فـي الاثنـين أن يضمّ أحدهما إلـى صاحبه إذا كان أشهر منه اسما كقول الشاعر:

جَزَانِـي الزّهْدَمانِ جَزاءَ سَوْءٍوكُنتُ الـمَرْءَ يُجْزَى بـالكَرَامَهْ

واسم أحدهما: زهدم وقال الآخر:

جَزَى اللّهُ فِيها الأعْوَرَيْنِ ذَمامَةًوَفَرْوَةَ ثَفْرَ الثّوْرَةِ الـمُتَضَاجِمِ
واسم أحدهما أعور.
وقرأ ذلك عامة قرّاء الـمدينة: «سَـلاَمٌ عَلـى آلِ ياسِـينَ» بقطع آل مـن ياسين, فكان بعضهم يتأوّل ذلك بـمعنى: سلام علـى آل مـحمد. وذُكـر عـن بعض القرّاء أنه كان يقرأ قوله: وَإنّ إلْـياسَ بترك الهمز فـي إلـياس ويجعـل الألف واللام داخـلتـين علـى «يـاس» للتعريـف, ويقـول: إنـما كـان اسـمه «يـاس» أدخـلت علـيه ألـف ولام ثـم يقـرأ علـى ذلـك» «سـلام علـى الْـياسين».
والصواب من القراءة فـي ذلك عندنا قراءة من قرأه: سَلامٌ عَلـى إلْـياسِينَ بكسر ألفها علـى مثال إدراسين, لأن الله تعالـى ذكـره إنـما أخـبر عـن كـلّ موضع ذكر فـيه نبـيا من أنبـيائه صلوات الله علـيهم فـي هـذه السـورة بـأن علـيه سلاما لا علـى آله, فكذلك السلام فـي هـذا الـموضع ينبغـي أن يكـون علـى إلـياس كسلامه علـى غيره من أنبـيائه, لا علـى آله, علـى نـحو ما بـيّنا من معنى ذلك.
فإن ظنّ ظانّ أن إلـياسين غير إلـياس, فإن فـيـما حكينا من احتـجاج من احتـجّ بأن إلـياسين هو إلـياس غنـي عن الزيادة فـيه, مع أن فـيـما:
22684ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قـال: حدثنا أسبـاط, عن السدي سَلامٌ عَلـى إلْـياسِينَ قال: إلـياس.
وفـي قراءة عبد الله بن مسعود: «سَلامٌ عَلـى إدْرَاسِـينَ» دلالـة واضـحة علـى خطأ قول من قال: عنى بذلك سلام علـى آل مـحمد, وفسـاد قـراءة من قرأ: «وإنّ الـياسَ» بوصـل النـون مـن «إن» بـالـياس, وتـوجيه الألـف واللام فـيه إلـى أنهما أدخـلتا تعريفـا للاسم الذي هو ياس, وذلك أن عبد الله كان يقول: إلـياس هو إدريس, ويقرأ: «وَإنّ إدْرِيسَ لَـمِنَ الـمُرْسَلِـينَ», ثـم يقرأ علـى ذلك: «سلامٌ عَلـى إدْرَاسِـينَ», كمـا قـرأ الآخـرون: سَـلامٌ عُلـى إلـياسِينَ, فلا وجه علـى ما ذكرنا من قراءة عبد الله لقـراءة مـن قـرأ ذلـك: «سَـلامٌ عَلـى آلِ ياسِـينَ» بقطع الآل مـن ياسـين. ونظيـر تسـمية إلـياس بـالـياسين: وَشَجَرَةٌ تُـخْرُجُ مِنْ طُورِ سِيناءَ, ثم قال فـي موضع آخـر: وَطُـورِ سِينِـينَ وهو موضع واحد سمي بذلك.
وقوله: إنّا كَذلكَ نَـجْزِي الـمُـحْسِنِـينَ يقول تعالـى ذكره: إنا هكـذا نــجزي أهل طاعتنا والـمـحسنـين أعمالاً. وقوله: إنّه مِنْ عِبــادِنا الـمُؤْمِنِــينَ يقـول: إن إلـياس عبد من عبـادنا الذين آمنوا, فوحّدونا, وأطاعونا, ولـم يُشركوا بنـا شيئا.

الآية : 133-136

القول فـي تأويـل قوله تعالــى: {وَإنّ لُوطـاً لّمِـنَ الْمُرْسَـلِينَ * إذْ نَجّيْنَـاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إلاّ عَجُوزاً فِي الْغَابِرِينَ * ثُمّ دَمّرْنَا الآخَرِينَ }.
يقول تعالـى ذكره: وإن لوطا الـمرسل من الـمرسلـين إذْ نَـجّيْناهُ وأهْلَهُ أجمَعِينَ يقول: إذ نـجّينا لوطا وأهله أجمعين من العذاب الذي أحللناه بقومه, فأهلكناهم به إلاّ عَجُوزا فـي الغَابِرِينَ يقول: إلا عجوزا فـي البـاقــين, وهـي امرأة لوط, وقد ذكرنا خبرها فـيـما مضى, واختلاف الـمختلفـين فـي معنـى قوله فِـي الغابِرِينَ, والصواب من القول فـي ذلك عندنا. وقد:

22685ـ حُدثت عن المسيّب بن شريك, عن أبي روق, عن الضحاك إلاّ عَجُوزا في الغابِرِينَ يقول: إلا امرأته تخلّفت فمسخت حجرا, وكانت تسمى هيشفع.
22686ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: إلاّ عَجُوزا فِي الغابِرِينَ قال: الهالكين.
وقوله: ثُمّ دَمّرْنا الآخَرِينَ يقول: ثم قذفناهم بالحجارة من فوقهم, فأهلكناهم بذلك.

الآية : 137-138

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِنّكُمْ لّتَمُرّونَ عَلَيْهِمْ مّصْبِحِينَ * وَبِاللّيْلِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ }.
يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: وإنكم لتمرّون على قوم لوط الذين دمّرناهم عند إصباحكم نهارا وبالليل, كما:
22687ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَإِنّكُمْ لَتَمُرّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ قالوا: نعم والله صباحا ومساء يطوؤنها وطْئا, مَن أخَذَ من المدينة إلى الشام, أخذ على سدوم قرية قوم لوط.
22688ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ في قوله: لَتَمُرّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ قال: في أسفاركم.
وقوله: أفَلا تَعْقِلُونَ يقول: أفليس لكم عقول تتدبرون بها وتتفكّرون, فتعلمون أن من سلك من عباد الله في الكفر به, وتكذيب رسله, مسلك هؤلاء الذين وصف صفتهم من قوم لوط, نازل بهم من عقوبة الله, مثل الذي نزل بهم على كفرهم بالله, وتكذيب رسوله, فيزجركم ذلك عما أنتم عليه من الشرك بالله, وتكذيب محمد عليه الصلاة والسلام, كما:
22689ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أفَلا تَعْقِلُونَ قال: أفلا تتفكّرون ما أصابهم في معاصي الله أن يصيبكم ما أصابهم, قال: وذلك المرور أن يمرّ عليهم.

الآية : 139-142

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِنّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ }.
يقول تعالى ذكره: وإن يونس لمرسلٌ من المرسلين إلى أقوامهم إذْ أَبَقَ إلى الفُلْكِ المَشْحُونِ يقول: حين فرّ إلى الفُلك, وهو السفينة, المشحون: وهو المملوء من الحمولة المُوقَر, كما:
22690ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إلى الفُلْكِ المَشْحُون كنّا نحدّث أنه الموقر من الفُلك.
22691ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: الفُلكِ المَشْحُونِ قال: الموقر.
وقوله: فَساهَمَ يقول: فقارَعَ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
22692ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: حدثنا معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فَساهَمَ يقول أقْرَعَ.

22693ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَساهَمَ فَكانَ مِنَ الـمُدْحَضِينَ قال: فـاحتبست السفـينة, فعلـم القوم أنـما احتبست مـن حـدث أحـدثوه, فتسـاهموا, فقُـرِع يـونس, فرمـى بنفسـه, فـالتقمه الـحوت.

22694ـ حدثنا مـحمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, فـي قوله: فَساهَمَ قال: قارع.

وقوله: فَكانَ مِنَ الـمُدْحَضِينَ يعنـي: فكان من الـمسهومين الـمغلوبـين, يقال منه: أدحض الله حجة فلان فدحضـت: أي أبطلهـا فبطلـت, والـدّحْض: أصله الزلق فـي الـماء والطين, وقد ذُكـر عنهـم: دَحَـض اللـه حجتـه, وهـي قلـيـلة. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22695ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قـال: ثنـي معاويـة, عـن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: فَكانَ مِنَ الـمُدْحَضِينَ يقول: من الـمقروعين.

22696ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عـن ابـن أبـي نـجيح, عـن مـجاهد, قـوله: مِـنَ الـمُدْحَضِينَ قـال: مـن الـمسهومين.

22697ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قـال: حـدثنا أسبـاط, عـن السـديّ, قـوله: فَكـان مِـنَ الـمُدْحَضِينَ قـال: مـن الـمقروعين.

وقوله: فـالْتَقَمَهُ الـحُوتُ يقول: فـابتلعه الـحوت وهـو افتعـل مـن اللّقْـم. وقوله: وَهُوَ مُلِـيـمٌ يقول: وهو مكتسب اللوم, يقال: قد ألام الرجل, إذا أتـى ما يُلام علـيه من الأمر وإن لـم يُـلَـم, كما يقال: أصـبحتَ مُـحْمِقا مُعْطِشـا: أي عندك الـحمق والعطش ومنه قول لبـيد:

سَفَهَا عَذَلْتَ ولُـمْتَ غيرَ مُلِـيـمِوَهَداكَ قَبلَ الـيوْمِ غيرُ حَكِيـم

فأما الـملوم فهو الذي يُلام بـاللسان, ويعذل بـالقول. وبنـحو الـذي قلنـا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22698ـ حدثنـي مـحمد بن عمـرو, قـال: ثنـي أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: وَهُوَ مُلِـيـمٌ قال: مذنب.

22699ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة وَهُـوَ مُلِـيـمٌ: أي فـي صنعه.

22700ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله: وَهُوَ مُلِـيـمٌ قال: وهو مذنب, قال: والـمليـم: الـمذنب.

الآية : 143-146

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَلَوْلاَ أَنّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبّحِينَ * لَلَبِثَ فِـي بَطْنِهِ إِلَىَ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَآءِ وَهُـوَ سَـقِيمٌ * وَأَنبَتْنَـا عَلَيْـهِ شَـجَرَةً مّن يَقْطِينٍ }.

يقول تعالـى ذكره: فَلَوْلا أنّهُ يعنـي يونس كانَ مِـنَ الـمُصَلّـين لله قبـل البلاء الذي ابتُلـي به من العقوبـة بـالـحبس فـي بطـن الـحوت لَلَبِـثَ فِـي بَطْنِهِ إلـى يَوْمِ يُبْعَثُونَ يقول: لبِقـي فـي بطـن الـحوت إلـى يـوم القـيامة, يوم يبعث الله فـيه خـلقه مـحبوسا, ولكنه كان من الذاكرين الله قبـل البلاء, فذكره الله فـي حال البلاء, فأنقذه ونـجّاه.

وقد اختلف أهل التأويل في وقت تسبيح يونس الذي ذكره الله به, فقال فَلَوْلا أنّهُ كانَ مِنَ المُسَبّحِينَ فقال بعضهم نحو الذي قلنا في ذلك, وقالوا مثل قولنا في معنى قوله: مِنَ المُسَبّحِينَ. ذكر من قال ذلك:

22701ـ حدثنا بشر, قا: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَلَوْلا أنّهُ كانَ مِنَ المُسَبّحِينَ كان كثير الصّلاةِ في الرّخاء, فنجّاه الله بذلك قال: وقد كان يقال في الحكمة: إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا ما عَثَر, فإذا صُرِع وَجد متكأ.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن بعض أصحابه, عن قتادة, في قوله: فَلَوْلا أنّهُ كانَ مِنَ المُسَبّحينَ قال: كان طويل الصلاة في الرخاء قال: وإنّ العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر, وإذا صرع وجد متكأ.

22702ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: حدثنا أبو صخر, أن يزيد الرّقاشي, حدّثه, قال: سمعت أنس بن مالك, قال: ولا أعلم إلا أن أنسا يرفع الحديث إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم: «أنّ يُونُسَ النّبِيّ حِينَ بَدَا لَهُ أنْ يَدْعُوَ اللّهَ بالكَلِماتِ حِينَ نادَاهُ وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ, فَقالَ: اللّهُمّ لا إلهَ إلاّ أنْتَ سُبْحانَكَ إنّي كُنْتُ مِنَ الظّالِمِين, فأقْبَلَتِ الدّعْوَةُ تَحْتَ العَرْشِ, فَقالَتِ المَلائِكَةُ: يا رَبّ هَذا صَوْتٌ ضَعِيفٌ مَعْرُوفٌ فِي بِلادٍ غَرِيبَةٍ, قال: أما تَعْرِفُونَ ذلكَ؟ قالوا يا رَبّ وَمَنْ هُوَ؟ قالَ: ذلكَ عَبْدي يُونُسُ, قالُوا: عَبْدُكَ يُونُسُ الّذي لَمْ يَزلْ يُرْفَعُ لَهُ عَمَلٌ مُتَقَبّلٌ وَدَعْوَةٌ مُسْتَجابَةٌ, قالُوا: يا رَبّ أوَلا يُرْحَمُ بِمَا كانَ يَصْنَعُ فِي الرّخاءِ فَتُنَجّيهِ مِنَ البَلاءِ؟ قالَ: بَلى, فأمَرَ الحُوتَ فَطَرَحَهُ بالعَرَاءِ».

22703ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عاصم, عن أبي رزين, عن ابن عباس فَلَوْلا أنّهُ كانَ مِنَ المُسَبّحِينَ قال: من المصلّين.

22704ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي الهيثم, عن سعيد بن جُبَير فَلَوْلا أنّهُ كانَ مِنَ المُسَبّحِينَ قال: من المصلّين.

22705ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يمان, عن أبي جعفر, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية فَلَوْلا أنّهُ كانَ مِنَ المُسَبّحِينَ قال: كان له عمل صالح فيما خلا.

22706ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: مِنَ المُسَبّحِينَ قال: المصلين.

22707ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا كثير بن هشام, قال: حدثنا جعفر, قال: حدثنا ميمون بن مهران, قال: سمعت الضحاك بن قيس يقول على منبره: اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدّة, إن يونس كان عبدا لله ذاكرا, فلما أصابته الشدّة دعا الله فقال الله: لَوْلا أنّهُ كانَ مِنَ المُسَبّحِينَ لَلَبثَ فِي بَطْنِهِ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ فذكره الله بما كان منه, وكان فرعون طاغيا باغيا فَلَمّا أدْرَكَهُ الغَرَقُ قالَ آمَنْتُ أنّهُ لا إلَهَ إلاّ الّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرَائِيلَ وأنا مِنَ المُسْلِمينَ آلآنَ وَقَدْ عَصَيتَ قَبْلُ وكُنْتُ مِنَ المُفْسِدِينَ قال الضحاك: فاذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدّة.

قال أبو جعفر: وقيل: إنما أحدث الصلاة التي أخبر الله عنه بها, فقال: فَلَوْلا أنّهُ كانَ مِنَ المُسَبّحِينَ في بطن الحوت.

وقال بعضهم: كان ذلك تسبيحا, لا صلاة. ذكر من قال ذلك:

22708ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا عمران القطان, قال: سمعت الحسن يقول في قوله: فَلَوْلا أَنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبّحِينَ قال: فوالله ما كانت إلا صلاة أحدثها في بطن الحوت قال عمران: فذكرت ذلك لقتادة, فأنكر ذلك وقال: كان والله يكثر الصلاة في الرخاء.
22709ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن المغيرة بن النعمان, عن سعيد بن جُبَير: فالْتَقَمَهُ الحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ قال: قال لا إلَهَ إلاّ أنْتَ سُبْحانَكَ إنّي كُنْتُ مِنَ الظّالِمِينَ فلما قالها, قذفه الحوت, وهو مغرب.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
22710ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ: لصار له بطن الحوت قبرا إلى يوم القيامة.
22711ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن السديّ, عن أبي مالك, قال: لبث يونس في بطن الحوت أربعين يوما.
وقوله: فَنَبَذْناهُ بالعَرَاءِ يقول: فقذفناه بالفضاء من الأرض, حيث لا يواريه شيء من شجر ولا غيره ومنه قول الشاعر:
وَرَفَعْتُ رِجْلاً لا أخافُ عِثارَهاوَنَبَذْتُ بالبَلَدِ العَرَاءِ ثِيابِي
يعني بالبلد: الفضاء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
22712ـ حدثني عليّ, قال: ثني أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فَنَبَذْناهُ بالعَرَاءِ يقول: ألقيناه بالساحل.
22713ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَنَبَذْناهُ بالعَرَاءِ بأرض ليس فيها شيء ولا نبات.
22714ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: بالعَراءِ قال: بالأرض.
وقوله: وَهُوَ سَقِيمٌ يقول: وهو كالصبيّ المنفوس: لحم نيء, كما:
22715ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَهُوَ سَقِيمٌ كهيئة الصبيّ.
22716ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن يزيد بن زياد, عن عبد الله بن أبي سلمة, عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس, قال: خرج به, يعني الحوت, حتى لفظه في ساحل البحر, فطرحه مثل الصبيّ المنفوس, لم ينقص من خلقه شيء.
22717ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: ما لَفَظه الحوت حتى صار مثل الصبيّ المنفوس, قد نشر اللحم والعظم, فصار مثل الصبيّ المنفوس, فألقاه في موضع, وأنبت الله عليه شجرة من يقطين.
وقوله: وأنْبَتْنا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ يقول تعالى ذكره: وأنبتنا على يونس شجرة من الشجر التي لا تقوم على ساق, وكل شجرة لا تقوم على ساق كالدّباء والبِطّيخ والحَنْظَل ونحو ذلك, فهي عند العرب يَقْطِين.
واختلف أهل التأويل في ذلك, فقال بعضهم نحو الذي قلنا في ذلك. ذكر من قال ذلك:

22718ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, عن القاسم بن أبي أيوب, عن سعيد بن جُبَيْر, في قوله: وأَنْبَتْنا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ قال: هو كلّ شيء ينبت على وجه الأرض ليس له ساق.
22719ـ حدثني مطر بن محمد الضبي, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا الأصبغ بن زيد, عن القاسم بن أبي أيوب, عن سعيد بن جُبَير, في قوله: وأَنْبَتْنا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ قال: كلّ شيء ينبت ثم يموت من عامه.
22720ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن حبيب, عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس, قال: شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ فقالوا عنده: القرع قال: وما يجعله أحقّ من البطيخ.
22721ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ قال: غير ذات أصل من الدّبّاء, أو غيره من نحوه.
وقال آخرون: هو القرع. ذكر من قال ذلك:
22722ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وأَنْبَتْنا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ قال: القرع.
22723ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي إسحاق, عن عمرو بن ميمون, عن عبد الله, أنه قال في هذه الآية: وأَنْبَتْنا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ قال: القرع.
22724ـ حدثني مطر بن محمد الضبيّ, قال: حدثنا عبد الله بن داود الواسطي, قال: حدثنا شريك, عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودي, في قوله: وأَنْبَتْنا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ قال: القرع.
22725ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدّثنا سعيد, عن قتادة وأَنْبَتْنا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ: كنّا نحدّث أنها الدّبّاء, هذا القرع الذي رأيتم أنبتها الله عليها يأكل منها.
22726ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني أبو صخر, قال: ثني ابن قسيط, أنه سمع أبا هُرَيرة يقول: طرح بالعراء, فأنبت الله عليه يقطينة, فقلنا: يا أبا هريرة وما اليقطينة؟ قال: الشجرة الدّبّاء, هيأ الله له أروية وحشية تأكل من خَشاش الأرض أو هَشاش فتفشخ عليه فترويه من لبنها كلّ عشية وبكرة حتى نبت. وقال ابن أبي الصلت قبل الإسلام في ذلك بيتا من شعر:
فأَنْبَتَ يَقْطِينا عَلَيْهِ برَحْمَةٍمِنَ اللّهِ لَوْلا اللّهُ أُلْفِيَ ضَاحِيا
22727ـ حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي, قال: حدثنا فضيل بن عياض, عن مغيرة في قوله: وأَنْبَتْنا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ قال: القرع.
22728ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ قال: القرع.
22729ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: أنبت الله عليه شجرة من يقطين قال: فكان لا يتناول منها ورقة فيأخذها إلا أروته لبنا, أو قال: شرب منها ما شاء حتى نبت.
22730ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ قال: هو القرع, والعرب تسميه الدّبّاء.

22731ـ حدثنا عمرو بن عبد الحميد, قال: حدثنا مروان بن معاوية, عن ورقاء, عن سعيد بن جُبَير في قول الله: وأَنْبَتْنا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ قال: هو القرع.

22732ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد, قوله: وأَنْبَتْنا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ قال: القرع.

وقال آخرون: كان اليقطين شجرةً أظلّت يونس. ذكر من قال ذلك:

22733ـ حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ثابت بن يزيد, عن هلال بن خباب, عن سعيد بن جُبَير, قال: اليقطين: شجرة سماها الله يقطينا أظلته, وليس بالقرّع. قال: فِيما ذكر أرسل الله عليه دابة الأرض, فجعلت تقرض عروقها, وجعل ورقها يتساقط حتى أفضت إليه الشمس وشكاها, فقال: يا يونس جزعت من حرّ الشمس, ولم تجزع لمئة ألف أو يزيدون تابوا إليّ, فتبت عليهم؟

الآية : 147-149

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىَ مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُواْ فَمَتّعْنَاهُمْ إِلَىَ حِينٍ * فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فأرسلنا يونس إلى مئة ألف من الناس, أو يزيدون على مئة ألف. وذُكر عن ابن عباس أنه كان يقول: معنى قوله أَوْ: بل يزيدون. ذكر الرواية بذلك:

22734ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن سالم بن أبي الجعد, عن الحكم بن عبد الله بن الأزور, عن ابن عباس, في قوله: وأرْسلْناهُ إلى مِئَةِ ألْفٍ أوْ يَزِيدُونَ قال: بل يزيدون, كانوا مئة ألف وثلاثين ألفا.

22735ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن سعيد بن جُبَير, في قوله: مِئَةِ ألْفٍ أوْ يَزِيدُونَ قال: يزيدون سبعين ألفا, وقد كان العذاب أرسل عليهم, فلما فرّقوا بين النساء وأولادها, والبهائم وأولادها, وعجّوا إلى الله, كشف عنهم العذاب, وأمطرت السماء دما.

22736ـ حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي, قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة, قال: سمعت زُهَيرا, عمن سمع أبا العالية, قال: ثني أبيّ بن كعب, أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله: وأرْسَلْناهُ إلى مِئَةِ ألْفٍ أوْ يَزِيدُونَ قال: يزيدون عشرين ألفا.

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول في ذلك: معناه إلى مئة ألف أو كانوا يزيدون عندكم, يقول: كذلك كانوا عندكم.

وإنما عنى بقوله: وأرْسَلْناهُ إلى مِئَةِ ألْفٍ أوْ يَزِيدُونَ أنه أرسله إلى قومه الذين وعدهم العذاب, فلما أظلّهم تابوا, فكشف الله عنهم. وقيل: إنهم أهل نينَوَى. ذكر من قال ذلك:

22737ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وأرْسَلْناهُ إلى مِئَةِ ألْفٍ أوْ يَزِيدُونَ أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل, قال: قال الحسن: بعثه الله قبل أن يصيبه ما أصابه فَآمَنُوا فَمَتّعْناهُمْ إلى حِينٍ.

22738ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن

ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قـوله: إلـى مِئَـةِ أَلْـفٍ أوْ يَزِيـدُونَ قـال: قـوم يونس الذين أرسل إلـيهم قبل أن يـلتقمه الـحوت.
وقـيـل: إن يونس أُرسل إلـى أهل نِـيْنَوَى بعد ما نبذه الـحوت بـالعراء. ذكر من قال ذلك:
22739ـ حدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قـال: سـمعت أبـا هلال مـحمد بن سلـيـمان, قال: حـدثنا شـهر بـن حوشـب, قـال: أتـاه جبرائيـل, يعنـي يـونس, وقـال: انطلـق إلـى أهـل نِـيْنَوَى فأنـذرهم أن العـذاب قـد حضرهم قال: ألتـمس دابة قال: الأمر أعجل من ذلك, قال: ألتـمس حـذاء, قال: الأمر أعجل من ذلـك, قـال: فغضـب فـانطلق إلـى السفـينة فركـب فلـما ركـب احتبسـت السفـينة لا تُقـدّم ولا تُـؤخر قـال: فتسـاهموا, قـال: فسُهم, فجاء الـحوت يبصبص بذنبه, فنودي الـحوت: أيا حوت إنا لـم نـجعل يونس لك رزقا, إنـما جعلنـاك لـه حـوزا ومسـجدا قـال: فـالتقمه الـحوت, فـانطلق به من ذلك الـمكان حتـى مرّ به علـى الأيْـلة, ثـم انطلـق بـه حتـى مرّ به علـى دجلة, ثم انطلق به حتـى ألقاه فـي نـينوى.
22740ـ حدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا أبو هلال, قال: حدثنا شهر بن حوشب, عن ابن عبـاس قال: إنـما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الـحوت.
وقوله: فَآمَنُوا يقول: فوحدوا اللـه الـذي أرسـل إلـيهم يـونس, وصـدّقوا بحقـيقة ما جاءهم به يونس من عند الله.
وقوله: فَمَتّعْناهُمْ إلـى حِينٍ يقول: فأخرنا عنهم العـذاب, ومتعنـاهم إلـى حين بحياتهم إلـى بلوغ آجالهم من الـموت. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلـك قـال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
22741ـ حدثنا بشر, قـال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة فَمَتّعْناهُمْ إلـى حِينٍ: الـموت.
22742ـ حدثنـي مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, فـي قوله: فَمَتّعْناهُمْ إلـى حِينٍ قال: الـموت.
وقوله: فـاسْتَفْتِهِمْ يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: سل يا مـحمد مشركي قومك من قريش, كما:
22743ـ حدثنا بشر, قـال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة فـاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبّكَ البَناتُ وَلهُمُ البَنُونَ: يعنـي مشركي قريش.
22744ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله: فـاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبّكَ البَناتُ وَلَهُمُ البَنُونَ قال: سلهم, وقـرأ: وَيَسْـتَفْتُونَكَ قال: يسألونك.
22745ـ حدثنا مـحمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ فـاسْتَفْتِهِمْ يقول: يا مـحمد سلهم. وقوله: أَلِرَبّكَ البَناتُ وَلَهُـمُ البَنُـونَ: ذكـر أن مشركي قريش كانوا يقولون: الـملائكة بنات الله, وكانوا يعبدونها, فقال الله لنبـيه مـحمد علـيه الصلاة والسلام: سـلهم, وقـل لهـم: ألربـي البنـات ولكم البنون؟ وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قـال أهـل التأويـل. ذكـر مـن قـال ذلك:
22746ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, أَلَرَبّكَ البَناتُ وَلَهُمُ البَنُونَ؟ لأنهم قالوا: يعنـي مشركي قريـش: للـه البنـات, ولهـم البنون.

22747ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: فاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبّكَ البَناتُ وَلهُمُ البَنُونَ قال: كانوا يعبدون الملائكة.

الآية : 150-152

القول في تأويل قوله تعالى: {أَمْ خَلَقْنَا الْمَلاَئِكَةَ إِنَاثاً وَهُمْ شَاهِدُونَ * أَلاَ إِنّهُم مّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللّهُ وَإِنّهُمْ لَكَاذِبُونَ }.

يعني تعالى ذكره: أم شهد هؤلاء القائلون من المشركين: الملائكة بنات الله خلقيَ الملائكة وأنا أخلقهم إناثا, فشهدوا هذه الشهادة, ووصفوا الملائكة بأنها إناث.

وقوله: ألا إنّهُمْ مِنْ إفْكِهِمْ يقول تعالى ذكره: ألا إن هؤلاء المشركين من كذبهم لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللّهُ وإنّهُمْ لَكاذِبونَ في قيلهم ذلك, كما:

22748ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ألا إنّهُمْ مِنْ إفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ يقول: من كذبهم.

الآية : 153-157

القول في تأويل قوله تعالى: {أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَىَ الْبَنِينَ * مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَفَلاَ تَذَكّرُونَ * أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مّبِينٌ * فَأْتُواْ بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }.

يقول تعالى ذكره موَبّخا هؤلاء القائلين لله البنات من مشركي قريش: أصْطَفَى الله أيها القوم البَنات عَلى البَنِينَ؟ والعرب إذا وجهوا الاستفهام إلى التوبيخ أثبتوا ألف الاستفهام أحيانا وطرحوها أحيانا, كما قيل: أذْهَبْتُمْ بالقصر طَيّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدّنيْا يستفهم بها, ولا يُستفهم بها, والمعنى في الحالين واحد, وإذا لم يستفهم في قوله: أصْطَفَى الْبَناتِ ذهبت ألف اصطفى في الوصل, ويبتدأ بها بالكسر, وإذا استفهم فُتحت وقطعت.

وقد ذُكر عن بعض أهل المدينة أنه قرأ ذلك بترك الاستفهام والوصل. فأما قرّاء الكوفة والبصرة, فإنهم في ذلك على قراءته بالاستفهام, وفتح ألفه في الأحوال كلها, وهي القراءة التي نختار لإجماع الحجة من القرّاء عليها.

وقوله: مالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ يقول: بئس الحكمُ تحكمون أيها القوم أن يكون لله البنات ولكم البنون, وأنتم لا ترضون البنات لأنفسكم, فتجعلون له ما لا ترضونه لأنفسكم؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22749ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أَصْطَفَى الْبناتِ على الْبَنِينَ ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ يقول: كيف يجعل لكم البنين ولنفسه البنات, مالكم كيف تحكمون؟.

وقوله: أفَلا تَذَكّرُونَ يقول: أفلا تتدبرون ما تقولون؟ فتعرفوا خطأه فتنتهوا عن قيله.

وقوله: أمْ لَكُمْ سُلْطانٌ مُبِينٌ يقول: ألكم حجة تَبَيّن صحتها لمن سمعها بحقيقة ما تقولون, كما:

22750ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أمْ لَكُمْ سُلْطانٌ مُبِينٌ: أي عذر مبين.

22751ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: سُلْطانٌ مُبِينٌ قال حجة.
وقوله: فَأْتُوا بِكِتابِكُمْ يقول: فأتوا بحجتكم من كتاب جاءكم من عند الله بأن الذي تقولون من أن له البنات ولكم البنين كما تقولون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
22752ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَأْتُوا بِكِتابِكُمْ: أي بعذركم إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.
22753ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: فَأْتُوا بِكِتابِكُمْ أن هذا كذا بأن له البنات ولكم البنون.
وقوله: إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ يقول: إن كنتم صادقين أن لكم بذلك حُجّة.

الآية : 158-160

القول في تأويل قوله تعالى: {وَجَعَلُواْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجِنّةُ إِنّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * سُبْحَانَ اللّهِ عَمّا يَصِفُونَ * إِلاّ عِبَادَ اللّهِ الْمُخْلَصِينَ}.
يقول تعالى ذكره: وجعل هؤلاء المشركون بين الله وبين الجنة نسبا.
واختلف أهل التأويل في معنى النسب الذي أخبر الله عنهم أنهم جعلوه لله تعالى, فقال بعضهم: هو أنهم قالوا أعداء الله: إن الله وإبليس أخوان. ذكر من قال ذلك:
22754ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وبينَ الجِنّةِ نَسَبا قال: زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى وإبليس أخوان.
وقال آخرون: هو أنهم قالوا: الملائكة بنات الله, وقالوا: الجِنّة: هي الملائكة. ذكر من قال ذلك:
22755ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيس وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وبينَ الجِنّةِ نَسَبا قال: قال كفار قريش: الملائكة بنات الله, فسأل أبو بكر: مَنْ أمهاتهنّ؟ فقالوا: بنات سَرَوَات الجنّ, يحسبون أنهم خُلِقوا مما خُلق منه إبليس.
22756ـ حدثنا عمرو بن يحيى بن عمران بن عفرة, قال: حدثنا عمرو بن سعيد الأبح, عن سعيد بن أبي عروبة, عن قتادة, في قوله: وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وبينَ الجِنّةِ نَسَبا قالت اليهود: إن الله تبارك وتعالى تزوّج إلى الجنّ, فخرج منهما الملائكة, قال: سبحانه سبح نفسه.
22757ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وبينَ الجِنّةِ نَسَبا قال: الجنة: الملائكة, قالوا: هنّ بنات الله.
حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبينَ الجِنّةِ نَسَبا: الملائكة.
22758ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وبَينَ الجِنّةِ نَسَبا قال: بين الله وبين الجنة نسبا افتروا.

وقوله: وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجِنّةُ إنّهُمْ لَمُحْضَرُونَ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك, فقال بعضهم: معناه: ولقد علمت الجنة إنهم لَمُشهدون الحساب. ذكر من قال ذلك:

22759ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجِنّةُ إنّهُمْ لَمُحْضَرُونَ أنها ستُحضر الحساب.

وقال آخرون: معناه: إن قائلي هذا القول سيُحضرون العذاب في النار. ذكر من قال ذلك:

22760ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ إنّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إن هؤلاء الذين قالوا هذا لمحضرون: لمعذّبون.

وأوْلى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: إنهم لمحضَرُون العذاب, لأن سائر الآيات التي ذكر فيها الإحضار في هذه السورة, إنما عُنِيَ به الإحضار في العذاب, فكذلك في هذا الموضع.

وقوله: سُبْحانَ اللّهِ عَمّا يَصِفُونَ يقول تعالى ذكره تنزيها لله, وتبرئه له مما يضيف إليه هؤلاء. المشركون به, ويفترون عليه, ويصفونه, من أن له بنات, وأن له صاحبة.

وقوله: إلاّ عِبادَ اللّهِ المُخْلَصِينَ يقول: ولقد علمت الجِنّةُ أن الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله لَمُحضرون العذاب, إلا عباد الله الذين أخلَصَهُمْ لرحمته, وخلقهم لجنته.

الآية : 161-164

القول في تأويل قوله تعالى: {فَإنّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ * مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ * إِلاّ مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ * وَمَا مِنّآ إِلاّ لَهُ مَقَامٌ مّعْلُومٌ }.

يقول تعالى ذكره: فإنّكُمْ أيها المشركون بالله وَما تَعْبُدُونَ من الآلهة والأوثان ما أنْتُمْ عَلَيْهِ بِفاتِنِينَ يقول: ما أنتم على ما تعبدون من دون الله بفاتنين: أي بمضِلّينَ أحدا إلاّ مَنْ هُوَ صالِ الجَحِيمِ يقول: إلا أحدا سبق في علمي أنه صال الجحيم.

وقد قيل: إن معنى عَلَيْهِ في قوله: ما أنْتُمْ عَلَيْهِ بِفاتِنِينَ بمعنى به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22761ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فإنّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ ما أنْتُمْ عَلَيْهِ بفاتِنِينَ يقول: لا تضلون أنتم, ولا أضلّ منكم إلا من قد قضيت أنه صالِ الجحيم.

22762ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: ما أنْتُمْ عَلَيْهِ بِفاتِنِينَ إلاّ مَنْ هُوَ صَالِ الجَحِيمِ يقول: ما أنتم بفاتِنِين على أوثانكم أحدا, إلا من قد سبق له أنه صالِ الجحيم.

22763ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن خالد, قال: قلت للحسن, قوله: ما أنْتُمْ عَلَيْهِ بِفاتِنِينَ إلاّ مَنْ هُوَ صَالِ الجَحِيمِ إلا من أوجب الله عليه أن يَصْلى الجحيم.

حدثنا عليّ بن سهل, قال: حدثنا زيد بن أبي الزرقاء, عن حماد بن سلمة, عن حميد, قال: سألت الحسن, عن قول الله: ما أنْتُمْ عَلَيْهِ

بِفـاتِنـينَ إلاّ مَنْ هُوَ صَالِ الـجَحِيـمِ قال: ما أنتـم علـيه بـمضلّـين إلا من كـان فـي علـم الله أنه سيصْلَى الـجحيـم.

22764ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حـدثنا سفــيان, عن منصور, عن إبراهيـم ما أنْتُـمْ عَلَـيْهِ بفـاتِنِـينَ إلا مَنْ هُوَ صَـالِ الـجَحِيــمِ: إلا من قدر علـيه أنه يَصْلَى الـجحيـم.

22765ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقـوب, عـن جعفـر, عـن العشـرة الذين دخـلوا علـى عمر بن عبد العزيز, وكانوا متكلـمين كلهم, فتكلـموا, ثم إن عمر بن عبد العزيز تكلـم بشيء, فظننا أنه تكلــم بشيء ردّ بـه مـا كـان فـي أيدينا, فقال لنا: هل تعرفون تفسير هذه الآيـة: فـإنّكُمْ وَمـا تَعْبُـدُونَ مـا أنْتُـمْ عَلَـيْهِ بفـاتِنـينَ إلاّ مَـنْ هُـوَ صَـالِ الـجَحِيــمِ قـال: إنكـم والآلهـة التــي تعبـدونها لستــم بــالذي تفتنـون علــيها إلا مــن قَضَـيْت علــيه أنـه يصلــى الـجحيـم.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن إبراهيـم إلاّ مَـنْ هُـوَ صَـالِ الـجَحِيــمِ قـال: مـا أنتــم بـمضلــين إلا مــن كتـب علــيه أنـه يصلــى الـجحيـم.

22766ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فإنّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ حتـى بلغ: صالِ الـجَحِيـمِ يقـول: مـا أنتــم بـمضلــين أحـدا مــن عبـادي ببـاطلكم هذا, إلا من تولاّكم بعمل النار.

22767ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قـال: حدثنا أسبـاط عن السديّ ما أنْتُـمْ عَلَـيْهِ بفـاتِنِـينَ بـمضلـين إلاّ مَنْ هُوَ صَــالِ الـجَحِيـمِ إلا من كتب الله أنه يصلـى الـجحيـم.

22768ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: ما أنْتُـمْ عَلَــيْهِ بِفـاتِنِــينَ إلاّ مَـنْ هُـوَ صَالٍ الـجَحِيـمِ يقول: لا تضلون بـآلهتكم أحـدا إلا مـن سـبقت لـه الشـقاوة, ومن هو صال الـجحيـم.

22769ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: فإنّكُمْ وَما تَعْبُدونَ ما أنْتُـمْ عَلَـيْهِ بفـاتِنِـينَ إلاّ مَنْ هُـوَ صَـالِ الـجَحِيــمِ يقول: لا تفتنون به أحدا, ولا تضلونه, إلا من قضى الله أنـه صـال الـجحيــم, إلا من قد قضى أنه من أهل النار.

وقـيـل: بفـاتِنِـينَ من فتنت أفتن, وذلك لغة أهل الـحجاز, وأما أهـل نــجد فإنهم يقولون: أفتنته فأنا أفتنه. وقد ذُكر عن الـحسن أنه قرأ: «إلاّ مَــنْ هُــوَ صَالُ الـجَحِيـمِ» برفع اللام من «صال», فإن كان أراد بذلك الـجمع كما قال الشاعر:

إذَا ما حاتِـمٌ وُجِدَ ابْنَ عَمّيمَـجْدَنا مِنْ تَكَلّـمُ أجْمَعِينا

فقال: أجمعينا, ولـم يقل: تكلـموا, وكما يقال فـي الرجال: من هو إخوتك, يذهب بهو إلـى الاسم الـمـجهول ويخرج فعله علـى الـجمع, فذلك وجـه وإن كان غيره أفصح منه وإن كان أراد بذلك واحدا فهو عند أهـل العربــية لــحن, لأنه لـحن عندهم أن يقال: هذا رامٌ وقاضٌ, إلا أن يكون سمع فــي ذلـك مـن العرب لغة مقلوبة, مثل قولهم: شاكُ السلاح, وشاكي السلاح, وعـاث وعثـا وعاق وعقا, فـيكون لغة, ولـم أسمع أحدا يذكر سماع ذلك من العرب.

وقوله: وَما مِنّا إلاّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ وهذا خبر من الله عن قِيل الملائكة أنهم قالوا: وما منا معشر الملائكة إلا من له مقام في السماء معلوم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22770ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: وَما مِنّا إلاّ لَهُ مُقامٌ مَعْلُومٌ قال: الملائكة.

حدثني يونس, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ في قوله: وَما مِنّا إلاّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ قال الملائكة.

22771ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَما مِنّا إلاّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ هؤلاء الملائكة.

22772ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَإنّا لَنَحْنُ الصّافّونَ وَإنّا لَنَحْنُ المُسَبّحُونَ كان مسروق بن الأجدع يروي عن عائشة أنها قالت: قال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: «ما فِي سَماءٍ الدّنيْا مَوْضِعُ قَدَمٍ إلاّ عَلَيهِ مَلَكٌ ساجِدٌ أوْ قَائمٌ». فذلك قول الملائكة: وَما مِنّا إلاّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ وَإنّا لَنَحْنُ الصّافُونَ وَإنّا لَنَحْنُ المُسَبّحُونَ.

22773ـ حدثني موسى بن إسحاق الحَبَئيّ المعروف بابن القوّاس, قال: حدثنا يحيى بن عيسى الرملي, عن الأعمش عن أبي يحيى, عن مجاهد, عن ابن عباس, قال: لو أن قطرة من زقوم جهنم أنزلت إلى الدنيا, لأفسدت على الناس معايشهم, وإن ناركم هذه لتعوّذ من نار جهنم.

22774ـ حدثنا موسى بن إسحاق, قال: حدثنا يحيى بن عيسى, عن الأعمش, عن زيد بن وهب, قال: قال عبد الله بن مسعود: إن ناركم هذه لما أنزلت, ضُرِبت في البحر مرّتين ففترت, فلولا ذلك لم تنتفعوا بها.

الآية : 165-169

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإنّا لَنَحْنُ الصّآفّونَ * وَإنّا لَنَحْنُ الْمُسَبّحُونَ * وَإن كَانُواْ لَيَقُولُونَ * لَوْ أَنّ عِندَنَا ذِكْراً مّنَ الأوّلِينَ * لَكُنّا عِبَادَ اللّهِ الْمُخْلَصِينَ }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ملائكته: وَإنّا لَنَحْنُ الصّافّونَ لله لعبادته وَإنّا لَنَحْنُ المُسَبّحُونَ له, يعني بذلك المصلون له. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, وقال به أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن عليّ بن الحسن بن شفيق المَرْوَزِيّ, قال: حدثنا أبو معاذ الفضل بن خالد, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك بن مُزَاحم يقول قوله: وَإنّا لَنَحْنُ الصّافّونَ وَإنّا لَنَحْنُ المُسَبّحُونَ كان مسروق بن الأجدع, يروي عن عائشة أنها قالت: قال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: «ما فِي السّماءِ الدّنْيا مَوْضِعُ قَدَمٍ إلاّ عَلَيْهِ مَلَكٌ ساجِدٌ أوْ قَائِمٌ», فذلك قول الله: وَما مِنّا إلاّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ وَإنّا لَنَحْنُ الصّافّونَ وَإنّا لَنَحْنُ المُسَبّحُونَ.

22775ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن مسلم, عن مسورق, قال: قال عبد الله: إن من السموات لسماء ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملَك أو قدمه قائما قال: ثم قرأ: وَإنّا لَنَحْنُ الصّافّونَ وإنّا لَنَحْنُ المُسَبّحُونَ.

حدثنا ابن بشار, قال: حـدثنا عبـد الرحمـن, قـال: حـدثنا سفـيان, عـن الأعمـش, عـن أبـي الضّـحَى عـن مسـروق عـن عبـد اللـه, قـال: إن مـن السموات سماءً ما فـيها موضع إلا فـيه ملَك ساجد, أو قدماه قائم, ثـم قـرأ: وَإنّا لَنَـحْنُ الصّافّونَ وَإنّا لَنَـحْنُ الـمُسَبّحُونَ.

22776ـ حدثنـي يعقوب بن إبراهيـم, قال: حدثنا ابن علـية, قال: أخبرنـا الـجريري, عن أبـي نضرة, قال: كان عمر إذا أُقـيـمت الصـلاة أقبـل علـى الناس بوجهه, فقال: يا أيها النـاس استَوُوا, إن اللـه إنـما يريـد بكـم هَـدْيّ الـملائكة وَإنّا لَنَـحْنُ الصّافّونَ وَإنّا لَنَـحْنُ الـمُسَبّحُونَ اسْـتَوُوا, تقـدّم أنـت يـا فلان, تأخر أنت أي هذا, فإذا استَوُوا تقدّم فكبر.

حدثنـي موسى بـن عبـد الرحمـن, قـال: ثنـي أبـو أُسـامة, قـال: ثنـي الـجريري سعيد بن إياس أبو مسعود, قـال: ثنـي أبـو نضـرة, كـان عمـر إذا أقـيـمت الصلاة استقبل الناس بوجهه, ثم قال: أقـيـموا صـفوفكم واسـتووا فإنـما يُريد الله بكم هدي الـملائكة, يقول: وَإنّا لَنَـحْنُ الصّـافّونَ وَإنّـا لَنَـحْنُ الـمُسَبّحُونَ ثم ذكر نـحوه.

22777ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال ثنـي عمي, قـال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: وَإنّا لَنَـحْنُ الصّافّونَ قال: يعنـي الـملائكة وَإنّا لَنَـحْنُ الـمُسَبّحُونَ قال: الـملائكة صافون تسبّح لله عزّ وجلّ.

22778ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد وَإنّا لَنَـحْنُ الصّافّونَ قال: الـملائكة.

22779ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا سلـيـمان, قال: حدثنا أبو هلال, عن قتادة وإنّا لَنَـحْنُ الصّافّونَ قال: الـملائكة.

22780ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإنّا لَنَـحْنُ الصّافُونَ قال: صفوف فـي السماء وَإنّـا لَنَـحْنُ الـمُسَبّحُونَ: أي الـمصلون, هذا قول الـملائكة يثنون بـمكانهم من العبـادة.

22781ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قـال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, فـي قوله: وَإنا لَنَـحْنُ الصّافُونَ قال: للصلاة.

حدثنا مـحمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسبـاط عـن السـديّ, قـال: وذكر السديّ, عن عبد الله, قال: ما فـي السماء موضع شبر إلا علـيه جبهـة ملـك أو قـدماه, سـاجدا أو قائمـا أو راكعـا, ثـم قـرأ هـذه الآيـة وَإنّـا لَنَـحْنُ الصّافّونَ وَإنّا لَنَـحْنُ الـمُسَبّحُونَ.

22782ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله: وَإنّا لَنَـحْنُ الصّافّونَ قال: الـملائكة, هذا كله لهم.

وقوله: وَإنْ كانُوا لَـيَقُولُونَ لَوْ أنّ عِنْدَنا ذِكْرا مِنَ الأوّلـينَ لَكُنـا عبـادَ اللـه يقول تعالـى ذكره: وكـان هـؤلاء الـمشركون مـن قريـش يقولـون قبـل أن يبعث إلـيهم مـحمد صلى الله عليه وسلم نبـيا, لَوْ أنّ عنْدَنا ذِكْرا مِنَ الأوّلِـينَ يعنـي كتابـا أُنزل من السماء كـالتوراة والإنـجيـل, أو نبـيّ أتانـا مثـل الـذي أتـى الـيهود والنصارى لَكُنّا عِبـادَ اللّهِ الذين أخـلَصهم لعبـادته, واصطفـاهم لـجنته. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22783ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإنْ كانُوا لَـيَقُولُونَ لَوْ أنّ عِنْدَنا ذِكْرا مِنَ الأوّلِـينَ لَكُنّا عِبـادَ اللّهِ الـمُخْـلَصِينَ قال: قد قالت هذه الأمة ذاك قبل أن يبعث مـحمد صلى الله عليه وسلم: لو

كان عندنا ذكر من الأوّلين, لكنا عباد الله المخلصين فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به, فسوف يعلمون.
22784ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ في قوله: ذِكْرا مِنَ الأوّلِينَ قال: هؤلاء ناس من مشركي العرب قالوا: لو أن عندنا كتابا من كتب الأوّلين, أو جاءنا علم من علم الأوّلين قال: قد جاءكم محمد بذلك.

22785ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: رجع الحديث إلى الأوّلين أهل الشرك وَإنْ كانُوا لَيَقُولُونَ لَوْ أنّ عِنْدَنا ذِكْرا مِنَ الأوّلِينَ.
22786ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: لَوْ أنّ عِنْدَنا ذِكْرا مِنَ الأوّلِينَ لَكُنّا عِبادَ اللّهِ المُخْلَصِينَ هذا قول مشركي أهل مكة, فلما جاءهم ذكر الأوّلين وعلم الآخرين, كفروا به فسوف يعلمون.

الآية : 170-173

القول في تأويل قوله تعالى: {فَكَفَرُواْ بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}.
يقول تعالى ذكره: فلما جاءهم الذكر من عند الله كفروا به, وذلك كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم به من عند الله من التنزيل والكتاب, يقول الله: فسوف يعلمون إذا وردوا عليّ ماذا لهم من العذاب بكفرهم بذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
22787ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: لَوْ أنّ عِنْدَنا ذِكْرا مِنَ الأوّلِينَ لَكُنّا عبادَ اللّهِ المُخْلَصِينَ قال: لما جاء المشركين من أهل مكة ذكر الأوّلين وعلم الآخرين كفروا بالكتاب فسَوْفَ يَعْلَمُونَ يقول: قد جاءكم محمد بذلك, فكفروا بالقرآن وبما جاء به محمد.
وقوله: وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعبادِنا المُرْسَلِينَ إنّهُمْ لَهُمُ المَنْصُورُونَ يقول تعالى ذكره: ولقد سبق منا القول لرسلنا إنهم لهم المنصورون: أي مضى بهذا منا القضاء والحكم في أمّ الكتاب, وهو أنهم النّصرة والغَلبة بالحجج, كما:
22788ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لعبادِنا المُرْسَلِينَ حتى بلغ: لَهُمُ الغالِبُونَ قال: سبق هذا من الله لهم أن ينصرهم.
22789ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لعِبادِنا المُرْسَلِينَ إنّهُمْ لَهُمُ المَنْصُورُونَ يقول: بالحجج.
وكان بعض أهل العربية يتأوّل ذلك: ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين بالسعادة. وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا على عبادِنا المُرْسَلِينَ» فجعلت على مكان اللام, فكأن المعنى:

حقت عليهم ولهم, كما قيل: على مُلك سليمان, وفي مُلك سليمان, إذ كان معنى ذلك واحدا.
وقوله: وَإنّ جُنْدَنا لَهُمُ الغالِبُونَ يقول: وإن حزبنا وأهل ولايتنا لهمُ الغالبون, يقول لهم الظفر والفلاح على أهل الكفر بنا, والخلاف علينا.

الآية : 174-177

القول في تأويل قوله تعالى: {فَتَوَلّ عَنْهُمْ حَتّىَ حِينٍ * وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ }.
يعني تعالى ذكره بقوله: فَتَوَلّ عَنْهُمْ حتّى حِينٍ: فأعرض عنهم إلى حين.
واختلف أهل التأويل في هذا الحين, فقال بعضهم: معناه إلى الموت. ذكر من قال ذلك:
22790ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَتَوَلّ عَنْهُمْ حتى حِينٍ: أي إلى الموت.
وقال آخرون: إلى يوم بدر. ذكر من قال ذلك:
22791ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: فَتَوَلّ عَنْهُمْ حتى حِينٍ قال: حتى يوم بدر.
وقال آخرون: معنى ذلك: إلى يوم القيامة. ذكر من قال ذلك:
22792ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَتَوَلّ عَنْهُمْ حتى حِينٍ قال: يوم القيامة.
وهذا القول الذي قاله السديّ, أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل, وذلك أن الله توعدهم بالعذاب الذي كانوا يستعجلونه, فقال: أَفَبِعَذَابِنا يَسْتَعْجِلُونَ, وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُعْرِض عليهم إلى مجِيء حينه. فتأويل الكلام: فتولّ عنهم يا محمد إلى حين مجِيء عذابنا, ونزوله بهم.
وقوله: وأبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ: وأنظرهم فسوف يرون ما يحلّ بهم من عقابنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
22793ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَأبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ حين لا ينفعهم البصر.
22794ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وأبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ يقول: أنظرهم فسوف يبصرون ما لهم بعد اليوم, قال: يقول: يبصرون يوم القيامة ما ضيّعوا من أمر الله, وكفرهم بالله ورسوله وكتابه, قال: فأبصرهم وأبصر, واحد.
وقوله: أفَبِعَذَابِنا يَسْتَعْجِلُونَ يقول: فبنزول عذابنا بهم يستعجلونك يا محمد, وذلك قولهم للنبيّ صلى الله عليه وسلم مَتى هَذَا الوَعْدُ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.
وقوله: فإذَا نَزَلَ بساحَتِهِمْ يقول: فإذا نزل بهؤلاء المشركين المستعجلين بعذاب الله العذاب. العرب تقول: نزل بساحة فلان العذاب والعقوبة, وذلك إذا نزل به والساحة: هي فناء دار الرجل, فَساءَ صَباحُ المُنْذَرِينَ يقول: فبئس صباح القوم الذين أنذرهم رسولنا نزول ذلك

العذاب بهم فلم يصدّقوا به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
22795ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد قال حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: فإذَا نَزَلَ بساحَتِهِمْ قال: بدارهم, فَساءَ صَباحُ المُنْذَرِينَ قال: بئس ما يصبحون.

الآية : 178-182

القول في تأويل قوله تعالى: {وَتَوَلّ عَنْهُمْ حَتّىَ حِينٍ * وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * سُبْحَانَ رَبّكَ رَبّ الْعِزّةِ عَمّا يَصِفُونَ * وَسَلاَمٌ عَلَىَ الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ للّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ }.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين, وخلّهم وقريتهم على ربهم حتّى حِينٍ يقول: إلى حين يأذن الله بهلاكهم وأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ يقول: وانظرهم فسوف يَرَوْن ما يحلّ بهم من عقابنا في حين لا تنفعهم التوبة, وذلك عند نزول بأس الله بهم. وقوله: سُبْحانَ رَبّكَ رَبّ العِزّةِ عَمّا يَصِفُونَ يقول تعالى ذكره تنزيها لربك يا محمد وتبرئة له. رَبّ العزّة يقول: ربّ القوّة والبطش عَمّا يَصِفُونَ يقول: عمّا يصف هؤلاء المفترون عليه من مشركي قريش, من قولهم ولد الله, وقولهم: الملائكة بنات الله, وغير ذلك من شركهم وفِرْيتهم على ربهم, كما:
22796ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة سُبْحانَ رَبّكَ رَبّ العِزّةِ عَمّا يَصِفُونَ: أي عما يكذبون يسبح نفسه إذا قيل عليه البُهتان.
وقوله: وَسَلامٌ على المُرْسَلِينَ يقول: وأمنَة من الله للمرسلين الذين أرسلهم إلى أممهم الذي ذكرهم في هذه السورة وغيرهم من فزع يوم العذاب الأكبر, وغير ذلك من مكروه أن ينالهم من قِبل الله تبارك وتعالى.
22797ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَسَلامٌ على المُرْسَلِينَ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذَا سَلّمْتُمْ عَليّ فَسَلّمُوا عَلى المُرْسَلِينَ, فإنّمَا أنا رَسُولٌ مِنَ المُرْسَلِينَ».
والحَمْدُ لِلّهِ رَبّ العالَمِينَ يقول تعالى ذكره: والحمد للهربّ الثّقلين الجن والإنس, خالصا دون ما سواه, لأن كلّ نعمة لعباده فمنه, فالحمد له خالص لا شريك له, كما لا شريك له في نعمه عندهم, بل كلها من قِبَله, ومن عنده.
آخر تفسير سورة الصافات

سورة ص

سورة ص مكية
وآياتها ثمان وثمانون
بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1 -2

القول في تأويل قوله تعالى: {صَ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ }.

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في معنى قول الله عزّ وجلّ: ص, فقال بعضهم: هو من المصاداة, من صاديت فلانا, وهو أمر من ذلك, كأن معناه عندهم: صادٍ بعملك القرآن: أي عارضه به, ومن قال هذا تأويله, فإنه يقرؤه بكسر الدال, لأنه أمر, وكذلك رُوي عن الحسن ذكر الرواية بذلك:

22798ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: قال الحسن ص قال: حادث القرآن.

22799ـ وحُدثت عن عليّ بن عاصم, عن عمرو بن عبيد, عن الحسن, في قوله: ص قال: عارض القرآن بعملك.

حدثت عن عبد الوهاب, عن سعيد, عن قتادة, عن الحسن, في قوله: ص والقرآن قال: عارض القرآن, قال عبد الوهاب: يقول اعرضه على عملك, فانظر أين عملك من القرآن.

حدثني أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا حجاج, عن هارون, عن إسماعيل, عن الحسن أنه كان يقرأ: ص والقرآن بخفض الدال, وكان يجعلها من المصاداة, يقول: عارض القرآن.

وقال آخرون: هي حرف هجاء. ذكر من قال ذلك:

22800ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: أما ص فمن الحروف.

وقال آخرون: هو قسم أقسم الله به. ذكر من قال ذلك:

22801ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: ص قال: قسم أقسمه الله, وهو من أسماء الله.

وقال آخرون: هو اسم من أسماء القرآن أقسم الله به. ذكر من قال ذلك:

22802ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ص قال: هو اسم من أسماء القرآن أقسم الله به.

وقال آخرون: معنى ذلك: صدق الله. ذكر من قال ذلك:

22803ـ حُدثت عن المسيب بن شريك, عن أبي روق, عن الضحاك في قوله: ص قال: صدق الله.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك فقرأته عامة قرّاء الأمصار خلا عبد الله بن أبي إسحاق وعيسى بن عمر, بسكون الدال, فأما عبد الله بن أبي إسحاق فإنه كان يكسرها لاجتماع الساكنين, ويجعل ذلك بمنزلة الآداة, كقول العرب: تركته حاثِ باثِ, وخازِ بازِ يخفضان من أجل أن الذي يلي آخر الحروف ألف فيخفضون مع الألف, وينصبون مع غيرها, فيقولون حيث بيث, ولأجعلنك في حيص بيص: إذا ضيق عليه. وأما عيسى بن عمر فكان يوفّق بين جميع ما كان قبل آخر الحروف منه ألف, وما كان قبل آخره ياء أو واو فيفتح جميع ذلك وينصبه, فيقول: ص وق ون ويس, فيجعل ذلك مثل الآداة كقولهم: ليتَ, وأينَ وما أشبه ذلك.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا السكون في كل ذلك, لأن ذلك القراءة التي جاءت بها قرّاء الأمصار مستفيضة فيهم, وأنها حروف هجاء لأسماء المسميات, فيعربن إعراب الأسماء والأدوات والأصوات, فيسلك

بهنّ مسالكهن,فتأويلها إذ كانت كذلك تأويل نظائرها التي قد تقدم بياننا قبل فيما مضى.

وكان بعض أهل العربية يقول: ص في معناها كقولك: وجب والله, نزل والله, وحقّ والله, وهي جواب لقوله: والقُرآنِ كما تقول: حقا والله, نزل والله.

وقوله: والقُرآنِ ذِي الذّكْرِوهذا قسم أقسمه الله تبارك وتعالى بهذا القرآن فقال: والقُرآنِ ذِي الذّكْرِ.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ذِي الذّكْرِ فقال بعضهم: معناه: ذي الشرف. ذكر من قال ذلك:

22804ـ حدثنا نصر بن عليّ, قال: حدثنا أبو أحمد, عن قيس, عن أبي حصين, عن سعيد ص والقُرآنِ ذِي الذّكْر قال: ذي الشرف.

22805ـ حدثنا نصر بن عليّ وابن بشار, قالا: حدثنا أبو أحمد, عن مسعر, عن أبي حصين ذِي الذكْرِ: ذي الشرف.

22806ـ قال: ثنا أبو أحمد, عن سفيان, عن إسماعيل, عن أبي صالح أو غيره ذِي الذّكْرِ: ذي الشرف.

22807ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ والقُرآنِ ذِي الذّكْرِ قال: ذي الشرف.

22808ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا معاوية بن هشام, عن سفيان, عن يحيى بن عُمارة, عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ص والقُرآنِ ذِي الذّكْرِ ذي الشرف.

وقال بعضهم: بل معناه: ذي التذكير, ذكّركمُ الله به. ذكر من قال ذلك:

22809ـ حدثنا عن المسيب بن شريك, عن أبي روق, عن الضحاك ذِي الذّكْرِ قال: فيه ذكركم, قال: ونظيرتها: لَقَدْ أنْزَلْنا إلَيْكُمْ كِتابا فِيهِ ذِكرُكُمْ.

22810ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ذي الذّكْرِ: أي ما ذكر فيه.

وأولَى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: ذي التذكير لكم, لأن الله أتبع ذلك قولَه: بَلِ الّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزّةٍ وَشِقاقٍ فكان معلوما بذلك أنه إنما أخبر عن القرآن أنه أنزله ذكرا لعباده ذكّرهم به, وأن الكفار من الإيمان به في عزّة وشقاق.

واختلف في الذي وقع عليه اسم القسم, فقال بعضهم وقع القسم على قوله: بَلِ الّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزّةٍ وَشِقاقٍ. ذكر من قال ذلك:

22811ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة بَلِ الّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزّةٍ قال: ها هنا وقع القسم.

وكان بعض أهل العربية يقول: «بل» دليل على تكذيبهم, فاكتفى ببل من جواب القسم, وكأنه قيل: ص, ما الأمر كما قلتم, بل أنتم في عزّة وشقاق. وكان بعض نحويي الكوفة يقول: زعموا أن موضع القسم في قوله: إنْ كُلٌ إلاّ كَذّبَ الرّسُلَ. وقال بعض نحويي الكوفة: قد زعم قوم أن جواب والقُرآنِ قوله: إنّ ذلكَ لَحَقّ تَخاصُمُ أهْلِ النّارِ قال: وذلك كلام قد تأخر عن قوله: والقُرآنِ تأخرا شديدا, وجرت بينهما قصص مختلفة, فلا نجد ذلك مستقيما في العربية, والله أعلم.

قال: ويقال: إن قوله: والقُرآنِ يمين اعترض كلام دون موقع جوابها, فصار جوابها للمعترض وللـيمين, فكأنه أراد: والقرآن ذي الذكر, لَكَمْ

أهلكنا, فلـما اعترض قوله بَل الّذِينَ كَفَرُوا فِـي عزّةٍ صارت كم جوابـا للعزّة والـيـمين. قال: ومثله قوله: والشّمْسِ وضُحاها اعترض دون الـجواب قوله: وَنَفْسٍ وَما سَوّاها فأَلْهَمَها فصارت قد أفلـح تابعـة لقـوله: فألهمهـا, وكفــى من جواب القسم, فكأنه قال: والشمس وضحاها لقد أفلـح.

والصواب من القول فـي ذلك عندي, القول الذي قاله قتادة, وأن قوله: بَلْ لـما دلّت علـى التكذيب وحلّت مـحلّ الـجواب استغنـي بها من الــجواب, إذ عُرف الـمعنى, فمعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك: ص والقُـرآنِ ذِي الـذّكْرِ مـا الأمر, كما يقول هؤلاء الكافرون: بل هم فـي عزّة وشقاق.

وقوله: بَلِ الّذِينَ كَفَرُوا فِـي عِزّةٍ وَشِقاقٍ يقول تعالــى ذكـره: بـل الـذين كفروا بــالله مـن مشـركي قريـش فــي حمية ومشـاقة, وفـراق لـمــحمد وعداوة, وما بهم أن لا يكونوا أهل علـم, بأنه لـيس بساحر ولا كذّاب. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22812ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قوله: فِـي عِزّةٍ وَشِقاقٍ قال: مُعازّين.

22813ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عَن قتـادة فِــي عِزّةٍ وَشِقاقٍ: أي فـي حَمِيّة وفراق.

22814ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: بَلِ الّذِينَ كَفَـرُوا فِــي عِـزّةٍ وَشِـقاقٍ قـال: يعـادون أمـر اللـه ورسـله وكتابه, ويشاقون, ذلك عزّة وشِقاق, فقلت له: الشـقاق: الــخلاف, فقـال: نعم.

الآية : 3

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {كَمْ أَهْلَكْنَـا مِـن قَبْلِهِـم مّـن قَـرْنٍ فَنَـادَواْ وّلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ }.

يقول تعالـى ذكره: كثـيرا أهلكنا من قبل هؤلاء الــمشركين م ن قريـش الذين كذّبوا رسولنا مـحمدا صلى الله عليه وسلم فـيـما جاءهم به من عنـدنا من الـحقّ مِنْ قَرْنٍ يعنـي: من الأمـم الذين كانوا قبلهم, فسـلكوا سبيــلهم فـي تكذيب رسلهم فـيـما أتوهم به من عند الله فَنـادَوْا يقـول: فعجـوا إلــى ربهم وضجوا واستغاثوا بـالتوبة إلـيه, حيـن نـزل بهـم بـأس اللـه وعـاينوا بـه عذابه فرارا من عقابه, وهربــا مـن أليــم عـذابه وَلاتَ حِيـنَ مَنـاصٍ يقـول: ولـيس ذلـك حيـن فـرار ولا هـرب مـن العـذاب بــالتوبة, وقـد حقّـت كلــمة العذاب علــيهم, وتـابوا حيـن لا تنفعهـم التوبـة, واسـتقالوا فــي غيـر وقـت الإقالة. وقوله: مَناصٍ مفعل من النّوص, والنوص فـي كلام العـرب: التـأخر, والـمناص: الـمفرّ ومنه قول امرىء القـيس:

أَمِنْ ذِكْرِ سَلْـمَى إذْ نأتْكَ تَنُوصُفَتَقْصِرُ عَنْها خَطْوَةً وَتَبوصُ

يقول: أو تقدّم يقال من ذلك: ناصنـي فلان: إذا ذهب عنك, وبـاصنـي: إذا سبقك, وناص فـي البلاد: إذا ذهب فـيها, بـالضاد. وذكر الفراء أن العقـيـلـي أنشده:

إذا عاشَ إسْحاقٌ وَشَيْخُهُ لَـمْ أُبَلْفَقِـيدا ولَـمْ يَصْعُبْ عَلـيّ مَناضُ

وَلَوْ أشْرَفَتْ مِنْ كُفّةِ السّتْرِ عاطِلاًلَقُلْتُ غَزَالٌ ما عَلَـيْهِ خُضَاضُ

والـخضاض: الـحلـيّ. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22815ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حـدثنا سفـيان, عن أبـي إسحاق عن التـميـمي, عن ابن عبـاس فـي قوله: وَلاتَ حِينَ مَناصٍ قال: لـيس بحين نزو, ولا حين فرار.
حدثنا أبو كُريب, قال: حدثنا ابن عطية, قال: حدثنا إسرائيـل, عـن أبــي إسحاق, عن التـميـمي, قال: قلت لابن عبـاس: أرأيت قول اللـه وَلاتَ حِيـنَ مَناصٍ قال: لـيس بحين نزو ولا فرار ضبط القوم.
حدثنا ابـن حميـد, قـال: حـدثنا حكـام, عـن عنبسـة, عـن أبــي إسـحاق الهمدانـي, عن التـميـمي, قال: سـألت ابـن عبــاس, قـول اللـه وَلاتَ حِيـنَ مَناصٍ قال: لـيس حين نزو ولا فرار.
حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنــي عمـي, قـال: ثنــي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: وَلاتَ حِينَ مَنـاصٍ قـال: لــيس حيـن نزو ولا فرار.
22816ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: وَلاتَ حِينَ مَناصٍ يقول: لـيس حين مَغاث.
22817ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن. قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عن مــجاهد, فــي قـول اللـه: وَلاتَ حِيـنَ مَنـاصٍ قـال: لـيس هذا بحين فرار.
22818ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَنادُوْا وَلاتَ حِينَ مَناصٍ قال: نادى القوم علـى غير حين نـداء, وأرادوا التوبـة حيـن عاينوا عذاب اللهِ فلـم يقبل منهم ذلك.
22819ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قـال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, قـوله: وَلاتَ حِيـنَ مَنـاصٍ قـال: حيـن نـزل بهـم العذاب لـم يستطيعوا الرجوع إلـى التوبة, ولا فرارا مِن العذاب.
22820ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: حدثنا عبــيد, قال: سمعت الضـحاك يقـول فــي قـوله: فَنـادَوْا وَلاتَ حِيـنَ مَنـاصٍ يقـول: ولـيس حين فرار.
22821ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: وَلاتَ حِينَ مَناصٍ ولات حين مَنْــجًى ينــجون منـه, ونصـب حيـن فــي قوله: وَلاتَ حِينَ مَناصٍ تشبـيها للات بلـيس, وأضمر فـيها اسم الفـاعل.
وحكى بعض نـحوّيـي أهل البصرة الرفع مع لات فـي حين زعم أن بعضهم رفع «وَلاتَ حِينُ مناصٍ» فجعله فـي قوله لـيس, كـأنه قـال: لــيس وأضـمر الـحين قال: وفـي الشعر:
طَلَبُوا صُلْـحَنا وَلاتَ أوَانٍفَأَجَبنا أنْ لَـيْسَ حِينَ بَقاءِ
فجرّ «أوانٍ» وأضمر الـحين إلـى أوان, لأن لات لا تكون إلا مع الـحين قال: ولا تكون لاتَ إلا مـع حيـن. وقـال بعـض نـحويــي الكوفـة: مـن العـرب مـن يضيف لات فـيخفض بها, وذكر أنه أنشد:
(«لاتَ ساعَةِ مَنْدَمٍ»)
بخفض الساعة قال: والكلام أن ينصب بها, لأنها فـي معنى لــيس, وذُكـر أنه أنشد:
تَذَكّرَ حُبّ لَـيْـلَـى لاتَ حِيناوأصْحَى الشّيْبُ قَدْ قَطَعَ القَرِينا
قال: وأنشدنـي بعضهم:

طَلَبُوا صُلْحَنا وَلاتَ أوَانِفأَجَبْنا أنْ لَيْسَ حِينَ بَقاءِ
بخفض «أوانِ» قال: وتكون لات مع الأوقات كلها.
واختلفوا في وجه الوقف على قراءة: لاتَ حِينَ فقال بعض أهل العربية: الوقف عليه ولاتّ بالتاء, ثم يبتدأ حين مناص, قالوا: وإنما هي «لا» التي بمعنى: «ما», وإن في الجحد وُصلت بالتاء, كما وُصِلت ثم بها, فقيل: ثمت, وكما وصلت ربّ فقيل: ربت.
وقال آخرون منهم: بل هي هاء زيدت في لا, فالوقف عليها لاه, لأنها هاء زيدت للوقف, كما زيدت في قولهم:
العاطِفُونَةَ حِينَ ما مِنْ عاطِفٍوالمُطْعِمُونَةَ حِينَ أيْنَ المَطْعِمُ
فإذا وُصلت صارت تاء. وقال بعضهم: الوقف على «لا», والابتداء بعدها تحين, وزعم أن حكم التاء أن تكون في ابتداء حين, وأوان, والآن ويستشهد لقيله ذلك بقول الشاعر:
تَوَلّيْ قَبْلَ يَوْمِ سَبْيٍ جُماناوَصِلِينا كما زَعَمْتِ تَلانا
وأنه ليس ههنَا «لا» فيوصل بها هاء أو تاء ويقول: إن قوله: لاتَ حِينَ إنما هي: ليس حين, ولم توجد لات في شيء من الكلام.
والصواب من القول في ذلك عندنا: أن «لا» حرف جحد كما, وإن وُصلت بها تصير في الوصل تاء, كما فعلت العرب ذلك بالأدوات, ولم تستعمل ذلك كذلك مع «لا» المُدّة إلا للأوقات دون غيرها, ولا وجه للعلة التي اعتلّ بها القائل: إنه لم يجد لات في شيء من كلام العرب, فيجوز توجيه قوله: وَلاتَ حِينَ إلى ذلك, لأنها تستعمل الكملة في موضع, ثم تستعملها في موضع آخر بخلاف ذلك, وليس ذلك بأبعد في القياس من الصحة من قولهم: رأيت بالهمز, ثم قالوا: فأنا أراه بترك الهمز لما جرى به استعمالهم, وما أشبه ذلك من الحروف التي تأتي في موضع على صورة, ثم تأتي بخلاف ذلك في موضع آخر للجاري من استعمال العرب ذلك بينها. وأما ما استشهد به من قول الشاعر: «كما زعمت تلانا», فإن ذلك منه غلط في تأويل الكلمة وإنما أراد الشاعر بقوله: «وصِلِينا كما زَعمْتِ تَلانا»: وصِلينا كما زعمت أنتِ الآن, فأسقط الهمزة من أنت, فلقيت التاء من زعمت النون من أنت وهي ساكنة, فسقطت من اللفظ, وبقيت التاء من أنت, ثم حذفت الهمزة من الآن, فصارت الكلمة في اللفظ كهيئة تلان, والتاء الثانية على الحقيقة منفصلة من الآن, لأنها تاء أنت. وأما زعمه أنه رأى في المصحف الذي يقال له «الإمام» التاء متصلة بحين, فإن الذي جاءت به مصاحف المسلمين في أمصارها هو الحجة على أهل الإسلام, والتاء في جميعها منفصلة عن حين, فلذلك اخترنا أن يكون الوقف على الهاء في قوله: وَلاتَ حِينَ.

الآية : 4 -5

القول في تأويل قوله تعالى: {وَعَجِبُوَاْ أَن جَآءَهُم مّنذِرٌ مّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَـَذَا سَاحِرٌ كَذّابٌ * أَجَعَلَ الاَلِهَةَ إِلَـهاً وَاحِداً إِنّ هَـَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ }.
يقول تعالى ذكره: وعجب هؤلاء المشركون من قريش أن جاءهم منذر ينذرهم بأس الله على كفرهم به من أنفسهم, ولم يأتهم مَلك من السماء بذلك وَقالَ الكافِرُونَ هَذا ساحِرٌ كَذّابٌ يقول: وقال المنكرون وحدانية الله:

هذا, يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم, ساحر كذّاب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
22822ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَعَجِبُوا أنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فقالَ الكافِرُونَ هَذَا ساحِرٌ كَذّابٌ.
22823ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: ساحِرٌ كَذّابٌ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم.
وقوله: أجَعَلَ الآلِهَةَ إلها وَاحِدا يقول: وقال هؤلاء الكافرون الذين قالوا: محمد ساحر كذّاب: أجعل محمد المعبودات كلها واحدا, يسمع دعاءنا جميعنا, ويعلم عبادة كل عابد عبدَه منا إنّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجابٌ: أي إن هذا لشيء عجيب, كما:
22824ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أجَعَلَ الآلِهَةَ إلَها وَاحِدا إنّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجابٌ قال: عجب المشركون أن دُعوا إلى الله وحده, وقالوا: يسمع لحاجاتنا جميعا إله واحد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة.
وكان سبب قيل هؤلاء المشركين ما أخبر الله عنهم أنهم قالوه, من ذلك, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم: «أسْألُكُمْ أنْ تُجِيبُونِي إلى وَاحِدَةٍ تَدِينُ لَكُمْ بِها العَرَبُ, وَتُعْطِيكُمْ بِها الخَرَاجَ العَجَمُ» فقالوا: وما هي؟ فقال: «تقولون لا إلَهَ إلاّ اللّهُ», فعند ذلك قالوا: أجَعَلَ الآلِهَةَ إلَها وَاحِدا تعجبا منهم من ذلك. ذكر الرواية بذلك:
22825ـ حدثنا أبو كُرَيب وابن وكيع, قالا: حدثنا أبو أُسامة, قال: حدثنا الأعمش, قال: حدثنا عباد, عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس, قال: لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فقالوا: إن ابن أخيك يشتم آلهتنا, ويفعل ويفعل, ويقول ويقول, فلو بعثت إليه فنهيته فبعث إليه, فجاء النبيّ صلى الله عليه وسلم فدخل البيت, وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل, قال: فخشي أبو جهل إن جلس إلى جنب أبي طالب أن يكون أرق له عليه, فوثب فجلس في ذلك المجلس, ولم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا قرب عمه, فجلس عند الباب, فقال له أبو طالب: أي ابن أخي, ما بال قومك يشكونك؟ يزعمون أنك تشتم آلهتهم, وتقول وتقول قال: فأكثروا عليه القول, وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا عَمّ إنّي أُرِيدُهُمْ عَلى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يَقُولُونَهَا, تَدِينُ لَهُمْ بِها العَرَبُ, وَتُؤَدّي إلَيْهِمْ بِها العَجَمُ الجِزْيَةَ», ففزعوا لكلمته ولقوله, فقال القوم: كلمة واحدة؟ نعم وأبيك عَشْرا فقالوا: وما هي؟ فقال أبو طالب: وأيّ كلمة هي يا ابن أخي؟ قال: «لا إلَهَ إلاّ اللّهُ» قال: فقاموا فزِعين ينفضون ثيابهم, وهم يقولون: أجَعَلَ الآلِهَةَ إلَها وَاحِدا إنّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجابٌ قال: ونزلت من هذا الموضع إلى قوله: لَمّا يَذُوقُوا عَذَابِ اللفظ لأبي كريب.
حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا معاوية بن هشام, عن سفيان, عن يحيى بن عمارة, عن سعيد بن جُبَير عن ابن عباس, قال: مرض أبو طالب, فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده, وهم حوله جلوس, وعند رأسه مكان فارغ, فقام أبو جهل فجلس فيه, فقال أبو طالب: يا ابن أخي ما لقومك يشكونك؟ قال: «يا عَمّ أُرِيدُهُمْ عَلى كَلِمَةٍ تَدِينُ لَهُمْ بِها العَرَبُ,

وتُؤَدّي إلَـيْهِمْ بِهـا العَجَـمُ الـجِزْيَةَ» قـال: مـا هـي؟ قـال: «لا إلَـهَ إلاّ اللّـهُ» فقاموا وهم يقولون: ما سَـمِعْنا بِهـذَا فـي الـمِلّةِ الآخـرةِ إنْ هَـذَا إلاّ اخْتِلاقٌ ونزل القرآن: ص والقُرآنِ ذِي الذِّكْرِ ذي الشرف بَلِ الّذِينَ كَفَرُوا فِـي عِـزّةٍ وَشِقاقٍ حتـى قوله: أجَعَلَ الآلِهَةَ إلَهاً وَاحِدا.

حدّثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, عن سفـيان, عن الأعمـش, عن يحيى بن عمارة, عن سعيد بن جُبَـير, عن ابن عبـاس, قـال: مـرض أبـو طالب, ثم ذكر نـحوه, إلا أنه لـم يقل ذي الشرف, وقال: إلـى قوله: إنّ هَذَا لَشْيءٌ عُجابٌ.

حدثنا ابن بشار, قال: حـدثنا عبـد الرحمـن, قـال: حـدثنا سفـيان, عـن الأعمش, عن يحيى بن عمارة, عن سعيد بن جُبَـير, قال: مرض أبـو طـالب, قال: فجاء النبـيّ صلى الله عليه وسلم يعوده, فكان عند رأسه مقعدُ رجـل, فقام أبو جهل, فجلس فـيه, فشكَوا النبـيّ صلى الله عليه وسلم إلـى أبـي طالب, وقالوا: إنه يقع فـي آلهتنا, فقال: يا ابن أخي ما تريد إلـى هذا؟ قـال: «يا عمّ إنّـي أُرِيدُهُمْ علـى كَلِـمَةٍ تَدِينُ لَهُمْ بِها العَرَبُ, وتُـؤَدّي إلَـيْهِمُ العَجَـمُ الـجِزْيَةَ» قال: وما هي؟ قال: «لا إلَـهَ إلاّ اللّـهُ», فقـالوا: أجَعَـلَ الآلِهَـةَ إلَهـا وَاحِدا إنّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجابٌ.

الآية : 6 - 7

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُـواْ وَاْصْـبِرُواْ عَلَىَ آلِهَتِكُمْ إِنّ هَـذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَـذَا فِى الْمِلّةِ الاَخِرَةِ إِنْ هَـذَا إِلاّ اخْتِلاَقٌ }.

يقول تعالـى ذكره: وانطلق الأشراف من هـؤلاء الكـافرين مـن قريـش, القائلـين: أجَعَلَ الآلِهَةَ إلها وَاحِدا بأنِ امضُوا فـاصبروا علـى دينكـم وعبـادة آلهتكم. فأن من قوله: أن امْشُوا فـي موضع نصب يتعلق انطلقوا بهـا, كـأنه قـيـل: انطلقوا مشيا, ومضيا علـى دينكـم. وذُكـر أن ذلـك فـي قـراءة عبـد الله: «وَانْطَلَقَ الـمَلأُ مِنْهُـمْ يَـمْشُونَ أنِ اصْـبِرُوا عَلـى آلِهَتِكُـمْ». وذُكـر أن قائل ذلك كان عُقْبة ابن أبـي مُعِيط. ذكر من قال ذلك:

22826ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حـدثنا سفـيان, عن إبراهيـم بن مهاجر, عن مـجاهد: وَانْطَلَـق الـمَلأُ مِنْهُـمْ قـال: عقبـة بـن أبـي معيط.

وقوله: إنّ هَذَا لَشْيءٌ يُرَادُ: أي إن هذا القول الذي يقول مـحمد, ويـدعونا إلـيه, من قول لا إله إلا الله, شـيء يريـده منـا مـحمد يطلـب بـه الاسـتعلاء علـينا, وأن نكون له فـيه أتبـاعا ولسنا مـجيبـيه إلـى ذلك.

وقوله: ما سَمِعْنا بِهَذَا فِـي الـمِلّةِ الآخِرَةِ اختلف أهل التأويـل فـي تأويـله, فقال بعضهم: معناه: ما سمعنا بهذا الذي يدعونا إلـيه مـحمد من البراءة من جميع الآلهة إلا من الله تعالـى ذكره, وبهذا الكتاب الذي جاء بـه فـي الـملّة النصرانـية, قالوا: وهي الـملة الآخرة.ذكر من قال ذلك:

22827ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: ما سَمِعْنا بِهَذَا فِـي الـمِلّةِ الآخِرَةِ يقول: النصرانـية.

22828ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابـن عبـاس, قـوله: مـا سَـمِعْنا بِهَـذَا فِـي الـمِلّةِ الآخِرَةِ يعنـي النصرانـية فقالوا: لو كان هذا القرآن حقا أخبرتنا به النصارى.

22829ـ حدثني محمد بن إسحاق, قال: حدثنا يحيى بن معين, قال: حدثنا ابن عُيينة, عن ابن أبي لبيد, عن القُرَظِي في قوله: ما سَمِعْنا بِهَذَا فِي الـمِلّةِ الآخِرَةِ قال: ملة عيسى.
22830ـ حدثني محمد بن الحسين, قلا: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط عن السديّ ما سَمِعْنا بِهَذَا فِي الـمِلّةِ الآخِرَةِ النصرانية.
وقال آخرون: بل عَنَوا بذلك: ما سمعنا بهذا في ديننا دين قريش. ذكر من قال ذلك:
22831ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن محمد بن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبي بَزّة, عن مجاهد, في قوله: ما سَمِعْنا بِهَذَا فِي الـمِلّةِ الآخِرَةِ قال: ملة قريش.
حدثني محمد بن عمرو, قا: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: فِي الـمِلّةِ الآخِرَةِ قال: ملة قريش.
22832ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ما سَمِعْنا بِهَذَا فِي الـمِلّةِ الآخِرَةِ: أي في ديننا هذا, ولا في زماننا قطّ.
22833ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ما سَمِعْنا بِهَذَا فِي الـمِلّةِ الآخِرَةِ قال: الملة الآخرة: الدين الآخر. قال: والملة الدين.
وقيل: إن الملأ الذين انطلقوا نفر من مشيخة قريش, منهم أبو جهل, والعاص بن وائل, والأسود بن عبد يغوث. ذكر من قال ذلك:
22834ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ أن أناسا من قُرَيش اجتمعوا, فيهم أبو جهل بن هشام, والعاص بن وائل, والأسود بن المطلب, والأسود بن عبد يغوث في نفر من مشيخة قريش, فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى أبي طالب, فلنكلمه فيه, فلينصفنا منه, فيأمره فليكفّ عن شتم آلهتنا, ونَدَعَه وإلهه الذي يَعبُد, فإنا نخاف أن يموت هذا الشيخ, فيكون منا شيء, فتعيرنا العرب فيقولون: تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه, قال: فبعثوا رجلاً منهم يُدعى المطّلب, فاستأذن لهم على أبي طالب, فقال: هؤلاء مشيخة قومك وسَرَواتهم يستأذنون عليك, قال: أدخلهم فلما دخلوا عليه قالوا: يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا, فأنصفنا من ابن أخيك, فمُره فليكفّ عن شتم آلهتنا, ونَدَعَه وإلهه قال: فبعث إليه أبو طالب فلما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسَرَواتهم, وقد سألوك النّصف أن تكفّ عن شتم آلهتهم, ويَدَعُوك وإلهك قال: فقال: «أيْ عَمّ أوَلا أدْعُوهُمْ إلى ما هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ مِنْها؟» قال: وإلام تدعوهم؟ قال: «أدعوهم إلى أنْ يَتَكَلّمُوا بِكَلِمَةٍ تَدِينُ لَهُمْ بِها العَرَبُ ويَمْلِكُونَ بِها العَجَمَ» قال: فقال أبو جهل من بين القوم: ما هي وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها, قال: «تَقُولونَ لا إلَهَ إلاّ اللّهُ». قال: فنفروا وقالوا: سلنا غير هذه, قال: «لَوْ جِئْتُمُونِي بالشّمْسِ حتى تَضَعُوها فِي يَدِي ما سألْتُكُمْ غَيَرها» قال: فغضبوا وقاموا من عنده غضابا وقالوا: والله لنشتمنك والذي يأمرك بهذا وَانْطَلَقَ الـمَلأُ مِنْهُمْ أنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا على آلِهَتِكُمْ إنّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ... إلى قوله: إلاّ اخْتِلاقٌ وأقبل على عمه, فقال له عمه: يا ابن أخي ما شططت عليهم, فأقبل على عمه فدعاه, فقال:

«قلْ كَلِـمَةً أشْهَدُ لَكَ بِها يَوْمَ القـيامَةِ, تَقُولُ: لا إلَهَ إلاّ اللّهُ», فقال: لـولا أن تعيبكم بها العرب يقولون جـزع مـن الـموت لأعطيتكهـا, ولكـن علـى ملّـة الأشياخ قال: فنزلت هذه الآية إنّكَ لا تَهْدِي مَنْ أحْبَبْتَ وَلَكِنّ اللّـهَ يَهْـدِي مَـنْ يَشاءُ.

22835ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: وَانْطَلَقَ الـمَلأ مِنْهُـمْ أنِ امْشُـوا وَاصْبِرُوا علـى آلهَتِكُمْ إنّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ قال: نزلـت حيـن انطلـق أشـراف قريش إلـى أبـي طالب فكلـموه فـي النبـيّ صلى الله عليه وسلم.

وقـوله: إنْ هَـذَا إلاّ اخْتِلاقٌ يقـول تعالـى ذكـره مخـبرا عـن قـيـل هـؤلاء الـمشركين فـي القرآن: ما هذا القرآن إلا اختلاق: أي كـذب اختلقـه مـحمد وتـخرّصه. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22836ـ حدثنا علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: إنْ هَذَا إلاّ اخْتِلاقٌ يقول: تـخريص.

22837ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قوله: إنْ هَذَا إلاّ اخْتِلاقٌ قال: كذب.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكـام, عـن عنبسـة, عـن مـحمد بـن عبـد الرحمن, عن القاسم بن أبـي بَـزّة, عـن مـجاهد إنْ هَـذَا إلاّ اخْتِلاقٌ: يقـول: كذب.

22838ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إنْ هَذَا إلاّ اخْتِلاقٌ إلا شيء تـخْـلُقه.

22839ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قـال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ إنْ هَذَا إلاّ اخْتِلاقٌ اختلقه مـحمد صلى اللـه عليـه وسلم.

22840ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله: إنْ هَذَا إلاّ اخْتلاقٌ قالوا: إن هذا إلا كذب.

الآية : 8 - 9

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {أأُنزِلَ عَلَيْهِ الذّكْرُ مِـن بَيْنِنَـا بَـل هُـمْ فَـي شَكٍّ مّن ذِكْرِي بَل لّمّا يَذُوقُواْ عَذَابِ * أمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبّـكَ الْعَزِيـزِ الْوَهّابِ }.

يقول تعالـى ذكره مخبرا عن قـيـل هؤلاء الـمشركين من قريش: أأُنـزل علـى مـحمد الذكر من بـيننا فخُصّ به, ولـيس بأشـرف منـا حسبـا. وقـوله: بَلْ هُمْ فِـي شَكّ مِنْ ذِكرِي يقول تعالـى ذكـره: مـا بهـؤلاء الـمشركين أن لا يكونوا أهل علـم بأن مـحمدا صادق, ولكنهم فـي شكّ من وحينا إلـيه, وفـي هذا القرآن الذي أنزلناه إلـيه أنه من عندنا بَلْ لَـمّا يَـذُوقُوا عَـذَابِ يقـول بـل لـم ينزل بهم بأسنا, فـيذوقوا وبـال تكذيبهم مـحمدا, وشـكهم فـي تنزيـلنا هذا القرآن علـيه, ولو ذاقوا العذاب علـى ذلك علـموا وأيقنوا حقـيقة ما هـم به مكذّبون, حيـن لا ينفعهـم علـمهم أمْ عِنْـدَهُمْ خَزَائِـنُ رَحْمَـةِ رَبّـكَ العَزِيـزِ الوَهّابِ يقول تعالـى ذكره: أم عند هؤلاء الـمشركين الـمنكرين وحـي اللـه إلـى مـحمد خزائن رحمة ربك, يعنـي مفـاتـيح رحمة ربك يا مـحمد, العزيـز فـي سلطانه, الوهاب لـمن يشاء من خـلقه, مـا يشـاء مـن مُلـك وسلطان

ونبوّة, فيمنعوك يا محمد, ما منّ الله به عليك من الكرامة, وفضّلك به من الرسالة.

الآية : 10-11

القول في تأويل قوله تعالى: {أَمْ لَهُم مّلْكُ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَمَا بَيَنَهُمَا فَلْيَرْتَقُواْ فِى الأسْبَابِ * جُندٌ مّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مّن الأحَزَابِ }.

يقول تعالى ذكره: أم لهؤلاء المشركين الذين هم في عزّة وشقاق مُلْكُ السّمَواتِ والأرْضِ وَما بَيْنَهُما فإنه لا يُعازّني ويُشاقّني من كان في مُلكي وسلطاني. وقوله: فَلْيَرتَقُوا فِي الأسْبابِ يقول: وإن كان لهم مُلك السموات والأرض وما بينهما, فليصعدوا في أبواب السماء وطرقها, فإن كان له مُلك شيء لم يتعذّر عليه الإشراف عليه, وتفقّده وتعهّده.

واختلف أهل التأويل في معنى الأسباب التي ذكرها الله في هذا الموضع, فقال بعضهم: عُنِي بها أبواب السماء. ذكر من قال ذلك:

22841ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فَلْيَرْتَقُوا في الأسْبابِ قال: طرق السماء وأبوابها.

22842ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَلْيَرْتَقُوا فِي الأسْبابِ يقول: في أبواب السماء.

22843ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: فِي الأَسْبابِ قال: أسباب السموات.

22844ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبابِ قال: طرق السموات.

22845ـ حُدثت عن المحاربي, عن جُوَيبر, عن الضحاك أمْ لَهُمْ مُلْكُ السّمَوَاتِ والأرْضِ يقول: إن كان لَهُمْ مُلكُ السّمَوَاتِ والأرضِ وَما بَيْنَهُما فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبابِ يقول: فليرتقوا إلى السماء السابعة.

22846ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فَلْيرْتَقُوا فِي الأسْبابِ يقول: في السماء. وذكر عن الربيع بن أنس في ذلك ما:

22847ـ حُدثت عن المسيب بن شريك, عن أبي جعفر الرازيّ, عن الربيع بن أنس, قال: الأسباب: أدقّ من الشعر, وأشدّ من الحديد, وهو بكلّ مكان, غير أنه لا يرى.

وأصل السبب عند العرب: كل ما تسبّب به إلى الوصول إلى المطلوب من حبل أو وسيلة, أو رحم, أو قرابة أو طريق, أو محجة وغير ذلك.

وقوله: جُنْدٌ مّا هنالك مَهزُومٌ مِنَ الأحْزَابِ يقول تعالى ذكره: هم جُنْدٌ يعني الذين في عزة وشقاق هنالك, يعني: ببدر مهزوم. وقوله: هُنالكَ من صلة مهزوم وقوله: مِنَ الأحْزَابِ يعني من أحزاب إبليس وأتباعه الذين مضوا قبلهم, فأهلكهم الله بذنوبهم. و«مِنْ» من قوله: مِنَ الأحْزَابِ من صلة قوله جند, ومعنى الكلام: هم جند من الأحزاب مهزوم هنالك, وما في قوله: جُنْدٌ ما هُنالكَ صلة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22848ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا

عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد جُنْدٌ مّـا هُنالـكَ مَهْـزُومٌ مِـنَ الأحْـزَابِ قـال: قُريش من الأحزاب, قال: القرون الـماضية.
22849ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة جُنْدٌ مّا هُنالكَ مَهْزُومٌ مِنَ الأحْزَابِ قال: وعده الله وهو بـمكة يومئذٍ أنه سيهزم جندا من الـمشركين, فجاء تأويـلها يوم بدر.
وكان بعض أهل العربـية يتأوّل ذلك جُنْدٌ مّا هُنالـكَ مغلـوب عـن أن يصـعد إلـى السماء.

الآية : 12 -14

القول فـي تأويـل قوله تعالـي: {كَذّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وفِرْعَـوْنُ ذُو الأوْتَادِ * وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأصْـحَابُ الأيْكَـةِ أُوْلَـئِكَ الأحْـزَابُ * إِن كُـلّ إِلاّ كَذّبَ الرّسُلَ فَحَقّ عِقَابِ }.
يقول تعالـى ذكره: كذّبت قبل هؤلاء الـمشركين من قريش, القائلـين: أجعل الآلهة إلها واحدا, رسلها, قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد.
واختلف أهل العلـم فـي السبب الذي من أجله قـيـل لفرعـون ذو الأوتـاد, فقال بعضهم: قـيـل ذلك له لأنه كانت له ملاعب من أوتاد, يُـلْعَب له علـيها. ذكر من قال ذلك:
22850ـ حُدثت عن علـيّ بن الهيثم, عن عبد الله بن أبـي جعفر, عن أبـيه, عن سعيد بن جُبَـير, عن ابن عبـاس وَفِرْعُوْنَ ذِي الأوْتادِ قال: كـانت ملاعـب يـلعب له تـحتها.
22851ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَفِرْعُونَ ذُو الأوْتادِ قال: كان له أوتاد وأرسان, وملاعب يـلعب له علـيها.
وقال آخرون: بل قـيـل ذلك له كذلك لتعذيبه الناس بـالأوتاد. ذكر من قال ذلك:
22852ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قـال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, قوله: ذُو الأوْتادِ قال: كان يعذّب الناسَ بـالأوتاد, يعـذّبهم بأربعـة أوتـاد, ثـم يرفـع صـخرة تُـمَدّ بـالـحبـال, ثـم تُلْقـى علـيه فتشدخه.
22853ـ حُدثت عن علـيّ بن الهيثم, عن ابن أبـي جعفر, عن أبــيه, عـن الربـيع بن أنس, قال: كان يعذّب الناس بـالأوتاد.
وقال آخرون: معنى ذلك: ذو البنـيان, قالوا: والبنـيان: هو الأوتاد. ذكر من قال ذلك:
22854ـ حُدثت عن الـمحاربـيّ, عن جُوَيبر, عن الضحاك ذُو الأوْتادِ قال: ذو البنـيان.
وأشبه الأقوال فـي ذلك بـالصواب قول من قال: عُنِـي بذلك الأوتـاد, إمـا لتعذيب الناس, وإما للعب, كان يُـلْعَب له بها, وذلك أن ذلـك هـو الــمعروف من معنى الأوتاد, وثمودُ وقومُ لوطٍ وقد ذكرنا أخبـار كلّ هؤلاء فـيــما مضـى قبلُ من كتابنا هذا وأصحَابُ الأيْكَةِ يعنـي: وأصحاب الغَيْضة. وكان أبو عمــرو بن العلاء فـيـما:
22855ـ حُدثت عن معمر بـن الــمثنى, عـن أبــي عمـرو يقـول: الأيكـة: الـحَرَجة من النبع والسدر, وهو الـملتفّ منه, قال الشاعر:
أَفَمِنْ بُكاءِ حَمامَةٍ فـي أيْكَةٍيَرْفَضّ دَمْعُكَ فَوْقَ ظَهر الـمَـحمِلِ

يعني: مِحْمَل السيف. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22856ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وأصْحابُ الأيْكَةِ قال: كانوا أصحاب شجر, قال: وكان عامّة شجرهم الدّوْم.

22857ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: وأصحَابُ الأيْكَةِ قال: أصحاب الغَيْضة.

وقوله: أُولَئِكَ الأحْزَابُ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الجماعات المجتمعة, والأحزاب المتحزّبة على معاصي الله والكفر به, الذين منهم يا محمد مشركو قومك, وهم مسلوك بهم سبيلهم إنْ كُلّ إلاّ كَذّبَ الرّسُلَ يقول: ما كلّ هؤلاء الأمم إلا كذّب رسل الله وهي في قراءة عبد الله كما ذكر لي: «إنْ كُلّ لَمّا كَذّبَ الرّسُلَ فَحَقّ عِقابِ» يقول: فوجب عليهم عقاب الله إياهم, كما:

22858ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إنْ كُلّ إلاّ كَذّبَ الرُسُلَ فَحَقّ عِقابِ قال: هؤلاء كلهم قد كذبوا الرسل, فحقّ عليهم العذاب.

الآية : 15-16

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا يَنظُرُ هَـَؤُلاَءِ إِلاّ صَيْحَةً واحِدَةً مّا لَهَا مِن فَوَاقٍ * وَقَالُواْ رَبّنَا عَجّل لّنَا قِطّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ }.

يقول تعالى ذكره: وَما يَنْظرُ هَـؤُلاءِ المشركون بالله من قُريش إلاّ صَيْحَةً وَاحِدَةً يعني بالصيحة الواحدة: النفخة الأولى في الصور ما لَهَا مِنْ فَوَاقٍ يقول: ما لتلك الصيحة من فيقة, يعني من فتور ولا انقطاع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22859ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَما يَنْظُرُ هَؤُلاءِ إلاّ صَيْحَةً وَاحِدَةً يعني: أمة محمد ما لهَا مِنْ فَوَاقٍ.

22860ـ حدثنا أبو كُرَيْب, قال: حدثنا المحاربي, عن إسماعيل بن رافع, عن يزيد بن زياد, عن رجل من الأنصار, عن محمد بن كعب القرظي, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ اللّهَ لمّا فَرَغَ مِنْ خَلْقِ السّمَوَاتِ والأرْضِ خَلَقَ الصّورَ, فَأعْطاهُ إسْرَافِيلَ, فَهُوَ وَاضِعُهُ على فِيهِ شاخِصٌ بِبَصَرِهِ إلَى العَرْشِ يَنْتَظِرُ مَتى يُؤْمَرُ». قال أبو هريرة: يا رسول الله وما الصور؟ قال: «قَرْنٌ», قال: كيف هو؟ قال: «قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فِيهِ ثَلاثُ نَفَخاتٍ: نَفْخَةُ الفَزَعِ الأولى, والثّانِيَةُ: نَفْخَةُ الصّعْقِ, والثّالِثَةُ: نَفْخَةُ القِيامِ لِرَبّ العالَمِينَ, يَأمُرُ اللّهُ إسْرَافِيلَ بالنّفْخَةِ الأولى, فَيَقُولُ: انْفُخْ نَفْخَةَ الفَزَعِ, فَيَفْزَعُ أهْلُ السّمَوَاتِ وأهْلُ الأرْضِ إلاّ مَنْ شاءَ اللّهُ, وَيَأمُرُهُ اللّهُ فَيُدِيمُها وَيُطَوّلُها, فَلا يَفْتُرُ وَهِيَ التي يَقُولُ اللّهُ وَما يَنْظُرُ هَؤُلاءِ إلاّ صَيْحَةً وَاحِدَةً ما لَها مِنْ فَوَاقٍ».

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ما لَهَا مِنْ فَوَاقٍ فقال بعضهم: يعني بذلك: ما لتلك الصيحة من ارتداد ولا رجوع. ذكر من قال ذلك:

22861ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس ما لَهَا مِنْ فَوَاقٍ يقول: من تَرداد.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ يقول: ما لها من رجعة.

22862ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: ما لَهَا مِنْ فَوَاقٍ قال: من رجوع.

22863ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ما لَهَا مِنْ فَوَاقٍ يعني الساعة ما لها من رجوع ولا ارتداد.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ما لهؤلاء المشركين بعد ذلك إفاقة ولا رجوع إلى الدنيا. ذكر من قال ذلك:

22864ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ ما لَهَا مِنْ فَوَاقٍ يقول: ليس لهم بعدها إفاقة ولا رجوع إلى الدنيا.

وقال آخرون: الصيحة في هذا الموضع: العذاب. ومعنى الكلام: ما ينتظر هؤلاء المشركون إلا عذابا يهلكهم, لا إفاقة لهم منه. ذكر من قال ذلك:

22865ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: ما لَهَا مِنْ فَوَاقٍ قال: ما ينتظرون إلا صيحة واحدة ما لها من فواق, يا لها من صيحة لا يفيقون فيها كما يفيق الذي يغشى عليه وكما يفيق المريض تهلكهم, ليس لهم فيها إفاقة.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة مِنْ فَوَاقٍ بفتح الفاء. وقرأته عامة أهل الكوفة: «مِنْ فُوَاقٍ» بضم الفاء.

واختلف أهل العربية في معناها إذا قُرئت بفتح الفاء وضمها, فقال بعض البصريين منهم: معناها, إذا فتحت الفاء: ما لها من راحة, وإذا ضمت جعلها فُواق ناقة ما بين الحلبتين. وكان بعض الكوفيين منهم يقول: معنى الفتح والضمّ فيها واحد, وإنما هما لغتان مثل السّوَاف والسّواف, وجَمام المكوك وجُمامة, وقَصاص الشعر وقُصاصة.

والصواب من القول في ذلك أنهما لغتان, وذلك أنا لم نجد أحدا من المتقدمين على اختلافهم في قراءته يفرّقون بين معنى الضمّ فيه والفتح, ولو كان مختلف المعنى باختلاف الفتح فيه والضم, والضم, لقد كانوا فرقوا بين ذلك في المعنى. فإذ كان ذلك كذلك, فبأيّ القراءتين قرأ القارىء فمصيب وأصل ذلك من قولهم: أفاقت الناقة, فهي تفيق إفاقة, وذلك إذا رَدّت ما بين الرضعتين ولدها إلى الرضعة الأخرى, وذلك أن ترضع البهيمة أمها, ثم تتركها حتى ينزل شيء من اللبن, فتلك الإفاقة يقال إذا اجتمع ذلك في الضرع فيقة, كما قال الأعشى:

حتى إذَا فِيْقَةٌ فِي ضَرْعِها اجْتَمَعَتْجاءَتْ لِتُرْضِعَ شِقّ النّفْسِ لوْ رَضِعا

وقوله: وَقالُوا رَبّنا عَجّلْ لَنا قِطّنا قَبْلَ يوْم الحِسابِ يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون بالله من قريش: يا ربنا عجل لنا كتبنا قبل يوم القيامة. والقِطّ في كلام العرب: الصحيفة المكتوبة ومنه قول الأعشى:

وَلا المَلِكُ النّعْمانُ يَوْمَ لَقِيتُهُبِنِعْمَتِهِ يُعْطِي القُطُوطَ ويَأفِقُ

يعني بالقُطوط: جمع القِط, وهي الكتب بالجوائز.

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي أراد هؤلاء المشركون بمسألتهم ربهم تعجيل القطّ لهم, فقال بعضهم: إنما سألوا ربهم تعجيل حظهم من العذاب الذي أعدّ لهم في الآخرة في الدنيا, كما قال بعضهم: إنْ كانَ هَذَا

هُوَ الـحَقّ مِنْ عِنْدِكَ فَأمْطِرْ عَلَـيْنا حِجارَةً مِنَ السّماءِ أو أئْتِنـا بَعَـذَابٍ أَلِـيـمٍ. ذكر من قال ذلك:

22866ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: رَبّنا عَجّلْ لَنا قِطّنا يقول: العذاب.

حدثنـي مـحمد بن سعيد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمـي, قـال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عـن ابـن عبـاس, قـوله: وَقـالُوا رَبّنـا عَجّـلْ لنَـا قِطّنـا يَـوْمَ الـحِسابِ قال: سألوا الله أن يعجل لهم العذاب قبل يوم القـيامة.

22867ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن مـحمد بـن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبـي بزّة, عن مـجاهد, فـي قـوله: عَجّـلْ لنَـا قِطّنا قال: عذابنا.

حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسـى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقـاء, جميعـا عـن ابـن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: عَجّلْ لنَا قِطّنا قال: عذابنا.

22868ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَقالُوا رَبّنا عَجّلْ لَنا قِطّنا قَبْلَ يَوْمِ الـحِسابِ: أي نصـيبنا حظنـا مـن العـذاب قبل يوم القـيامة, قال: قد قال ذلك أبو جهل: اللهمّ إن كان ما يقول مـحمد حقا فَأمْطِرْ عَلَـيْنا حِجارَةً مِنَ السّماءِ... الآية.

وقال آخرون: بل إنـما سألوا ربهم تعجيـل أنصبـائهم ومنازلهم من الـجنة حتـى يروهـا فـيعلـموا حقـيقة مـا يعـدهم مـحمد صـلى اللـه عليـه وسـلم فـيؤمنوا حينئذٍ به ويصدّقوه. ذكر من قال ذلك:

22869ـ حدثنـي مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, قوله: عَجّـلْ لنَـا قِطّنـا قـالوا: أرنـا منازلنـا فـي الـجنة حتـى نتابعك.

وقال آخرون: مسألتهم نصيبهم من الـجنة, ولكنهم سألوا تعجيـله لهم فـي الدنـيا. ذكر من قال ذلك:

22870ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حـدثنا سفـيان, عن ثابت الـحدّاد, قال: سمعت سعيد بن جُبَـير يقـول فـي قـوله: عَجّـلْ لنَـا قِطّنا قَبْلَ يَوْمِ الـحِسابِ قال: نصيبنا من الـجنة.

وقال آخرون: بل سألوا ربهم تعجيـل الرزق. ذكر من قال ذلك:

22871ـ حدثنـي مـحمد بـن عمـر بـن علـيّ, قـال: حـدثنا أشـعث السجستانـي, قال: حدثنا شعبة, عن إسماعيـل بـن أبـي خالـد فـي قـوله: عَجّلْ لنَا قِطّنا قال: رزقنا.

وقال آخرون: سألوا أن يعجل لهم كتبهم التـي قال اللـه فأمّـا مَـنْ أوتِـيَ كِتابَهُ بـيَـمِينِهِ. وَأمّا مَنْ أوتِـيَ كِتَابَهُ بِشِمالِهِ فـي الدنـيا, لـينظروا بأيـمانهم يُعْطَوْنها أم بشمائلهم؟ ولـينظروا مِن أهل الـجنة هم, أم من أهل النـار قبـل يوم القـيامة استهزاء منهم بـالقرآن وبوعد الله.

وأولـى الأقوال فـي ذلك عندي بـالصواب أن يقال: إن القوم سألوا ربهـم تعجيـل صكاكهم بحظوظهم من الـخير أو الشـرّ الـذي وعـد اللـه عبـاده أن يؤتـيهموها فـي الآخرة قبل يوم القـيامة فـي الدنـيا استهزاء بوعيد الله.

وإنـما قلنا إن ذلك كذلك, لأن القطّ هو ما وصـفت مـن الكتـب بـالـجوائز والـحظوظ, وقد أخبر الله عن هؤلاء الـمشركين أنهـم سـألوه تعجيـل ذلـك لهم, ثم أتبع ذلك قوله لنبـيه: اصْبِرْ علـى ما يَقُولُونَ فكـان معلومـا بـذلك أن

مسألتهم ما سألوا النبـيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم لـو لـم تكـن علـى وجـه الاستهزاء منهم لـم يكن بـالذي يتبع الأمر بـالصبر علـيه, ولكن لـما كان ذلك استهزاء, وكان فـيه لرسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أذى, أمـره اللـه بـالصبر علـيه حتـى يأتـيه قضاؤه فـيهم, ولـما لـم يكن فـي قوله: عَجِّـلْ لنَـا قِطّنا بـيان أيّ القطوط إرادتهم, لـم يكن لـما توجيه ذلك إلـى أنه معنـيّ بـه القُطوط ببعض معانـي الـخير أو الشرّ, فلذلك قلنا إن مسـألتهم كـانت بـما ذكرت من حظوظهم من الـخير والشرّ.

الآية : 17-20

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {اصْبِرْ عَلَىَ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُـرْ عَبْـدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنّـهُ أَوّابٌ * إِنّـا سَـخّرْنَا الجِبَـالَ مَعَـهُ يُسَـبّحْنَ بِالْعَشِـيّ وَالإِشْـرَاقِ * وَالطّيْـرَ مَحْشُـورَةً كُـلّ لّـهُ أَوّابٌ * وَشَـدَدْنَا مُلْكَـهُ وَآتَيْنَـاهُ الْحِكْمَـةَ وَفَصْـلَ الْخِطَابِ }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: اصـبر يـا مـحمد علـى ما يقول مشركو قومك لك مـما تكـره قـيـلهم لـك, فإنـا مـمتـحنوك بـالـمكاره امتـحاننا سائر رسلنا قبلك, ثم جاعلو العلوّ والرفعـة والظفـر لـك علـى من كذبك وشاقّك سنتنا فـي الرسل الذين أرسلناهم إلـى عبـادنا قبلك فمنهم عبدنا أيوب وداود بن إيشا, فـاذكره ذا الأيد ويعنـي بقـوله: ذَا الأَيْـدِ ذا القوّة والبطش الشديد فـي ذات الله والصبر علـى طاعته. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22872ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس دَاوُد ذَا الأَيْدِ قال: ذا القوّة.

22873ـ حدثنـي مـحمد بن عمـرو, قـال: ثنـي أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسين, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: ذَا الأَيْـد قـال: ذا القـوّة فـي طاعـة الله.

22874ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَاذْكُرْ عَبْدَنا دَاوُدَ ذَا الأَيْد قال: أعطي قوّة فـي العبـادة, وفقها فـي الإسلام.

وقد ذُكر لنا أن داود صلى الله عليه وسلم كان يقوم اللـيـل ويصوم نصـف الدهر.

22875ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قـال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, قوله: دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ ذا القوّة فـي طاعة الله.

22876ـ حدثنـي يونس قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قـوله: دَاوُدَ ذَا الأَيْـدِ قـال: ذا القـوّة فـ ي عبـادة اللـه, الأيـد: القـوّة, وقـرأ: والسّماءَ بَنَـيْناها بأَيْدٍ قال: بقوّة.

وقوله: إنّهُ أوّابٌ يقول: إن داود رَجّاع لـما يكرهه الله إلـى ما يرضيه أوّاب, وهو من قولهم: آب الرجل إلـى أهله: إذا رجع. وبنـحو الـذي قلنـا فـي ذلـك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22877ـ حدثنا مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقـاء, جميعـا عـن ابـن أبـي نـجيح, عن مـجاهد إنّهُ أوّابٌ قال: رجاع عن الذنوب.

حدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد إنّهُ أوّابٌ قال: الراجع عن الذنوب.

22878ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أنّهُ أوّابٌ: أي كان مطيعا لله كثير الصلاة.
22879ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: إنّهُ أوّابٌ قال: المسبّح.
22880ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّهُ أوّابٌ قال: الأوّاب التوّاب الذي يؤوب إلى طاعة الله ويرجع إليها, ذلك الأوّاب, قال: والأوّاب: المطيع.
وقوله: إنّا سَخّرْنا الجِبالَ مَعَهُ يُسَبّحْنَ بالعَشِيّ وَالإشْرَاقِ يقول تعالى ذكره: إنا سخرنا الجبال يسبّحن مع داود بالعشيّ, وذلك من قوت العصر إلى الليل, والإشراق, وذلك بالغداة وقت الضحى. ذُكر أن داود كان إذا سبح سبحت معه الجبال, كما:
22881ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إنّا سخّرْنا الجِبالَ مَعَهُ يُسَبّحْنَ بالعَشِيّ والإشْراقِ يسبحن مع داود إذا سبح بالعشيّ والإشراق.
22882ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: بالعَشيّ والإشْرَاقِ قال: حين تُشرق الشمس وتضحى.
22883ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا محمد بن بشر, عن مسعر بن عبد الكريم, عن موسى بن أبي كثير, عن ابن عباس أنه بلغه أن أمّ هانىء ذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة, صلى الضحى ثمان ركعات, فقال ابن عباس: قد ظننت أن لهذه الساعة صلاة, يقول الله: يُسَبّحْنَ بالعَشيّ والإشْراقِ.
22884ـ حدثنا ابن عبد الرحيم البرقي, قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة, قال: حدثنا صدقة, قال: ثني سعيد بن أبي عَروبة, عن أبي المتوكل, عن أيوب بن صفوان, عن عبد الله بن الحارث بن نوفل أن ابن عباس كان لا يصلي الضحى, قال: فأدخلته على أم هانىء, فقلت: أخبري هذا بما أخبرتني به, فقالت أمّ هانىء: دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح في بيتي, فأمر بماء فصبّ في قصعة, ثم أمر بثوب فأخذ بيني وبينه, فاغتسل, ثم رشّ ناحية البيت فصلّى ثمان ركعات, وذلك من الضحى قيامهنّ وركوعهنّ وسجودهنّ وجلوسهنّ سواء, قريب بعضهنّ من بعض, فخرج ابن عباس, وهو يقول: لقد قرأت ما بين اللوحين, ما عرفت صلاة الضحى إلا الآن يُسَبّحْنَ بالعَشَيّ والإشْراق وكنت أقول: أين صلاة الإشراق, ثم قال: بعدهنّ صلاة الإشراق.
حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا سعيد بن أبي عروبة, عن متوكل, عن أيوب بن صفوان, مولى عبد الله بن الحارث, عن عبد الله بن الحارث, أن أمّ هانىء ابنة أبي طالب, حَدّثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح دخل عليها ثم ذكر نحوه.
وعن ابن عباس في قوله: يُسَبّحْنَ بالعَشِيّ مثل ذلك.
وقوله: والطّيْرَ مَحْشُورَةً يقول تعالى ذكره: وسخرنا الطير يسبحن معه محشورة بمعنى: مجموعة له ذُكر أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا سبح أجابته الجبال, واجتمعت إليه الطير, فسبحت معه واجتماعها إليه كان حشرها. وقد ذكرنا أقوال أهل التأويل في معنى الحشر فيما مضى, فكرهنا إعادته. وكان قتادة يقول في ذلك في هذا الموضع ما:

22885ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة والطّيْرَ مَـحْشُورَةً: مسخّرة.
وقوله: كُلّ لَهُ أوّابٌ يقول: كل ذلك له مطيع رجّاع إلـى طـاعته وأمـره. ويعنـي بـالكلّ: كلّ الطير. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
22886ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة كُلّ لَهُ أوّابٌ: أي مطيع.
22887ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله: والطّيْرَ مَـحْشُورَةً كُلّ لَهُ أوّابٌ قال: كلّ له مطيع.
وقال آخرون: معنى ذلك: كل ذلك لله مسبّح. ذكر من قال ذلك:
22888ـ حدثنـي مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, قـوله: والطّيْـر مَــحْشُورَةً كُـلّ لَـهُ أوّابٌ يقـول: مسبّح لله.
وقوله: وَشَدَدْنا مُلْكَهُ اختلف أهل التأويـل فـي الـمعنى الذي به شدّد ملكه, فقال بعضهم: شدّد ذلك بـالـجنود والرجال, فكان يحرسـه كـلّ يـوم ولـيــلة أربعة آلاف, أربعة آلاف. ذكر من قال ذلك:
22889ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قـال: حدثنا أسبـاط, عن السدّيّ, قوله: وَشَدَدْنا مُلْكَهُ قال: كان يحرسـه كـلّ يـوم ولـيـلة أربعة آلاف, أربعة آلاف.
وقال آخرون: كان الذي شدد به ملكه, أن أُعطِيَ هيبة من الناس له لقضية كان قضاها. ذكر من قال ذلك:
22890ـ حدثنـي ابن حرب, قال: حـدثنا موسـى, قـال: حـدثنا داود, عـن علبـاء بن أحمر, عن عكرمة, عن ابن عبـاس, أن رجلاً مـن بنــي إسرائيــل استعدى علـى رجل من عظمائهم, فـاجتـمعا عند داود النبـيّ صلى الله عليه وسلم فقال الـمستعدي: إن هذا اغتصبنـي بقرا لـي, فسأل داود الرجل عـن ذلك فجحده, فسأل الآخر البـينة, فلـم يكن له بـيّنة, فقـال لهمـا داود: قومـا حتـى أنظر فـي أمركما فقاما من عنده, فأوحى اللـه إلــى داود فــي منـامه أن يقتل الرجل الذي استُعدي عليه, فقال: هـذه رؤيـا ولسـت أعجـل حتـ ى أتثبت, فأوحى الله إلـى داود فـي منامه مرّة أخرى أن يقتل الرجل, وأوحــى الله إلـيه الثالثة أن يقتله أو تأتـيه العقوبة من الله, فأرسل داود إلـى الرجل: إن الله قد أوحى إلـيّ أن أقتلك, فقال الرجل: تقتلنـي بغير بــينة ولا تثبـت؟ فقال له داود: نعم, والله لأنفذنّ أمر الله فـيك فلـما عرف الرجل أنه قـاتله, قال: لا تعجل علـيّ حتـى أخبرك, إنـي والله وما أُخِذت بهذا الـذنب, ولكنــي كنت اغتلت والد هذا فقتلته, فبذلك قُتلـت, فـأمر بـه داود فقُتـل, فــاشتدّت هيبة بنـي إسرائيـل عند ذلك لداود, وشدد به ملْكه, فهو قـول اللـه: وَشَـدَدْنا مُلْكَهُ.
وأولـى الأقوال فـي ذلك بـالصواب أن يقال: إن الله تبـارك وتعالـى أخـبر أنه شَدّد ملك داود, ولـم يحضر ذلك مـن تشـديده علــى التشـديد بــالرجال والـجنود دون الهيبة من النـاس لـه ولا علــى هيبـة النـاس لـه دون الــجنود. وجائز أن يكون تشـديده ذلـك كـان ببعـض مـا ذكرنـا, وجـائز أن يكـون كـان بجميعها, ولا قول أولـى فـي ذلك بـالصحة من قول الله, إذ لـم يحصُـرْ ذلـك علـى بعض معانـي التشديد خبر يجب التسلـيـم له.

وقوله: وآتَـيْناهُ الـحِكْمَةَ اختلف أهل التأويـل فـي معنى الـحكمة فـي هـذا الـموضع, فقال بعضهم: عُنـي بها النبوّة. ذكر من قال ذلك:

22891ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قـال: حدثنا أسبـاط عن السديّ, قوله: وآتَـيْناهُ الـحِكْمَةَ قال: النبوّة.

وقال آخرون: عُنـي بها أنه علـم السنن. ذكر من قال ذلك:

22892ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وآتَـيْناهُ الـحِكْمَةَ: أي السنة.

وقد بـيّنا معنى الـحكمة فـي غير هذا الـموضع بشواهده, فأغنى ذلك عـن إعادته فـي هذا الـموضع.

وقوله: وفَصْلَ الـخِطابِ اختلـف أهـل التأويــل فــي معنـى ذلـك, فقـال بعضهم: عنـي به أنه علـم القضاء والفهم به. ذكر من قال ذلك:

22893ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس وَآتَـيْناهُ الـحِكْمَةَ وَفَصْلَ الـخِطابِ قـال: أعطي الفهم.

22894ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن لـيث, عن مــجاهد وَفَصْلَ الـخِطاب قال: إصابة القضاء وفهمه.

22895ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قـال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, فـي قوله: وَفَصْل الـخِطابِقال: علـم القضاء.

22896ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: وآتَـيْناهُ الـحِكْمَةَ وَفَصْـلَ الــخِطابِ قـال: الــخصومات التــي يخاصـم الناس إلـيه فصل ذلك الـخطاب, الكلام الفهم, وإصابة القضاء والبـيّنات.

22897ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حـدثنا سفــيان, عن أبـي حُصين, قال: سـمعت أبــا عبـد الرحمـن يقـول: فصـل الــخطاب: القضاء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وفصل الـخطاب, بتكلـيف الـمدّعي البــينة, والـيـمين علـى الـمدّعَى علـيه. ذكر من قال ذلك:

22898ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنـا داود بـن أبــي هند, قال: ثنـي الشعبـيّ أو غيره, عـن شـريح أنـه قـال فــي قـوله: وفَصْـلَ الـخِطابِ قال: بـيّنة الـمدّعي, أو يـمين الـمُدّعى علـيه.

22899ـ حدثنـي يعقوب بن إبراهيـم, قال: حدثنا ابن عُـلـيّة, عن داود بـن أبـي هند, فـي قوله: وآتَـيْناه الـحِكْمَةَ وَفَصْلَ الـخِطابِ قال: نُبّئت عن شريح أنه قال: شاهدان أو يـمين.

حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا معتـمر, قال: سمعت داود قال: بلغنـي أن شريحا قال فصل الـخِطابِ الشاهدان علــى الــمدعي, والــيــمين علــى من أنكر.

22900ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حـدثنا سفــيان, عن منصور, عن طـاوس, أن شـريحا قـال لرجـل: إن هـذا يعيـب علــيّ مـا أُعْطِيَ داود, الشهود والأيـمان.

حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شـعبة, عـن الـحكم, عن شريح أنه قال فـي هذه الآيـة وَفَصْـلَ الــخِطابِ قـال: الشـهود والأيـمان.

22901ـ حدثنا عمران بن موسى, قال: حدثنا عبد الوارث, قال: حدثنا داود, عن الشعبيّ, في قوله: وآتَيْناهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطابِ قال: يمين أوْ شاهِدٌ.
22902ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَفَصْلَ الخِطابِ البينة على الطالب, واليمين على المطلوب, هذا فصل الخطاب.
وقال آخرون: بل هو قولُ: أما بعد. ذكر من قال ذلك:
22903ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا جابر بن نوح, قال: حدثنا إسماعيل, عن الشعبيّ في قوله: وَفَصْلَ الخِطابِ قال: قول الرجل: أما بعد.
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه آتى داود صلوات الله عليه فصل الخطاب, والفصل: هو القطع, والخطاب هو المخاطبة, ومن قطع مخاطبة الرجل الرجل في حال احتكام أحدهما إلى صاحبه قطع المحتكم إليه الحكم بين المحتكم إليه وخصمه بصواب من الحكم, ومن قطع مخاطبته أيضا صاحبه إلزام المخاطب في الحكم ما يجب عليه إن كان مدعيا, فإقامة البينة على دعواه وإن كان مدعى عليه فتكليفه اليمين إن طلب ذلك خصمه. ومن قطع الخطاب أيضا الذي هو خطبة عند انقضاء قصة وابتداء في أخرى الفصل بينهما بأما بعد. فإذ كان ذلك كله محتملاً ظاهر الخبر ولم تكن في هذه الآية دلالة على أيّ ذلك المرادُ, ولا ورد به خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثابت, فالصواب أن يعم الخبر, كما عمه الله, فيقال: أوتي داود فصل الخطاب في القضاء والمحاورة والخطب.

الآية : 21-22

القول في تأويل قوله تعالى: {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوّرُواْ الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُواْ عَلَىَ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لاَ تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىَ بَعْضُنَا عَلَىَ بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقّ وَلاَ تُشْطِطْ وَاهْدِنَآ إِلَىَ سَوَآءِ الصّرَاطِ}.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وهل أتاك يا محمد نبأ الخصم وقيل: إنه عُني بالخصم في هذا الموضع ملكان, وخرج في لفظ الواحد, لأنه مصدر مثل الزور والسفر, لا يثنى ولا يجمع ومنه قول لبيد:
وَخَصْمٍ يَعُدّونَ الدّحُولَ كأنّهُمْقُرُومٌ غَيَارَى كلّ أزْهَرَ مُصْعَب
وقوله: إذْ تَسَوّرُوا المِحْرَابَ يقول: دخلوا عليه من غير باب المحراب والمحراب مقدّم كل مجلس وبيت وأشرفه. وقوله: إذْ دَخَلُوا عَلى دَاوُدَ فكرّر إذ مرّتين, وكان بعض أهل العربية يقول في ذلك: قد يكون معناهما كالواحد, كقولك: ضربتك إذ دخلت عليّ إذ اجترأت, فيكون الدخول هو الاجتراء, ويكون أن تجعل إحداهما على مذهب لما, فكأنه قال: إذ تسوّروا المحراب لما دخلوا, قال: وإن شئت جعلت لما في الأوّل, فإذا كان لما أوّلا أو آخرا, فهي بعد صاحبتها, كما تقول: أعطيته لما سألني, فالسؤال قبل الإعطاء في تقدّمه وتأخره.
وقوله: فَفَزِعَ مِنْهُمْ يقول القائل: وما كان وجه فزعه منهما وهما خصمان, فإنّ فزعه منهما كان لدخولهما عليه من غير الباب الذي كان المَدْخَل

عليه, فراعه دخولهما كذلك عليه. وقيل: إن فزعه كان منهما, لأنهما دخلا عليه ليلاً في غير وقت نظره بين الناس قالوا: لا تَخَفْ يقول تعالى ذكره: قال له الخصم: لا تخف يا داود, وذلك لمّا رأياه قد ارتاع من دخولهما عليه من غير الباب. وفي الكلام محذوف استغني بدلالة ما ظهر من الكلام منه, وهو مرافع خصمان, وذلك نحن. وإنما جاز ترك إظهار ذلك مع حاجة الخصمين إلى المرافع, لأن قوله خَصْمانِ فعل للمتكلم, والعرب تضمر للمتكلم والمكلّم والمخاطب ما يرفع أفعالهما, ولا يكادون أن يفعلوا ذلك بغيرهما, فيقولون للرجل يخاطبونه: أمنطلق يا فلان ويقول المتكلم لصاحبه: أحسن إليك وتجمل, وإنما يفعلون ذلك كذلك في المتكلم والمكلّم, لأنهما حاضران يعرف السامع مراد المتكلم إذا حُذف الاسم, وأكثر ما يجيء ذلك في الاستفهام, وإن كان جائزا في غير الاستفهام, فيقال: أجالس راكب؟ فمن ذلك قوله خَصْمان ومنه قول الشاعر:

وَقُولا إذَا جاوَزْتُمَا أرْضَ عامِرٍوَجاوَزْتُمَا الحَيّيْنَ نَهْدا وخَثْعَما
نَزيعانِ مِنْ جَرْمِ بْنِ رَبّانِ إنهُمْأبَوْا أن يُميرُوا في الهَزَاهِزِ مِحْجَما

وقول الآخر:

تَقُولُ ابْنَةُ الكَعْبِيّ يوْمَ لَقِيتُهاأمُنْطَلِقٌ في الجَيْشِ أمْ مُتَثاقِلُ

ومنه قولهم: «مُحْسِنة فهيلي». وقول النبيّ صلى الله عليه وسلم: «آئِبُونَ تائِبُونَ». وقوله: «جاءَ يَوْمَ القِيامَةِ مَكْتُوبٌ بينَ عَيْنَيْهِ آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ» كلّ ذلك بضميرٍ رَفَعه. وقوله عزّ وجلّ بَغَى بَعْضُنا على بَعْضٍ يقول: تعدّى أحدنا على صاحبه بغير حقّ فاحْكُمْ بَيْنَنا بالحَقّ يقول: فاقضِ بيننا بالعدّل وَلا تُشْطِطْ: يقول: ولا تَجُر, ولا تُسْرِف في حكمك, بالميل منك مع أحدنا على صاحبه. وفيه لغتان: أشَطّ, وشَطّ. ومن الإشطاط قول الأحوص:

ألا يا لَقَوْمٍ قَدْ أشَطّتْ عَوَاذِليوَيَزْعُمْنَ أنْ أَوْدَي بحَقّيَ باطِلِي

ومسموع من بعضهم: شَطَطْتَ عليّ في السّوْم. فأما في البعد فإن أكثر كلامهم: شَطّت الدار, فهي تَشِطّ, كما قال الشاعر:

تَشِطّ غَدا دَارُ جِيرَانِناوللدّارُ بَعْدَ غَدٍ أبْعَدُ

وقوله: وَاهْدِنا إلى سَوَاءِ الصّراطِ يقول: وأرشدنا إلى قَصْد الطريق المستقيم. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: وَلا تُشْطِطْ ق ال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22904ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَلا تُشْطِطْ: أي لا تمل.

22905ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَلا تُشْطِطْ يقول: لا تُحِف.

22906ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلا تُشْطِطْ تخالف عن الحقّ.

وكالذي قلنا أيضا في قوله: وَاهْدِنا إلى سَوَاءِ الصّراطِ قالوا: ذكر من قال ذلك:

22907ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَاهْدِنا إلى سَوَاء الصّراطِ إلى عدله وخيره.

22908ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَاهْدنا إلى سَوَاءِ الصّراطِ إلى عدل القضاء.
22909ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَاهْدِنا إلى سَوَاءِ الصّراطِ قال: إلى الحقّ الذي هو الحقّ: الطريق المستقيم وَلا تُشْطِطْ تذهب إلى غيرها.
22910ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه: وَاهْدِنا إلى سَوَاء الصّراطِ: أي احملنا على الحقّ, ولا تخالف بنا إلى غيره.

الآية : 23

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ هَذَآ أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزّنِي فِي الْخِطَابِ }.
وهذا مثل ضربه الخصم المتسوّرون على داود محرابه له, وذلك أن داود كانت له فيما قيل: تسع وتسعون امرأة, وكانت للرجل الذي أغزاه حتى قُتل امرأة واحدة فلما قُتل نكح فيما ذُكر داود امرأته, فقال له أحدهما: إنّ هَذَا أخي يقول: أخي على ديني, كما:
22911ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه: إنّ هَذَا أَخي: أي على ديني لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ولي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ.
وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «إنّ هَذَا أخي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أُنْثَى» وذلك على سبيل توكيد العرب الكلمة, كقولهم: هذا رجل ذكر, ولا يكادون أن يفعلوا ذلك إلا في المؤنث والمذكر الذي تذكيره وتأنيثه في نفسه كالمرأة والرجل والناقة, ولا يكادون أن يقولوا هذه دار أنثى, وملحفة أنثى, لأن تأنيثها في اسمها لا في معناها. وقيل: عنى بقوله: أنثى: أنها حسنة. ذكر من قال ذلك:
22912ـ حُدثت عن المحاربي, عن جُوَيبر, عن الضحاك «إن هَذَا أخي لَهُ تَسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أُنْثَى» يعني بتأنيثها. حسنها.
وقوله: فقالَ أكْفِلْنِيها يقول: فقال لي: انزل عنها لي وضمها إليّ, كما:
22913ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أكْفلْنِيها قال: أعطنيها, طلّقها لي, أنكحها, وخلّ سبيلها.
22914ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه, فقال: أكْفِلْنِيها أي أحملني عليها.
وقوله: وَعَزّنِي فِي الخِطابِ يقول: وصار أعزّ مني في مخاطبته إياي, لأنه إن تكلم فهو أبين مني, وإن بطش كان أشدّ مني فقهرني. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
22915ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن الأعمش, عن أبي الضحى, عن مسروق, قال: قال عبد الله في قوله: وَعَزّنِي فِي الخِطابِ قال: ما زاد داود على أن قال: انزل لي عنها.
حدثنا ابن وكيع, قال: ثني أبي, عن المسعودي, عن المنهال, عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس قال: ما زاد على أن قال: انزل لي عنها.
وحدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن جده, عن الأعمش, عن مسلم, عن مسروق, قال: قال عبد الله: ما زاد داود على أن قال: أكْفِلْنِيها.

22916ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, وَعَزَّنِي فِي الخِطابِ قال: إن دعوت ودعا كان أكثر, وإن بطشت وبطش كان أشدّ مني, فذلك قوله: وَعَزَّنِي فِي الخِطابِ.

22917ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَعَزَّنِي فِي الخِطابِ أي ظلمني وقهرني.

22918ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قلا: قال ابن زيد في قوله: وَعَزَّنِي فِي الخِطابِ قال: قهرني, وذلك العزّ قال: والخطاب: الكلام.

22919ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه وَعَزَّنِي فِي الخِطابِ: أي قهرني في الخطاب, وكان أقوى مني, فحاز نعجتي إلى نعاجه, وتركني لا شيء لي.

22920ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَعَزَّنِي فِي الخِطابِ قال: إن تكلم كان أبين مني, وإن بطش كان أشدّ مني, وإن دعا كان أكثر مني.

الآية : 24

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىَ نِعَاجِهِ وَإِنّ كَثِيراً مّنَ الْخُلَطَآءِ لَيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَىَ بَعْضٍ إِلاّ الّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مّا هُمْ وَظَنّ دَاوُودُ أَنّمَا فَتَنّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبّهُ وَخَرّ رَاكِعاً وَأَنَابَ }.

يقول تعالى ذكره: قال داود للخصم المتظلم من صاحبه: لقد ظلمك صاحبك بسؤاله نعجتك إلى نعاجه وهذا مما حُذفت منه الهاء فأضيف بسقوط الهاء منه إلى المفعول به, ومثله قوله عزّ وجلّ: لا يَسْأَمُ الإنْسانُ مِنْ دُعاءِ الخَيْرِ والمعنى: من دعائه بالخير, فلما أُلْقِيت الهاء من الدعاء أضيف إلى الخير, وألقي من الخير الباء وإنما كنى بالنعجة ها هنا عن المرأة, والعرب تفعل ذلك ومنه قول الأعشى:

قَدْ كُنْتُ رَائِدَها وَشاةِ مُحَاذِرِحَذَرَا يُقِلّ بعَيْنِهِ إعْفَالَهَا

يعني بالشاة: امرأة رجل يحذر الناس عليها وإنما يعني: لقد ظلمت بسؤال امرأتك الواحدة إلى التسع والتسعين من نسائه.

وقوله: وَإنّ كَثِيرا مِنَ الخُلَطاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ يقول: وإن كثيرا من الشركاء ليتعدّى بعضهم على بعض إلاّ الّذِينَ آمَنُوا باللهِ وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ يقول: وعملوا بطاعة الله, وانتهوا إلى أمره ونهيه, ولم يتجاوزوه وَقَلِيلٌ ما هُمْ. وفي «ما» التي في قوله: وَقَلِيلٌ ما هُم وجهان: أحدهما أن تكون صلة بمعنى: وقليل هم, فيكون إثباتها وإخراجها من الكلام لا يُفسد معنى الكلام: والآخر أن تكون اسما, و«هم» صلة لها, بمعنى: وقليل ما تجدهم, كما يقال: قد كنت أحسبك أعقل مما أنت, فتكون أنت صلة لما, والمعنى: كنت أحسب عقلك أكثر مما هو, فتكون «ما» والاسم مصدرا, ولو لم ترد المصدر لكان الكلام بمن, لأن من التي تكون للناس وأشباههم, ومحكيّ عن العرب: قد كنت أراك أعقل منك مثل ذلك, وقد كنت أرى أنه غير ما هو, بمعنى: كنت أراه على غير ما رأيت. ورُوي عن ابن عباس في ذلك ما:

22921ـ حدثني به عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: وَقَلِيلٌ ما هُمْ يقول: وقليل الذين هم.

22922ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إلاّ الّذِينَ آمَنُوا وَعمِلُوا الصّالِحاتِ وَقَلِيلٌ ما هُمْ قال: قليل من لا يبغي.

فعلى هذا التأويل الذي تأوّله ابن عباس معنى الكلام: إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات, وقليل الذين هم كذلك, بمعنى: الذين لا يبغي بعضهم على بعض, و«ما» على هذا القول بمعنى: مَنْ.

وقوله: وَظَنّ دَاوُدُ أنّمَا فَتَنّاهُ يقول: وعلم داود أنما ابتليناه, كما:

22923ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَظَنّ دَاوُدُ: علم داود.

22924ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن أبي رجاء, عن الحسن وَظَنّ دَاوُدَ أنّمَا فَتَنّاهُ قال: ظنّ أنما ابْتُلِي بذاك.

22925ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس وَظَنّ دَاوُدُ أنّمَا فَتَنّاهُ قال: ظنّ أنما ابتُلي بذاك.

حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس وَظَنّ دَاوُدُ أنّمَا فَتَنّاهُ اختبرناه.

والعرب توجه الظنّ إذا أدخلته على الإخبار كثيرا إلى العلم الذي هو من غير وجه العيان.

وقوله: فاسْتَغْفَرَ رَبّهُ يقول: فسأل داود ربه غفران ذنبه وَخَرّ رَاكِعا يقول: وخرّ ساجدا لله وأنابَ يقول: ورجع إلى رضا ربه, وتاب من خطيئته.

واختلف في سبب البلاء الذي ابتُلي به نبيّ الله داود صلى الله عليه وسلم, فقال بعضهم: كان سبب ذلك أنه تذكر ما أعطى الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من حسن الثناء الباقي لهم في الناس, فتمنى مثله, فقيل له: إنهم امتُحنوا فصبروا, فسأل أن يُبْتَلى كالذي ابتلوا, ويعطى كالذي أعطوا إن هو صبر. ذكر من قال ذلك:

22926ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَهَلْ أتاكَ نَبَأُ الخَصْمِ إذْ تَسَوّرُوا المِحْرَابَ قال: إن داود قال: يا ربّ قد أعطيت إبراهيم وإسحَاق ويعقوب من الذكر ما لوددت أنك أعطيتني مثله, قال الله: إني ابتليتهم بما لم أبتلك به, فإن شئت ابتليتك بمثل ما ابتليتهم به, وأعطيتك كما أعطيتهم, قال: نعم, قال له: فاعمل حتى أرى بلاءك فكان ما شاء الله أن يكون, وطال ذلك عليه, فكاد أن ينساه فبينا هو في محرابه, إذ وقعت عليه حمامة من ذهب فأراد أن يأخذها, فطار إلى كوّة المحراب, فذهب ليأخذها, فطارت, فاطّلع من الكوّة, فرأى امرأة تغتسل, فنزل نبيّ الله صلى الله عليه وسلم من المحراب, فأرسل إليها فجاءته, فسألها عن زوجها وعن شأنها, فأخبرته أن زوجها غائب, فكتب إلى أمير تلك السّرية أن يؤمّره على السرايا ليهلك زوجها, ففعل, فكان يُصاب أصحابه وينجو, وربما نُصروا, وإن الله عزّ وجلّ لما رأى الذي وقع فيه داود, أراد أن يستنقذه فبينما داود ذات يوم في محرابه, إذ تسوّر عليه الخَصْمان من قِبَل وجهه فلما رآهما وهو يقرأ فزع وسكت, وقال: لقد استضعفت في مُلكي حتى إن الناس يستوّرون عليّ محرابي, قالا له: لا تَخَفْ خَصْمان

بَغَى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ ولم يكن لنا بدّ من أن نأتيك, فاسمع منا قال أحدهما: إنّ هَذَا أخي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أنثى ولي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقالَ أكْفِلْنِيها يريد أن يتمم بها مئة, ويتركني ليس لي شيء وَعَزّني فِي الخِطابِ قال: إن دعوت ودعا كان أكثر, وإن بطشت وبطش كان أشدّ مني, فذلك قوله: وَعَزّنِي فِي الخِطابِ قال له داود: أنت كنت أحوج إلى نعجتك منه لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إلى نِعاجِهِ... إلى قوله: وَقَلِيلٌ ما هُمْ ونسي نفسه صلى الله عليه وسلم, فنظر الملكان أحدهما إلى الآخر حين قال ذلك, فتبسّم أحدهما إلى الآخر, فرآه داود وظنّ أنما فتن فاستغفر رَبّه وَخَرّ رَاكِعا وأنابَ أربعين ليلة, حتى نبتت الخُضرة من دموع عينيه, ثم شدد الله له ملكه.

22927ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: وَهَلْ أتاكَ نَبأُ الخَصْمِ إذْ تَسَوّرُوا المِحْرابَ قال: كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام: يوم يَقْضِي فيه بين الناس, ويوم يخلو فيه لعبادة ربه, ويوم يخلو فيه لنسائه وكان له تسع وتسعون امرأة, وكان فيما يقْرأ من الكتب أنه كان يجد فيه فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب فلما وجد ذلك فيما يقرأ من الكتب قال: يا ربّ إن الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي, فأعطني مثل ما أعطيتهم, وافعل بي مثل ما فعلت بهم, قال: فأوحى الله إليه: إن آباءك ابتلوا ببلايا لم تبتل بها ابتلي إبراهيم بذبح ابنه, وابتُلي إسحاق بذهاب بصره, وابتُلي يعقوب بحُزنه على يوسف, وإنك لم تبتل من ذلك بشيء, قال: يا ربّ ابتلني بِمثل ما ابتليتهم به, وأعطني مثل ما أعطيتهم قال: فأُوحِيَ إليه: إنك مبتلًى فاحترس قال: فمكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث, إذ جاءه الشيطان قد تمثل في صورة حمامة من ذهب, حتى وقع عند رجليه وهو قائم يصلي, فمدّ يده ليأخذه, فتنحى فتبعه, فتباعد حتى وقع في كوّة, فذهب ليأخذه, فطار من الكوّة, فنظر أين يقع, فيبعث في أثره. قال: فأبصر امرأة تغتسل على سطح لها, فرأى امرأة من أجمل الناس خَلْقا, فحانت منها التفاتة فأبصرته, فألقت شعرها فاستترت به, قال: فزاده ذلك فيها رغبة, قال: فسأل عنها, فأخبر أن لها زوجا, وأن زوجها غائب بمسلحة كذا وكذا قال: فبعث إلى صاحب المسلحة أن يبعث أهريا إلى عدوّ كذا وكذا, قال: فبعثه, ففُتح له. قال: وكتب إليه بذلك, قال: فكتب إليه أيضا: أن ابعثه إلى عدوّ كذا وكذا, أشدّ منهم بأسا, قال: فبعثه ففُتح له أيضا. قال: فكتب إلى داود بذلك, قالَ: فكتب إليه أن ابعثه إلى عدوّ كذا وكذا, فبعثه ففُتل المرّة الثالثة, قال: وتزوّج امرأته.

قال: فلما دخلت عليه, قال: لم تلبث عنده إلا يسيرا حتى بعث الله مَلَكين في صورة إنسيين, فطلبا أن يدخلا عليه, فوجداه في يوم عبادته, فمنعهما الحرس أن يدخلا, فتسوّروا عليه المحراب, قال: فما شعر وهو يصلي إذ هو بهما بين يديه جالسين, قال: ففزع منهما, فقالا: لا تَخَفْ إنما نحن خَصْمان بَغَى بَعْضُنا على بَعْضٍ فاحْكُمْ بَيْنَنا بالحَقّ وَلا تُشْطِطْ يقول: لا تحف وَاهْدِنَا إلى سَوَاءِ الصّراطِ: إلى عدل القضاء. قال: فقال: قصّا عليّ قصتكما, قال: فقال أحدهما: إنّ هَذَا أخي لَه تَسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فهو يريد أن يأخذ نعجتي, فيكمل بها نعاجه مئة. قال: فقال للآخر: ما تقول؟ فقال: إن لي تسعا وتسعين نعجة,

ولأخي هذا نعجة واحدة, فأنا أريد أن آخذها منه, فأكمل بها نعاجي مئة, قال: وهو كاره؟ قال: وهو كاره, قال: وهو كاره؟ قال: إذن لا نـدعك وذاك, قـال: ما أنت علـى ذلك بقادر, قال: فإن ذهبت تروم ذلك أو تريد, ضربنا منك هـذا وهذا وهذا, وفسر أسبـاط طرف الأنف, وأصل الأنف والـجبهة قـال: يـا داود أنت أحقّ أن يُضرب منك هـذا وهـذا وهـذا, حيـث لـك تسـع وتسـعون نعجـة امرأة, ولـم يكن لأهريا إلا امرأة واحدة, فلـم تـزل بـه تعرّضـه للقتـل حتـى قتلته, وتزوّجت امرأته. قال: فنظر فلـم ير شيئا, فعـرف مـا قـد وقـع فـيه, وما قد ابتُلـي به. قال: فخرّ ساجدا, قال: فبكى. قال: فمكث يبكـي سـاجدا أربعين يوما لا يرفع رأسه إلا لـحاجة منه ا, ثـم يقـع سـاجدا يبكـي, ثـم يـدعو حتـى نبت العشب من دموع عينـيه. قال: فأوحى الله إلـيه بعد أربعين يومـا: يا داود ارفع رأسك, فقد غفرت لك, فقال: يا ربّ كيف أعلـم أنك قد غفـرت لـي وأنت حكم عدل لا تـحيف فـي القضاء, إذا جاءك أهريا يوم القـيامة آخذا رأسه بـيـمينه أو بشماله تشخب أو داجه دما فـي قبل عشـك يقـول: يـا ربّ سـل هـذا فـيـم قتلنـي؟ قـال: فـأوحى إلـيه: إذا كـان ذلـك دعـوت أهريـا, فأستوهبك منه, فـيهبك لـي, فأثـيبه بذلك الـجنة, قال: ربّ الآن علـمت أنك قد غفرت لـي, قال: فما استطاع أن يـملأ عينـيه من السماء حيـاء مـن ربـه حتـى قُبض صلى الله عليه وسلم.

22928ـ حدثنـي علـيّ بن سهل, قال: حدثنا الوليد بن مسلـم عـن عبـد الرحمن بن يزيد بن جابر, قال: ثنـي عطـاء الـخراسانـي, قـال: نقـش داود خطيئته فـي كفه لكيلا ينساها, قال: فكان إذا رآها خفقت يده واضطربت.

وقال آخرون: بل كان ذلك لعارض كان عرض فـي نفسه من ظنّ أنه يطيق أن يتـم يوما لا يصيب فـيه حوبة, فـابتلـي بـالفتنة التـي ابتلـي بها فـي اليوم الذي طمع فـي نفسه بإتـمامه بغير إصابة ذنب. ذكر من قال ذلك:

22929ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن مطـر, عـن الـحسن: إن داود جَزّأ الدهر أربعة أجزاء: يوما لنسائه, ويوما لعبـادته, ويوما لقضاء بنـي إسرائيـل, ويوما لبنـي إسرائيـل يـذاكرهم ويـذاكرونه, ويبكيهـم ويبكونه فلـما كان يوم بنـي إسرائيـل قال: ذكـروا فقـالوا: هـل يأتـي علـى الإنسان يوم لا يصيب فـيه ذنبـا؟ فأضمر داود فـي نفسـه أنـه سـيطيق ذلـك فلـما كان يوم عبـادته, أغلـق أبـوابه, وأمـر أن لا يدخـل علـيه أحـد, وأكـبّ علـى التوراة فبـينـما هو يقرؤها, فإذا حمامة من ذهـب فـيها مـن كـلّ لـون حسن, قد وقعت بـين يديه, فأهوى إليها لـيأخذها, قـال: فطـارت, فـوقعت غير بعيد, من غير أن تؤْيسه من نفسها, قال: فما زال يتبعهـا حتـى أشـرف علـى امرأة تغتسـل, فـأعجبه خَـلْقها وحُسـنها قـال: فلـما رأت ظلـه فـي الأرض, جللت نفسها بشعرها, فزاده ذلك أيضا إعجابـا بهـا, وكـان قـد بعـث زوجها علـى بعض جيوشه, فكتب إليه أن يسير إلـى مكان كذا وكـذا, مكـان إذا سار إليه لـم يرجع, قال: ففعل, فأصيب فخطبها فتزوّجهـا. قـال: وقـال قتادة: بلغنا أنها أمّ سليـمان, قال: فبينـما هـو فـي الـمـحراب, إذ تسـوّر الـملكان علـيه, وكان الـخصمان إذا أتوه يأتونه من بـاب الـمـحراب, ففـزع منهم حين تسوّروا الـمـحراب, فقالوا: لا تَـخَفْ خَصْـمانِ بَغَـى بَعْضُـنا علـى بَعْضٍ... حتـى بلغ وَلا تُشْطِطْ: أي لا تـمل وَاهْـدِنا إلـى سَـوَاءِ الصّـراطِ: أي أعدله وخيره إنّ هَذَا أخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً, وكان لداود تسع وتسـعون امرأة وَلِـي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ قال: وإنـما كان للرجل امرأة واحدة فَقالَ أكْفِلْنِـيها

وَعَزّنِي فِي الخِطابِ أي: ظلمني وقهرني, فقال: لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إلى نِعاجِهِ... إلى قوله: وَقَلِيلٌ ما هُمْ وَظَنّ دَاوُدُ فعلم داود أنما صُمِد له: أي عنى به ذلك فَخَرّ رَاكِعا وأنابَ قال: وكان في حديث مطر, أنه سجد أربعين ليلة, حتى أوحى الله إليه: إني قد غفرت لك, قال: ربّ وكيف تغفر لي وأنت حكم عدل, لا تظلم أحدا؟ قال: إني أقضيك له, ثم أستوهبه أو ذنبك, ثم أثيبه حتى يرضى, قال: الآن طابت نفسي, وعلمت أنك قد غفرت لي.

22930ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني محمد بن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه اليمانيّ, قال: لما اجتمعت بنو إسرائيل, على داود, أنزل الله عليه الزّبور, وعلّمه صنعة الحديد, فألانه له, وأمر الجبال والطير أن يسبّحن معه إذا سبح, ولم يعط الله فيما يذكرون أحدا من خلقه مثل صوته كان إذا قرأ الزبور فيما يذكرون, تدنو له الوحوش حتى يأخذ بأعناقها, وإنها لمصيخة تسمع لصوته, وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج, إلا على أصناف صوته, وكان شديد الاجتهاد دائب العبادة, فأقام في بني إسرائيل يحكم فيهم بأمر الله نبيا مستخلفا, وكان شديد الاجتهاد من الأنبياء, كثير البكاء, ثم عرض من فتنة تلك المرأة ما عرض له, وكان له مِحْراب يتوحد فيه لتلاوة الزّبور, ولصلاته إذا صلى, وكان أسفل منه جنينة لرجل من بني إسرائيل, كان عند ذلك الرجل المرأة التي أصاب داود فيها ما أصابه.

22931ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن محمد بن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه, أن داود حين دخل محرابه ذلك اليوم, قال: لا يدخلنّ عليّ محرابي اليوم أحد حتى الليل, ولا يشغلني شيء عما خلوت له حتى أمسي ودخل محرابه, ونشر زَبوره يقرؤه وفي المحراب كوّة تطلعه على تلك الجنينة, فبينا هو جالس يقرأ زبوره, إذ أقبلت حمامة من ذهب حتى وقعت في الكوّة, فرفع رأسه فرآها, فأعجبته, ثم ذكر ما كان قال: لا يشغله شيء عما دخل له, فنكّس رأسه وأقبل على زَبوره, فتصوّبت الحمامة للبلاء والاختبار من الكوّة, فوقعت بين يديه, فتناولها بيده, فاستأخرتْ غير بعيد, فاتبعها, فنهضت إلى الكوة, فتناولها في الكوّة, فتصوّبت إلى الجنينة, فأتبعها بصره أين تقع, فإذا المرأة جالسة تغتسل بهيئةٍ اللّهُ أعلم بها في الجمال والحُسن والخَلْق فيزعمون أنها لما رأته نقضت رأسها فوارت به جسدها منه, واختطفت قلبه, ورجع إلى زَبوره ومجلسه, وهي من شأنه لا يفارق قلبه ذكرها. وتمادى به البلاء حتى أغزى زوجها, ثم أمر صاحب جيشه فيما يزعم أهل الكتاب أن يقدّم زوجها للمهالك حتى أصابه بعض ما أراد به من الهلاك, ولداود تسع وتسعون امرأة فلما أصيب زوجها خطبها داود, فنكحها, فبعث الله إليه وهو في محرابه مَلكين يختصمان إليه, مثلاً يضربه له ولصاحبه, فلم يرع داود إلا بهما واقفين على رأسه في محرابه, فقال: ما أدخلكما عليّ؟ قالا: لا تخف لم ندخل لبأس ولا لريبة خَصْمان بَغَى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ فجئناك لتقضي بيننا فاحْكُمْ بَيْنَنا بالحَقّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنا إلى سَوَاءِ الصّراطِ: أي احملنا على الحقّ, ولا تخالف بنا إلى غيره قال الملك الذي يتكلم عن أوريا بن جنانيا زوج المرأة: إنّ هذَا أخي أي على ديني لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقالَ أكْفِلْنِيها أي

احملني عليها, ثم عزّني في الخطاب: أي قهرني في الخطاب, وكان أقوى مني هو وأعزّ, فحاز نعجتي إلى نعاجه وتركني لا شيء لي فغضب داود, فنظر إلى خصمه الذي لم يتكلم, فقال: لئن كان صدقني ما يقول, لأضربنّ بين عينيك بالفأس ثم ارعوى داود, فعرف أنه هو الذي يُراد بما صنع في امرأة أوريا, فوقع ساجدا تائبا منيبا باكيا, فسجد أربعين صباحا صائما لا يأكل فيها ولا يشرب, حتى أنبت دمعه الخضر تحت وجهه, وحتى أندب السجود في لحم وجهه, فتاب الله عليه وقيل منه.

ويزعمون أنه قال: أي ربّ هذا غفرت ما جنيت في شأن المرأة, فكيف بدم القتيل المظلوم؟ قيل له: يا داود, فيما زعم أهل الكتاب, أما إن ربك لم يظلمه بدمه, ولكنه سيسأله إياك فيعطيه, فيضعه عنك فلما فرج عن داود ما كان فيه, رسم خطيئته في كفه اليمنى بطن راحته, فما رفع إلى فيه طعاما ولا شرابا قطّ إلا بكى إذا رآها, وما قام خطيبا في الناس قطّ إلا نشر راحته, فاستقبل بها الناس ليروا رسم خطيئته في يده.

22932ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت ليثا يذكر عن مجاهد قال: لما أصاب داود الخطيئة خرّ لله ساجدا أربعين يوما حتى نبت من دموع عينيه من البقل ما غطّى رأسه ثم نادى: ربّ قرح الجبين, وَجَمَدت العين, وداود لم يرجع إليه في خطيئته شيء, فنودي: أجائع فتطعم, أم مريض فتشفى, أم مظلوم فينتصر لك؟ قال: فنحب نحبة هاج كلّ شيء كان نبت, فعند ذلك غفر له. وكانت خطيئته مكتوبة بكفه يقرؤها, وكان يؤتي بالإناء ليشرب فلا يشرب إلا ثلثه أو نصفه, وكان يذكر خطيئته, فينحِب النّحْبة تكاد مفاصله تزول بعضها من بعض, ثم ما يتمّ شرابه حتى يملأه من دموعه وكان يقال: إن دمعة داود, تعدل دمعة الخلائق, ودمعة آدم تعدل دمعة داود ودمعة الخلائق, قال: فهو يجيء يوم القيامة خطيئته مكتوبة بكفه, فيقول: ربّ ذنبي ذنبي قدّمني, قال: فيقدم فلا يأمن فيقول: ربّ أخّرني فيؤخّر فلا يأمن.

22933ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني ابن لَهِيعة, عن أبي صخر, عن يزيد الرقاشي, عن أنس بن مالك سمعه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنّ دَاوُدَ النّبِيّ صَلى اللّهُ عَلَيهِ وسلّمَ حِينَ نَظَرَ إلى المرأةِ فأَهَمّ, قَطَعَ عَلى بَنِي إسْرَائِيلَ, فأَوْصَى صَاحِبَ البَعْثِ, فَقالَ: إذَا حَضَرَ العَدُوّ, فَقَرّبْ فُلانا بينَ يَدَي التّابُوتِ, وكانَ التّابُوتُ فِي ذلكَ الزّمانِ يُسْتَنْصَرُ بِهِ, مَنْ قُدّمَ بينَ يَدَي التّابُوتِ لَمْ يَرْجِعْ حتى يُقْتَلَ أوْ يَنْهَزِمَ عَنْهُ الجَيْشُ, فَقُتِلَ زَوْجُ المُرأةِ وَنَزَلَ المَلَكانِ على دَاوُدَ يَقُصّانِ عَلَيْهِ قِصّتَهُ, فَفَطِنَ دَاوُدُ فَسَجَدَ, فَمَكَثَ أرْبَعِينَ لَيْلَةً ساجِدا حتى نَبَتَ الزّرْعُ مِنْ دُمُوعِهِ عَلى رأسِهِ, وأكَلَت الأرْضُ جَبِينَهُ وَهُوَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ» فلم أحص من الرّقاشيّ إلا هؤلاء الكلمات: «رَبّ زَلّ دَاوُدُ زَلّةً أبْعَدُ ما بينَ المَشْرِقِ والمَغْرب, إنْ لَمْ تَرْحَمْ ضَعفَ دَاوُدَ وَتَغْفِرَ ذَنْبَهُ, جعَلْتَ ذَنْبَهُ حَدِيثا فِي الخَلُوفِ مِنْ بَعْدِهِ, فَجاءَه جَبْرَائِيلُ صَلى اللّهُ عليهِ وسلّمْ مِنْ بَعْدِ الأرْبَعِينَ لَيْلَةً, فَقالَ: يا دَاوُدَ إنّ اللّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ الهَمّ الّذي هَمَمْتَ بِهِ, فقالَ دَاوُدُ: عَلِمْتُ أنّ الرّبّ قادِرٌ عَلى أنْ يَغْفِرَ لِي الهَمّ الّذِي هَمَمْتُ بِهِ, وَقَدْ عَرَفْتُ أنّ اللّهَ عَدْلٌ لاَ يَميلُ فَكَيْفَ بفُلانٍ إذَا جاءَ يَوْمَ القِيامَةِ فقالَ: يا رَبّ دَمي الّذِي عِنْدَ دَاوُدَ فَقالَ جَبْرائيلُ صَلى اللّهُ عليهِ وَسَلّمَ: ما سألْتُ رَبّكَ عَنْ ذلكَ, وَلَئِنْ شِئْتَ لأفْعَلَنّ, فَقالَ: نَعَمْ, فَعَرَجَ

جِبْرِيلُ وَسَجَدَ دَاوُدُ, فَمَكَثَ ما شاءَ اللّهُ, ثُمّ نَزَلَ فَقالَ: قدْ سألْتُ رَبّكَ عَزّ وَجَلّ يا دَاوُدُ عَنِ الّذِي أرْسَلْتَنِي فِيهِ, فَقالَ: قُلْ لِدَاوُدَ: إنّ اللّهَ يَجْمَعُكُما يَوْمَ القِيامَةِ فَيَقُولُ: هَبْ لي دَمَكَ الّذِي عِنْدَ دَاوُدَ, فَيَقُولُ: هُوَ لَكَ يا رَبّ, فَيَقُولُ: فإنّ لَكَ في الجَنّةِ ما شِئْتَ وَما اشْتَهَيْتَ عِوَضا».

22934ـ حدثني عليّ بن سهل, قال: حدثنا الوليد بن مسلم, قال: حدثنا ابن جابر, عن عطاء الخراسانيّ: أن كتاب صاحب البعث جاء ينعِي من قُتل , فلما قرأ داود نعي وجل منهم رجع, فلما انتهى إلى اسم الرجل قال: كتب الله على كل نفس الموت, قال: فلما انقضت عِدْتها خطبها.

الآية : 25-26

القول في تأويل قوله تعالى: {فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىَ وَحُسْنَ مَآبٍ * يَدَاوُودُ إِنّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النّاسِ بِالْحَقّ وَلاَ تَتّبِعِ الْهَوَىَ فَيُضِلّكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِنّ الّذِينَ يَضِلّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ الْحِسَابِ }.

يعني تعالى ذكره بقوله: فَغَفَرْنا لَهُ ذلكَ فعفونا عنه, وصفحنا له عن أن نؤاخذه بخطيئته وذنبه ذلك وإنّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفَى يقول: وإن له عندنا لَلْقُرْبة منا يوم القيامة. وبنحو الذي قلنا في قوله: فَغَفَرْنا لَهُ ذلكَ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22935ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَغَفَرْنا لَهُ ذَلكَ الذنب.

وقوله: وَحُسْنَ مآبٍ يقول: مَرْجع ومنقَلَب ينقلب إليه يوم القيامة. وبنحو الذي قلنا في ذَلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22936ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَحُسْن مآبٍ: أي حسن مصير.

22937ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: وَحُسْنَ مآبٍ قال: حسن المنقَلب.

وقوله: يا دَاوُدُ إنّا جَعَلْناكَ خَليفَةً فِي الأرْضِ يقول تعالى ذكره: وقلنا لداود: يا داود إنا استخلفناك في الأرض من بعد من كان قبلك من رسلنا حكما بين أهلها, كما:

22938ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ إنّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً ملّكه في الأرض.

فاحْكُمْ بينَ النّاسِ بالحَقّ يعني: بالعدل والإنصاف وَلا تَتّبِعِ الهَوَى يقول: ولا تُؤْثِر هواك في قَضائك بينهم على الحقّ والعدل فيه, فتجور عن الحقّ فَيُضِلّكَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ يقول: فيميل بك اتباعك هواك في قضائك على العدل والعمل بالحقّ عن طريق الله الذي جعله لأهل الإيمان فيه, فتكون من الهالكين بضلالك عن سبيل الله.

وقوله: إنّ الّذِينَ يَضِلّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ لَهُم عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسابِ يقول تعالى ذكره: إن الذين يميلون عن سبيل الله, وذلك الحقّ الذي شرعه لعباده, وأمرهم بالعمل به, فيجورون عنه في الدنيا, لهم في الآخرة يوم الحساب عذاب شديد على ضلالهم عن سبيل الله بما نسُوا أمر الله, يقول: بما تركوا القضاء بالعدل, والعمل بطاعة الله يَوْمَ الحِسابِ من صلة العذاب الشديد. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22939ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا العوّام, عن عكرمة, في قوله: عَذَابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الحِسابِ قال: هذا من التقديم والتأخير, يقول: لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا.

22940ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسابِ قال: نسُوا: تركوا.

الآية : 27-29

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السّمَآءَ وَالأرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنّ الّذِينَ كَفَرُواْ فَوَيْلٌ لّلّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ النّارِ * أَمْ نَجْعَلُ الّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتّقِينَ كَالْفُجّارِ * كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لّيَدّبّرُوَاْ آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكّرَ أُوْلُو الألْبَابِ }.

يقول تعالى ذكره: وَما خَلَقْنا السّماءَ والأرْضَ وَما بَيْنَهُما عبثا ولهوا, ما خلقناهما إلاّ ليُعمل فيهما بطاعتنا, ويُنتهى إلى أمرنا ونهينا, ذلكَ ظَنّ الّذِينَ كَفَرُوا يقول: أي ظنّ أنا خلقنا ذلك باطلاً ولعبا, ظنّ الذين كفروا بالله فلم يوحّدوه, ولم يعرفوا عظمته, وأنه لا ينبغي أن يَعْبَث, فيتيقنوا بذلك أنه لا يخلق شيئا باطلاً فَوَيْلٌ للّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النّارِ يعني: من نار جهنم. وقوله: أمْ نَجْعَلُ الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ كالمُفْسِدِينَ فِي الأرْضِ يقول: أنجعل الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بما أمر الله به, وانتهوا عما نهاهم عنه كالمُفْسِدينَ فِي الأرْضِ يقول: كالذين يشركون بالله ويعصُونه ويخالفون أمره ونهيه أمْ نَجْعَلُ المُتّقِينَ يقول: الذين اتقوا الله بطاعته وراقبوه, فحذروا معاصيه كالفُجّارِ يعني: كالكفار المنتهكين حرمات الله. وقوله: كِتابٌ أنْزَلْناهُ إلَيْكَ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وهذا القرآن كِتَابٌ أنْزَلْناهُ إلَيْكَ يا محمد مُبَارَكٌ لِيَدّبّرُوا آياتِهِ يقول: ليتدبّروا حُجَج الله التي فيه, وما شرع فيه من شرائعه, فيتعظوا ويعملوا به.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة القرّاء: لِيَدّبّرُوا بالياء, يعني: ليتدبّر هذا القرآن من أرسلناك إليه من قومك يا محمد. وقرأه أبو جعفر وعاصم «لِتَدّبّرُوا آياتِهِ» بالتاء, بمعنى: لتتدبره أنت يا محمد وأتباعك.

وأولى القراءتين عندنا بالصواب في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب وَلِيَتَذَكّرَ أُولُو الألْبَابِ يقول: وليعتبر أولو العقول والحِجَا ما في هذا الكتاب من الآيات, فيرتدعوا عما هم عليه مقيمين من الضلالة, وينتهوا إلى ما دلهم عليه من الرشاد وسبيل الصواب. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: أُولُوا الألْبابِ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22941ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ أُولُوا الألْباب قال: أولو العقول من الناس.

وقد بيّنا ذلك فيما مضى قبل بشواهده, بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

الآية : 30-33

القول في تأويل قوله تعالى: {وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنّهُ أَوّابٌ * إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيّ الصّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنّيَ أَحْبَبْتُ حُبّ

الْخَيْرِ عَن ذِكْـرِ رَبّـي حَتّـىَ تَـوَارَتْ بِالْحِجَـابِ * رُدّوهَـا عَلَـيّ فَطَفِـقَ مَسْـحاً بِالسّوقِ وَالأعْنَاقِ }.

يقول تعالى ذكره وَوَهَبْنا لدَاوُدَ سُلَـيْـمانَ ابنه ولدا نَعْمَ العَبْدُ يقول: نعـم العبد سلـيـمان إنّهُ أوّابٌ يقول: إنه رجاع إلـى طاعـة اللـه تـوّاب إلــيه مــما يكرهه منه. وقـيـل: إنه عُنِـي به أنه كثـير الذكر لله والطاعة. ذكـر مـن قـال ذلك:

22942ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عـن أبــيه, عـن ابـن عبــاس نِعْـمَ العَبْـدُ إنّـهُ أوّابٌ قـال: الأوّاب: الـمسبّح.

22943ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عـن قتـادة نَعْـمَ العَبْدُ إنّهُ أوّابٌ قال: كان مطيعا لله كثـير الصلاة.

22944ـ حدثنا مـحمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, قوله: نَعْمَ العَبْدُ إنّهُ أوّابٌ قال: الـمسبّح.

والـمسبّح قد يكون فـي الصلاة والذكر. وقـد بــيّنا معنـى الأوّاب, وذكرنـا اختلاف أهل التأويـل فـيه فـيـما مضى بـما أغنى عن إعادته هاهنا.

وقوله: إذْ عُرِضَ عَلَـيْهِ بـالعَشِيّ الصّافناتُ الـجِيادُ يقول تعالـى ذكره: إنـه توّاب إلـى الله من خطيئته التـي أخطأها, إذ عرض علـيه بـالعشيّ الصافنات فإذ من صلة أوّاب, والصافنات: جمع الصافن من الـخيـل, والأنـثى: صـافنة, والصافن منها عند بعض العرب: الذي يجمع بـين يديه, ويثنـي طـرف سُـنْبك إحدى رجلـيه, وعند آخرين: الذي يجمع يديه. وزعم الفـراء أن الصـافن: هـو القائم, يقال منه: صَفَنَتِ الـخيـلُ تَصْفِن صُفُونا. وبنـحو الذي قلنا فــي ذلـك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22945ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قول الله: الصّـافِناتُ الــجِيادُ قال: صُفُون الفرس: رَفْعُ إحدى يديه حتـى يكون علـى طرف الـحافر.

حدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابـن أبــي نـجيح, عن مـجاهد: صَفَنَ الفرسُ: رفع إحدى يديه حتـى يكون علـى طــرف الـحافر.

22946ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة إذْ عُرِضَ عَلَـيْهِ بـالعَشِيّ الصّافِناتُ الـجِيادُ يعنـي: الـخيــل, وصُـفونها: قــيامها وبَسْطها قوائمها.

22947ـ حدثنا مـحمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ: الصافنات, قال: الـخيـل.

22948ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: الصّافِناتُ الـجِيادُ قال: الـخيـل أخرجها الشيطان لسلـيـمان, من مَرْج من مروج البحر. قال: الـخيـل والبغال والـحمير تَصْـفِن, والصّـفْن أن تقـول علـى ثلاث, وترفع رجلاً واحدة حتـى يكون طرف الـحافر علـى الأرض.

22949ـ حدثنـي يـونس, قـال: أخبرنـا ابـن وهـب, قـال: قـال ابـن زيـد: الصافنات: الـخيـل, وكانت لها أجنـحة.

وأما الـجياد, فإنها السّراع, واحدها: جواد, كما:

22950ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: الجياد: قال: السّراع.
وذُكر أنها كانت عشرين فرسا ذوات أجنحة. ذكر من قال ذلك:
22951ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن أبيه, عن إبراهيم التيمي, في قوله: إذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بالعَشِيّ الصّافِناتُ الجِيادُ قال: كانت عشرين فرسا ذات أجنحة.
وقوله: فَقالَ إنّي أحْبَبْتُ حُبّ الخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبّي حتى تَوَارَتْ بالحِجابِ وفي هذا الكلام محذوف استغني بدلالة الظاهر عليه من ذكره: فَلهِيَ عن الصلاة حتى فاتته, فقال: إني أحببت حبّ الخير. ويعني بقوله: فَقالَ إنّي أحْبَبْتُ حُبّ الخَيْرِ: أي أحببت حبا للخير, ثم أضيف الحبّ إلى الخير, وعنى بالخير في هذا الموضع الخيل والعرب فيما بلغني تسمي الخيل الخير, والمال أيضا يسمونه الخير. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
22952ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, فَقالَ إنّي أحْبَبْتُ حُبّ الخَيْرِ: أي المال والخيل, أو الخير من المال.
22953ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن السُدّيّ قالَ إنّي أحْبَبْتُ حُبّ الخَيْرِ قال: الخيل.
22954ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: إنّي أحْبَبْتُ حُبّ الخَيْرِ قال: المال.
وقوله: عَنْ ذِكْرِ رَبّي يقول: إني أحببت حبّ الخير حتى سهوت عن ذكر ربي وأداء فريضته. وقيل: إن ذلك كان صلاة العصر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
22955ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة عَنْ ذِكْرِ رَبّي عن صلاة العصر.
22956ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ عَنْ ذِكْرِ رَبّي قال: صلاة العصر.
22957ـ حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم, قال: حدثنا أبو زرعة, قال: حدثنا حيوة بن شريح, قال: حدثنا أبو صخر, أنه سمع أبا معاوية البجلي من أهل الكوفة يقول: سمعت أبا الصّهباء البكري يقول: سألت عليّ ابن أبي طالب, عن الصلاة الوسطى, فقال: هي العصر, وهي التي فتن بها سليمان بن داود.
وقوله: حتى تَوَارَتْ بالحِجابِ يقول: حتى توارت الشمس بالحجاب, يعني: تغيبت في مغيبها, كما:
22958ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: حدثنا ميكائيل, عن داود بن أبي هند, قال: قال ابن مسعود, في قوله: إنّي أحْبَبْتُ حُبّ الخَيْرِ عَنْ ذِكرِ رَبّي حتى تَوَارَتْ بالحِجابِ قال: توارت الشمس من وراء ياقوتة خضراء, فخُضرة السماء منها.
22959ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة حتى تَوَارَتْ بالحجابِ حتى دَلَكَتْ براح. قال قتادة: فوالله ما نازعته بنو إسرائيل ولا كابروه, ولكن ولوه من ذلك ما ولاه الله.

22960ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ حتى تَوَارَتْ بالحجابِ حتى غابت.
وقوله: رُدّوها عَليّ يقول: ردّوا عليّ الخيل التي عرضت عليّ, فشغلتني عن الصلاة, فكّروها عليّ, كما:
22961ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ رُدّوها عَليّ قال: الخيل.
وقوله: فَطَفِقَ مَسْحا بالسّوقِ والأعْناقِ يقول: فجعل يمسح منها السوق, وهي جمع الساق, والأعناق.
واختلف أهل التأويل في معنى مسح سليمان بسوق هذه الخيل الجياد وأعناقها, فقال بعضهم: معنى ذلك أنه عقرها وضرب أعناقها, من قولهم: مَسَحَ علاوته: إذا ضرب عنقه. ذكر من قال ذلك:
22962ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَطَفِقَ مَسْحا بالسّوقِ والأعْناقِ قال: قال الحسن: قال لا والله لا تشغليني عن عبادة ربي آخر ما عليك, قال قولهما فيه, يعني قتادة والحسن قال: فَكَسف عراقيبها, وضرب أعناقها.
22963ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ فَطَفِقَ مَسْحا بالسّوق والأعْناقِ فضرب سوقها وأعناقها.
22964ـ حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع, قال: حدثنا بشر بن المفضل, عن عوف, عن الحسن, قال: أمر بها فعُقرت.
وقال آخرون: بل جعل يمسح أعرافها وعراقيبها بيده حُبّا لها. ذكر من قال ذلك:
22965ـ حدثني على, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس, قوله: فَطَفِقَ مَسْحا بالسّوقِ والأعْناقِ يقول: جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها: حبا لها.
وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية, لأن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم لم يكن إن شاء الله ليعذّب حيوانا بالعرقبة, ويهلك مالاً من ماله بغير سبب, سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها, ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر أليها.

الآية : 34 -35

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ فَتَنّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىَ كُرْسِيّهِ جَسَداً ثُمّ أَنَابَ * قَالَ رَبّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لاّ يَنبَغِي لأحَدٍ مّن بَعْدِيَ إِنّكَ أَنتَ الْوَهّابُ }.
يقول تعالى ذكره: ولقد ابتَلينا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا شيطانا متمثلاً بإنسان, ذكروا أن اسمه صخر. وقيل: إن اسمه آصَف. وقيل: إن اسمه آصر. وقيل: إن اسمه حبقيق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
22966ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وألْقَيْنا عَلى كُرْسِيّهِ جَسَدا قال: هو صخر الجنّيّ تمثّل على كرسيه جسدا.
22967ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَلَقَدْ فَتَنّا سُلَيْمانَ وألْقَيْنا

عَلى كُرْسِيّهِ جَسَدا ثُمّ أنابَ قال: الجسد: الشيطان الذي كان دفع إليه سليمان خاتمه, فقذفه في البحر, وكان مُلك سليمان في خاتمه, وكان اسم الجنيّ صخرا.

22968ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا مبارك, عن الحسن وألْقَيْنا عَلى كُرْسِيّهِ جَسَدا قال: شيطانا.

22969ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, عن سعيد بن جُبَير وألْقَيْنا عَلى كُرْسِيّهِ جَسَدا قال: شيطانا.

22970ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وألْقَيْنا عَلى كُرْسِيّهِ جَسَدا قال: شيطانا يقال له آصر.

22971ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: عَلى كُرْسِيّهِ جَسَدًا قال: شيطانا يقال له آصف, فقال له سليمان: كيف تفتنون الناس؟ قال: أرني خاتمك أخبرك. فلما أعطاه إياه نبذه آصف في البحر, فساح سليمان وذهب مُلكه, وقعد آصف على كرسيه, ومنعه الله نساء سليمان, فلم يقربهنّ, وأنكرنه قال: فكان سليمان يستطعم فيقول: أتعرفوني أطعموني أنا سليمان, فيكذّبونه, حتى أعطته امرأة يوما حوتا يطيب بطنه, فوجد خاتمه في بطنه, فرجع إليه مُلكه, وفرّ آصف فدخل البحر فارّا.

حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد بنحوه, غير أنه قال في حديثه: فيقول: لو تعرفوني أطعمتموني.

22972ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلَقَدْ فَتَنّا سُلَيْمانَ وألْقَيْنا عَلى كُرْسِيّهِ جَسَداف ثُمّ أنابَ قال: حدثنا قتادة أن سلمان أمر ببناء بيت المقدس, فقيل له: ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد, قال: فطلب ذلك فلم يقدر عليه, فقيل له: إن شيطانا في البحر يقال له صخر شبه المارد, قال: فطلبه, وكانت عين في البحر يردها في كلّ سبعة أيام مرّة, فنزح ماؤها وجعل فيها خمر, فجاء يوم وروده فإذا هو بالخمر, فقال: إنك لشراب طيب, إلا أنك تصبين الحليم, وتزيدين الجاهل جهلاً, قال: ثم رجع حتى عطش عطشا شديدا, ثم أتاها فقال: إنك لشراب طيب, إلا أنك تصبين الحليم, وتزيدين الجاهل جهلاً قال: ثم شربها حتى غلبت على عقله, قال: فأري الخاتم أو ختم به بين كتفيه, فذلّ, قال: فكان مُلكه في خاتمه, فأتى به سليمان, فقال: إنا قد أمرنا ببناء هذا البيت. وقيل لنا: لا يسمعنّ فيه صوت حديد, قال: فأتى ببيض الهدهد, فجعل عليه زجاجة, فجاء الهدهد, فدار حولها, فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه, فذهب فجاء بالماس, فوضعه عليه, فقطعها به حتى أفضى إلى بيضه, فأخذ الماس, فجعلوا يقطعون به الحجارة, فكان سليمان إذا أراد أن يدخل الخلاء أو الحمام لم يدخلها بخاتمه فانطلق يوما إلى الحمام, وذلك الشيطان صخر معه, وذلك عند مقارفة ذنب قارف فيه بعض نسائه, قال: فدخل الحمام, وأعطى الشيطان خاتمه, فألقاه في البحر, فالتقمته سمكة, ونُزع مُلك سليمان منه, وألقي على الشيطان شبه سليمان قال: فجاء فقعد على كرسيه وسريره, وسلّط

على مُلك سليمان كله غير نسائه قال: فجعل يقضي بينهم, وجعلوا ينكرون منه أشياء حتى قالوا: لقد فُتِن نبيّ الله وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطّاب في القوّة, فقال: والله لأجربنه قال: فقال له: يا نبيّ الله, وهو لا يرى إلا أنه نبيّ الله, أحدنا تصيبه الجَنابة في الليلة الباردة, فيدع الغُسْل عمدا حتى تطلع الشمس, أترى عليه بأسا؟ قال: لا, قال: فبينا هو كذلك أربعين ليلة حتى وجد نبيّ الله خاتمه في بطن سمكة, فأقبل فجعل لا يستقبله جنيّ ولا طير إلا سجد له, حتى انتهى إليهم وأَلْقَيْنا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَدا قال: هو الشيطان صخر.

22973ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: وَلَقَدْ فَتَنّا سُلَيْمانَ قال: لقد ابتلينا وأَلْقَيْنا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَدا قال: الشيطان حين جلس على كرسيه أربعين يوما قال: كان لسليمان مِئة امرأة, وكانت امرأة منهنّ يقال لها جرادة, وهي آثر نسائه عنده, وآمنهنّ عنده, وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه, ولم يأتمن عليه أحدا من الناس غيرها فجاءته يوما من الأيام, فقالت: إن أخي بينه وبين فلان خصومة, وأنا أحبّ أن تَقضي له إذا جاءك, فقال لها: نعم, ولم يفعل, فابتُلي وأعطاها خاتمه, ودخل المخرج, فخرج الشيطان في صورته, فقال لها: هاتي الخاتم, فأعطته, فجاء حتى جلس على مجلس سليمان, وخرج سليمان بعد, فسألها أن تعطيه خاتمه, فقالت: ألم تأخذه قبل؟ قال: لا, وخرج مكانه تائها قال: ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما. قال: فأنكر الناس أحكامه, فاجتمع قرّاء بني إسرائيل وعلماؤهم, فجاؤوا حتى دخلوا على نسائه, فقالوا: إنا قد أنكرنا هذا, فإن كان سليمان فقد ذهب عقله, وأنكرنا أحكامه. قال: فبكى النساء عند ذلك, قال: فأقبلوا يمشون حتى أتوه, فأحدقوا به, ثم نشروا التوراة, فقرؤوا قال: فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه, ثم طار حتى ذهب إلى البحر, فوقع الخاتم منه في البحر, فابتلعه حوت من حيتان البحر. قال: وأقبل سليمان في حاله التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع, وقد اشتدّ جوعه, فاستطعمهم من صيدهم, قال: إني أنا سليمان, فقام إليه بعضهم فضربه بعصا فشجّه, فجعل يغسل دمه وهو على شاطىء البحر, فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه, فقالوا: بئس ما صنعت حيث ضربته, قال: إنه زعم أنه سليمان, قال: فأعطوه سمكتين مما قد مَذِر عندهم, ولم يشغله ما كان به من الضرر, حتى قام إلى شطّ البحر, فشقّ بطونهما, فجعل يغسل..., فوجد خاتمه في بطن إحداهما, فأخذه فلبسه, فردّ الله عليه بهاءه ومُلكه, وجاءت الطير حتى حامت عليه, فعرف القوم أنه سليمان, فقام القوم يعتذرون مما صنعوا, فقال: ما أحمدكم على عذركم, ولا ألومكم على ما كان منكم, كان هذا الأمر لا بدّ منه, قال: فجاء حتى أتى مُلكه, فأرسل إلى الشيطان فجيء به, وسخّر له الريح والشياطين يومئذٍ, ولم تكن سخرت له قبل ذلك, وهو قوله: وَهَبْ لي مُلْكا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إنّك أنْتَ الوَهّابُ قال: وبعث إلى الشيطان, فأتي به, فأمر به فجعل في صندوق من حديد, ثم أطبق عليه فأقفل عليه بقفل, وختم عليه بخاتمه, ثم أمر به, فألقي في البحر, فهو فيه حتى تقوم الساعة, وكان اسمه حبقيق.

وقوله: ثُمّ أنابَ سليمان, فرجع إلى مُلكه من بعد ما زال عنه مُلكه فذهب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
22974ـ حُدثت عن المحاربي, عن عبد الرحمن, عن جُوَيبر, عن الضحاك, في قوله: ثُمّ أنابَ قال: دخل سليمان على امرأة تبيع السمك, فاشترى منها سمكة, فشقّ بطنها, فوجد خاتمه, فجعل لا يمرّ على شجر ولا حجر ولا شيء إلا سجد له, حتى أتى مُلكه وأهله, فذلك قوله ثُمّ أنابَ يقول: ثم رجع.
22975ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قا: حدثنا سعيد, عن قتادة ثُمّ أنابَ وأقبل, يعني سليمان.
قوله: قالَ رَبّ اغفرْ لي وَهَبْ لي مُلْكا لا يَنْبَغِي لأَحدٍ مِنْ بَعْدي يقول تعالى ذكره: قال سليمان راغبا إلى ربه: ربّ استر عليّ ذنبي الذي أذنبت بيني وبينك, فلا تعاقبني به وَهَبْ لي مُلكا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي لا يسلبنيه أحدكما سلبنيه قبل هذه الشيطان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
22976ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قالَ رَبّ اغْفِرْ لي وَهَبْ لي مُلْكا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي يقول: ملكا لا أسلَبه كما سُلبتُه.
وكان بعض أهل العربية يوجه معنى قوله: لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدي إلى: أن لا يكون لأحد من بعدي, كما قال ابن أحمر:

ما أُمّ غُفْرٍ على دعْجاءَ ذِي عَلَقٍ يَنْفي القَراميدَ عنها الأعْصَمُ الوَقِلُ
فِي رأْسِ حَلْقاءَ مِن عَنقاءَ مُشْرِفة لا يَنْبَغِي دُوَنها سَهْلٌ وَلا جَبَلُ

بمعنى: لا يكون فوقها سهل ولا جبل أحصن منها.
وقوله: إنّكَ أنْتَ الوَهّابُ يقول: إنك وهاب ما تشاء لمن تشاء بيدك خزائن كلّ شيء تفتح من ذلك ما أردت لمن أردت.

الآية : 36-40

القول في تأويل قوله تعالى: {فَسَخّرْنَا لَهُ الرّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشّيَاطِينَ كُلّ بَنّآءٍ وَغَوّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرّنِينَ فِي الأَصْفَادِ * هَـَذَا عَطَآؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَإِنّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىَ وَحُسْنَ مَآبٍ }.
يقول تعالى ذكره: فاستجبنا له دعاءه, فأعطيناه مُلكا لا ينبغي لأحد من بعده فَسَخّرَنَا لَهُ الرّيحَ مكان الخيل التي شغلته عن الصلاة تَجْرِي بأَمْرِهِ رُخاءً يعني: رخوة لينة, وهي من الرخاوة, كما:
22977ـ حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع, قال: حدثنا بشر بن المفضل, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, أن نبيّ الله سليمان صلى الله عليه وسلم لما عرضت عليه الخيل, فشغله النظر إليها عن صلاة العصر حتى تَوَارَتْ بالحِجابِ فغضب لله, فأمر بها فعُقرت, فأبد له الله مكانها أسرع منها, سخر الريح تجري بأمره رُخاء حيث شاء, فكان يغدو من إيلياء, ويقيل بقَزْوين, ثم يروح من قزوين ويبيت بكابُل.
22978ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَهَبْ لي مُلْكا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدي فإنه دعا يوم دعا ولم يكن في مُلكه الريح, وكلّ بنّاء وغوّاص من

الشياطين, فدعا ربه عند توبته واستغفاره, فوهب الله له ما سأل, فتمّ مُلكه.
واختلف أهل التأويل في معنى الرخاء, فقال فيه بعضهم: نحو الذي قلنا فيه. ذكر من قال ذلك:
22979ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخاءً قال: طَيّبة.
حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد بنحوه.
22980ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَسَخّرْنا لَهُ الرّيحَ تَجْرِي بأمْره رُخاءً حَيْثُ أصَابَ قال: سريعة طيبة, قال: ليست بعاصفة ولا بطيئة.
22981ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: رُخاءً قال: الرخاء اللينة.
22982ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا قرة, عن الحسن, في قوله: رُخاءً حَيْثُ أصَابَ قال: ليست بعاصفة, ولا الهَيّنة بين ذلك رُخاء.
وقال آخرون: معنى ذلك: مطيعة لسليمان. ذكر من قال ذلك:
22983ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: رُخاءً يقول: مُطيعة له.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس تَجْرِي بأمْرِهِ رُخاءً قال: يعني بالرّخاء: المطيعة.
22984ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله, قال: حدثنا شعبة, عن أبي رجاء, عن الحسن, في قوله: تَجْرِي بأمْرِهِ رُخاءً قال: مطيعة.
22985ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: رُخاءً يقول: مطيعة.
22986ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: رُخاءً قال: طوعا.
وقوله: حَيْثُ أصَابَ يقول: حيث أراد, من قولهم: أصاب الله بك خيرا: أي أراد الله بك خيرا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
22987ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ عن ابن عباس, قوله: حَيْثُ أصَابَ يقول: حيث أراد.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: حَيْثُ أصَابَ يقول: حيث أراد, انتهى عليها.
22988ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: حَيْثُ أصَابَ قال: حيث شاء.

22989ـ حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا أبو النعمان الـحكم بن عبـد اللـه, قال: حدثنا شعبة, عن أبـي رجـاء, عـن الـحسن, فــي قـوله: حَيْـثُ أصَـابَ قال: حيث أراد.
22990ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة حَيْـثُ أصَابَ قال: إلـى حيث أراد.
22991ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: حَيْثُ أصَابَ قال: حيث أراد.
22992ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, عن بعـض أهل العلـم, عن وهب بن منبه حَيْثُ أصَابَ: أي حيث أراد.
22993ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قـال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ حَيْثُ أصَابَ قال: حيث أراد.
22994ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: حَيْثُ أصَابَ قال: حيث أراد.
وقوله: والشّـياطِينَ كُـلّ بَنّـاءٍ وغَـوّاصٍ يقـول تعالــى ذكـره: وسـخرنا لـه الشياطين فسلطناه علـيها مكان ما ابتلـيناه بـالذي ألقـينا علـى كرسيّه منها يستعملها فـيـما يشاء من أعمـاله مـن بنّـاء وغـوّاص فــالبُناة منهـا يصـنعون مـحاريب وتـماثـيـل, والغاصَة يستـخرجون له الـحُلِـيّ من البحــار, وآخــرون ينـحتون له جفـانا وقدورا, والـمَرَدة فـي الأغلال مُقَرّنون, كما:
22995ـ حدثنا بشر, قـال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة والشّـياطِينَ كُـلّ بَنّـاءٍ وغَـوّاصٍ قـال: يعملـون لـه مـا يشـاء مـن مــحاريب وتـماثـيـل, وغوّاص يستـخرجون الـحلـيّ من البحـر وآخَريـنَ مُقَرّنــينَ فِــي الأَصْفـادِ قال: مردة الشياطين فـي الأغلال.
22996ـ حُدثت عن الـمـحاربـيّ, عن جُوَيبر, عن الضحاك وَالشّياطِينَ كُلّ بَنّاءٍ وَغَوّاصٍ قال: لـم يكن هذا فـي مُلك داود, أعطـاه اللـه مُلـك داود وزاده الريح والشّيَاطِينَ كُلّ بَنّاءٍ وغَـوّاصٍ وآخَرِيـنَ مُقَرّنِـينَ فِــي الأَصْفــادِ يقـول: فـي السلاسل.
22997ـ حدثنا مـحمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسبـاط, عن السدي, قوله: الأصْفـادِ قال: تـجمع الـيدين إلـى عنقه, والأصفـاد: جمـع صَـفَد وهـي الأغلال.
وقوله: هَذَا عَطاؤُنا فـامْنُنْ أوْ أمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ. اختلف أهل التأويـل فـي الـمشار إلـيه بقوله: هَذَا من العطاء, وأيّ عطاء أُريد بقوله: عَطاؤنـا, فقـال بعضهم: عُنـي به الـملك الذي أعطاه الله. ذكر من قال ذلك:
22998ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, فــي قوله: هَذَا عَطاؤُنَا فـامْنُنْ أوْ أمْسِك بغَيرِ حِسابٍ قال: قال الـحسن: الــملك الذي أعطيناك فأعط ما شئت وامنع ما شئت.
22999ـ حُدثت عن الـمـحاربـيّ, عن جُوَيبر, عن الضحاك هَذَا عَطاؤُنا: هذا ملكنا.
وقال آخرون: بل عُنـي بذلك تسخيره له الشياطين, وقالوا: ومعنى الكلام: هذا الذي أعطيناك من كلّ بناء وغوّاص من الشياطين, وغيرهم عطاؤنا. ذكر من قال ذلك:
23000ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عـن قتـادة هَـذَا عَطاؤُنا فـامْنُنْ أوْ أَمْسِكْ بغَيـرِ حِسـابٍ قـال: هـؤلاء الشـياطين احبـس مـن

شئت منهم فـي وثاقك وفـي عذابك أو سرّح من شئت منهم تتـخذ عنده يدا, اصنع ما شئت.
وقال آخرون: بل ذلك ما كان أوتـي من القوّة علـى الـجماع. ذكر من قال ذلك:
23001ـ حُدثت عن أبـي يوسف, عن سعيد بن طريف, عن عكرمة, عـن ابن عبـاس, قال: كان سلـيـمان فـي ظهره مـاءُ مِئَـة رجـل, وكـان لـه ثلاث مئة امرأة وتسع مِئَة سُرّيّة هَذَا عَطاؤُنَا فَـامْنُنْ أوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ.
وأولـى الأقوال فـي ذلك عندي بـالصواب القولُ الذي ذكرناه عن الـحسن والضحاك من أنه عُنـي بـالعطاء ما أعطاه من الــملك تعالــى ذكـره, وذلـك أنه جلّ ثناؤه ذكر ذلك عُقَـيب خبره عن مسألة نبيه سلـيــمان صـلوات اللـه وسلامه علـيه إياه مُلكا لا ينبغي لأحد من بعده, فأخبر أنـه سـخر لـه مـا لــم يُسَخّر لأحد من بنــي آدم, وذلـك تسـخيره لـه الريـح والشـياطين علــى مـا وصفت, ثم قال له عزّ ذكره: هذا الذي أعطيناك من الــمُلك, وتسـخيرنا مـا سخرنا لك عطاؤنا, ووهبنا لك ما سألْتنا أن نهبه لك من الـملك الذي لا ينبغي لأحد من بعدك فـامْنُنْ أو أَمْسِكْ بغَيْرِ حِساب.
واختلف أهل التأويـل فـي تأويـل قَوله فـامْنُنْ أوْ أَمْسِكْ بغَيْرِ حِسابٍ فقال بعضهم: عَنَى ذلك: فأعط من شئت ما شئت من الـمُلك الذي آتـيناك, وامنع من شئت منه ما شئت, لا حساب علـيك فـي ذلك. ذكر من قال ذلك:
23002ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: قال الـحسن فـامْنُنْ أوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ الـمُلك الذي أعطيناك, فأعط مـا شئت وامنع ما شئت, فلـيس علـيك تَبِعة ولا حساب.
23003ـ حُدثت عـن الـمحاربــيّ, عـن جُوَيـبر, عـن الضـحاك فَــامْنُنْ أوْ أمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ سأل مُلكا هنـيئا لا يُحاسب بـه يـوم القــيامة, فقـال: مـا أعْطَيْت, ومَا أمْسَكت, فلا حرج علـيك.
23004ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن سفــيان, عـن أبــيه, عـن عكرمة فــامْنُنْ أوْ أمْسِـكْ بِغَيـرِ حِسـابٍ قـال: أعـط أو أمسـك, فلا حسـاب علـيك.
23005ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد فـامْنُنْ قال: أعط أو أمسك بغير حساب.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: أعْتِق من هؤلاء الشياطين الذين سـخرناهم لك من الـخدمة, أو من الوَثاق مــمن كـان منهـم مُقَرّنـا فــي الأصفــاد مَـن شئت واحبس مَنْ شئت فلا حرج علـيك فـي ذلك. ذكر من قال ذلك:
23006ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فـامْنُنْ أوْ أَمْسِكْ بغَيرِ حِسابٍ يقول: هؤلاء الشياطين احبس مـن شـئت منهـم فــي وَثاقك وفـي عذابك, وسرّح من شئت منهم تتـخذ عنده يدا, اصنع ما شئت لا حساب علـيك فـي ذلك.
23007ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس فـامْنُنْ أوْ أَمْسِـكْ بغَيـرِ حِسـابٍ يقـول: أعتق من الـجنّ من شئت, وأمسك من شئت.

23008ـ حدثنا مـحمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, قوله: فـامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بغَيرِ حِسابٍ قال: تَـمُنّ علـى من تشاء منهم فتُعْتِقُهُ, وتـمُسِك من شئت فتستـخدمه لـيس علـيك فـي ذلك حساب.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: هذا الذي أعطيناك من القوّة علـى الــجماع عطاؤنا, فجامع من شئت من نسائك وجواريك ما شئت بغير حساب, واتـرك جماع من شئت منهنّ.

وقال آخرون: بل ذلك من الـمقدّم والـمؤخر. ومعنى الكلام: هذا عطاؤنـا بغير حساب, فـامُنن أو أمسك. وذُكر أن ذلـك فــي قـراءة عبـد اللـه: «هـذا فـامْنُنْ أوْ أمْسِكْ عَطاؤُنا بِغَيرِ حِسابٍ».

وكان بعض أهل العلـم بكلام العرب من البصريـين يقول فـي قـوله: بغَيـرِ حِسابٍ وجهان أحدهما: بغير جزاء ولا ثواب, والآخر: مِنّةٍ ولا قِلّةٍ.

والصواب من القول فـي ذلك ما ذكرته عن أهل التأويـل من أن معنـاه: لا يحاسب علـى ما أعطى من ذلـك الــمُلك والسـلطان. وإنــما قلنـا ذلـك هـو الصواب لإجماع الـحجة من أهل التأويـل علـيه.

وقوله: وَإنّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفَـى وَحُسْـنَ مـآبٍ يقـول: وإن لسلـيــمان عنـدنا لقُرْبةً بإنابته إلـينا وتوبته وطاعته لنـا, وحُسْـنَ مـآب: يقـول: وحسـن مرجـع ومصير فـي الآخرة, كما:

23009ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَإنّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفَـى وَحُسْنَ مآبٍ: أي مصير.

إن قال لنا قائل: وما وجه رغبة سلـيـمان إلـى ربه فـي الـملك, وهو نبــيّ من الأنبـياء, وإنــما يرغـب فــي الــملك أهـل الدنــيا الــمؤثِرون لهـا علــى الآخرة؟ أم ما وجه مسألته إياه, إذ سأله ذلك مُلكا لا ينبغي لأحـد مـن بعـده, وما كان يضرّه أن يكون كلّ من بعده يُؤْتـيَ مثلَ الذي أوتـي من ذلـك؟ أكـان به بخـل بذلك, فلـم يكن من مُلكه, يُعطي ذلك من يُعطاه, أم حسد للنـاس, كما ذُكر عن الـحجاج بن يوسف فإنه ذكر أنه قـرأ قـوله: وَهَـبْ لــي مُلْكـا لا يَنْبَغي لأحَدٍ مِنْ بَعْدِي فقال: إن كـان لــحسودا, فـإن ذلـك لـيس مـن أخلاق الأنبـياء قـيـل: أما رغبته إلـى ربه فـيـما يرغب إلـيه من الــمُلك, فلــم تكـن إن شاء الله به رغبةٌ فـي الدنـيا, ولكن إرادةٌ منه أن يعلــم منزلتـه مـن اللـه فـي إجابته فـيـما رغب إلـيه فـيه, وقبوله توبته, وإجابته دعاءَه.

وأما مسألته ربه مُلكا لا ينبغي لأحد من بعده, فإنا قد ذكرنـا فـيــما مضـى قبلُ قولَ من قال: إن معنى ذلك: هب لـي مُلكـا لا أسـلبه كمـا سْـلِبتُه قبـل. وإنـما معناه عند هؤلاء: هب لـي مُلكا لا ينبغي لأحد مـن بعـدي أن يَسلُبنــيه. وقد يتـجه ذلك أن يكـون بــمعنى: لا ينبغـي لأحـد سـواي مـن أهـل زمانــي, فـيكون حجة وعَلَـما لـي علـى نبوّتـي وأنـي رسولك إلـيهم مبعوث, إذ كانت الرسل لا بدّ لها من أعلام تفـارق بها سائر الناس سـواهم. ويتــجه أيضـا لأن يكون معناه: وهب لـي مُلكا تَـخُصّنِـي به, لا تعطيه أحدا غيري تشريفـا منــك لـي بذلك, وتكرمة, لتبـين منزلتـي منك به مـن منـازل مـن سـواي, ولــيس فـي وجه من هذه الوجوه مـما ظنه الـحجاج فـي معنى ذلك شيء.

الآية : 41-42

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَاذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيّوبَ إِذْ نَادَىَ رَبّهُ أَنّي مَسّــنِيَ الشّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ * ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَـذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وَاذْكُرْ أيضا يا محمد عَبْدَنا أيّوبَ إذْ نادَى رَبّهُ مستغيثا به فيما نزل به من البلاء: يا ربّ إنّي مَسّنِيَ الشّيْطانُ بِنُصْبٍ فاختلفت القرّاء في قراءة قوله: بنُصْبٍ فقرأته عامة قرّاء الأمصار خلا أبي جعفر القارىء: بِنُصْبٍ بضم النون وسكون الصاد, وقرأ ذلك أبو جعفر: بضم النون والصاد كلـيهما, وقد حُكي عنه بفتح النون والصاد والنّصْب والنّصَب بمنزلة الحُزْن والحَزَن, والعُدم والعَدَم, والرّشْد والرّشَد, والصّلْب والصّلَب. وكان الفرّاء يقول: إذا ضُمّ أوّله لم يثقل, لأنهم جعلوهما على سِمَتين: إذا فتحوا أوّله ثقّلوا, وإذا ضموا أوّله خفّفوا. قال: وأنشدني بعض العرب:

لَئِنْ بَعَثَتْ أُمّ الحُمَيْدَيْنِ مائِرالَقَدْ غَنَيَتْ في غَيرِ بُؤْسٍ ولا جُحدِ

من قولهم: جَحِد عيشه: إذا ضاق واشتدّ قال: فلما قال جُحْد خَفّف. وقال بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين: النّصُب من العذاب. وقال: العرب تقول: أنصبني: عذّبني وبرّح بي. قال: وبعضهم يقول: نَصَبَني, واستشهد لقيله ذلك بقول بشر بن أبي خازم:

تَعَنّاكَ نَصْبٌ مِن أُمَيْمَةَ مُنْصِبُكَذِي الشّجْوِ لَمّا يَسْلُه وسيَذْهَبُ

وقال: يعني بالنّصْب: البلاء والشرّ ومنه قول نابغة بني ذُبيان:

كِلِينِي لِهَمّ يا أمَيْمَةَ ناصِبِوَلَيْلٍ أُقاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ

قال: والنّصَب إذا فُتحت وحُرّكت حروفها كانت من الإعياء. والنّصْب إذا فُتح أوله وسكن ثانيه: واحد أنصاب الحرم, وكلّ ما نصب علما وكأن معنى النّصب في هذا الموضع: العلة التي نالته في جسده والعناء الذي لاقى فيه, والعذاب في ذهاب ماله.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأمصار, وذلك الضمّ في النون والسكون في الصاد.

وأما التأويل فبنحو الذي قلنا فيه قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23010ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَاذْكُرْ عَبْدَنا أيّوبَ حتى بلغ: بِنُصْبٍ وَعَذابٍ: ذهاب المال والأهل, والضرّ الذي أصابه في جسده, قال: ابتُلِي سبع سنين وأشهرا مُلقى على كُناسة لبني إسرائيل تختلف الدوابّ في جسده, ففرّج الله عنه, وعظّم له الأجر, وأحسن عليه الثناء.

23011ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: مَسّنِيَ الشّيْطانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ قال: نصب في جسدي, وعذاب في مالي.

23012ـ حُدثت عن المحاربيّ, عن جُوَيبر, عن الضحاك: أنّي مَسّنِيَ الشّيْطانُ بنُصْبٍ يعني: البلاء في الجسد وَعَذابٍ قوله: وَما أصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أيْدِيكُمْ.

وقوله: ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ومعنى الكلام: إذ نادى ربه مستغيثا به, أني مسني الشيطان ببلاء في جسدي, وعذاب بذهاب مالي وولدي, فاستجبنا له, وقلنا له: اركض برجلك الأرض: أي حرّكها وادفعها برجلك, والركض: حركة الرجل, يقال منه: ركضت الدابة, ولا تركض ثوبك برجلك.

وقيل: إن الأرض التي أمر أيوب أن يركضها برجله: الجابية. ذكر من قال ذلك:

23013ـ حدثنا بشر, قلا: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ارْكُـضْ بِرِجْلِكَ... الآية, قال: ضرب برجله الأرض, أرضا يقال لها الـجابـية.
وقوله: هَذَا مُغْتَسَلٌ بـارِدٌ وَشَرَابٌ ذُكـر أنـه نبعـت لـه حيـن ضـرب برجلـه الأرض عينان, فشرب من إحداهما, واغتسل من الأخرى. ذكر من قال ذلك:
23014ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: ضرب برجله الأرض, فإذا عينان تنبعان, فشرب من إحداهما, واغتسـل مـن الأخرى.
23015ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, عن بعـض أهل العلـم, عن وهب بن منبه ارْكُضْ برِجْلكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بـارِدٌ وَشَرابٌ قال: فركض برجله, فـانفجرت له عين, فدخـل فـيها واغتسل, فـأذهب اللـه عنـه كلّ ما كان من البلاء.
23016ـ حدثنـي بشر بن آدم, قال: حدثنا أبو قُتـيبة, قال: حدثنا أبو هلال, قال: سمعت الـحسن, فـي قول الله: ارْكُضْ بِرِجْلِكَ فركض برجله, فنبعـت عين فـاغتسل منها, ثم مشى نـحوا من أربَعيـن ذراعا, ثـم ركـض برجلـه, فنبعت عين, فشرب منها, فـذلك قـوله: ارْكُـضْ بِرِجْلِـكَ هَـذا مُغْتَسَـلٌ بـارِدٌ وَشَرابٌ.
وعنى بقوله: مُغْتَسَلٌ: ما يُغْتَسل به من الـماء, يقـال منـه: هـذا مُغْتَسـل, وغَسُول للذي يُغتسل به من الـماء. وقوله: وَشَـرابٌ يعنـي: ويشـرب منـه, والـموضع الذي يغتسل فـيه يسمى مغتسلاً.

الآية : 43-47

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَـهُ وَمِثْلَهُـمْ مّعَهُـمْ رَحْمَـةً مّنّـا وَذِكْرَىَ لأُوْلِي الأَلْبَابِ * وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْـرِب بّـهِ وَلاَ تَحْنَـثْ إِنّـا وَجَـدْنَاهُ صَابِراً نّعْمَ الْعَبْدُ إِنّهُ أَوّابٌ }.
اختلف أهل التأويـل فـي معنى قوله: وَوَهَبْنا لَهُ أهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُـمْ وقـد ذكرنا اختلافهم فـي ذلك والصواب من القول عندنا فيه فـي سـورة الأنبـياء بـما أغنى عن إعادته فـي هذا الـموضع. فتأويـل الكلام: فـاغتسل وشـرب, ففرّجنا عنه ما كان فـيه من البلاء, ووهبنا له أهله, مـن زوجـة وولـد وَمِثْلَهُـمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنّا له ورأفة وَذِكْرَى يقول: وتذكيرا لأولـي العقول, لـيعتبروا بها فـيتعظوا. وقد:
23017ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قـال: أخبرنـي نـافع بـن يزيد, عن عقـيـل, عن ابن شهاب, عن أنس بن مالك, أن رسول اللـه صـلى الله عليه وسلم قال: «إنّ نَبِـيّ اللّهِ أيّوبَ لَبِثَ بِهِ بَلاؤُهُ ثَمانِـيَ عَشْـرَةَ سَـنَةً, فَرَفَضَهُ القَرِيبُ والبَعِيدُ, إلاّ رَجُلانِ مِنْ إخْوَانِهِ كانا مِنْ أخَصّ إخْوَانِهِ بِـهِ, كانـا يَغْدُوَانِ إلَـيْهِ وَيَرُوحانِ, فَقالَ أحَدُهُما لِصَاحِبِه: تَعْلَـمُ وَاللّـهِ لَقَـدْ أذْنَـبَ أيّـوبُ ذَنْبـا ما أذْنَبَهُ أحَدٌ مِنَ العالَـمِينَ, قال لَهُ صَاحِبُهُ: وَما ذَاكَ؟ قال: مـن ثَمانِـي عَشْرَةَ سَنَةً لَـمْ يَرْحَمْهُ اللّهُ فـيَكْشِفَ ما بِهِ فَلَـمّا رَاحا إلَـيْهِ لَـمْ يَصْبِر الرّجُـلُ حتـى ذَكَرَ ذلكَ لَهُ, فَقالَ أيّوبُ: لا أدْرِي مـا تَقُـولُ, غَيـرَ أنّ اللّـهَ يَعْلَـمُ أنّـي كُنْتُ أمُرّ عَلـى الرّجُلَـيْنِ يَتَنازَعانِ فَـيَذْكُرانِ اللّهَ, فأرْجِعُ إلـى بَـيْتِـي فَـأكَفّرُ عَنْهُما كَراهِيَةَ أنْ يُذْكَرَ اللّهُ إلاّ فِـي حَقّ قالَ: وكانَ يَخْرُجُ إلـى حـاجَتِهِ, فـإذَا قَضَاها أمْسَكَتِ امْرأتُهُ بِـيَدِهِ حتـى يَبْلُـغَ فَلَـما كـانَ ذاتَ يَـوْمٍ أبْطَـأ عَلَـيْها, وَأوحِيَ إلـى أيّوبَ فِـي مَكانِهِ: أنِ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بـارِدٌ وَشَـرابٌ, فـاسْتَبْطأتْهُ, فَتَلَقّتْهُ تَنْظُرُ, فأقْبَلَ عَلَـيْها قَدْ أذْهَبَ اللّهُ ما بِهِ مِـنَ البَلاءِ, وَهُـوَ

عَلى أحْسَنِ ما كانَ فَلَمّا رَأتْهُ قَالَتْ: أيّ بارَكَ اللّهُ فِيكَ, هَلْ رأيْتَ نَبِيّ اللّهِ هَذَا المُبْتَلي, فَوَاللّهِ على ذلكَ ما رأيْتُ أحَدا أشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إذْ كَانَ صَحِيحا؟ قالَ: فإنّي أنا هُوَ قال: وكانَ لَهُ أنْدَرَانِ: أنْدَرٌ للْقَمْحِ, وأنْدَرٌ للشّعِيرِ, فَبَعَثَ اللّهُ سَحَابَتَيْنِ, فَلَمّا كانَتْ إحْدَاهُما على أنْدَرِ القَمْحِ, أفْرَغَتْ فِيهِ الذّهَبَ حتى فاضَ, وأفرَغَتِ الأُخْرَى في أنْدَرِ الشّعِيرِ الوَرِقَ حتى فاضَ».

23018ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَوَهَبْنا لَهُ أهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ قال: قال الحسن وقتادة: فأحياهم الله بأعيانهم, وزادهم مثلهم.

23019ـ حدثني محمد بن عوف, قال: حدثنا أبو المغيرة, قال: حدثنا صفوان, قال: حدثنا عبد الرحمن بن جُبَير, قال: لما ابتُلِي نبيْ الله أيوب صلى الله عليه وسلم بماله وولده وجسده, وطُرح في مَزْبلة, جعلت امرأته تخرج تكسب عليه ما تطعمه, فحسده الشيطان على ذلك, وكان يأتي أصحاب الخبز والشويّ الذين كانوا يتصدّقون عليها, فيقول: اطردوا هذه المرأة التي تغشاكم, فإنها تعالج صاحبها وتلمسه بيدها, فالناس يتقذّرون طعامكم من أجل أنها تأتيكم وتغشاكم على ذلك وكان يلقاها إذا خرجت كالمحزون لمَا لقي أيوب, فيقول: لَجّ صاحبك, فأبى إلا ما أتى, فوالله لو تكلم بكلمة واحدة لكشف عنه كلّ ضرّ, ولرجع إليه ماله وولده, فتجيء, فتخبر أيوب, فيقول لها: لقيك عدوّ الله فلقنك هذا الكلام ويلَك, إنما مثلك كمثل المرأة الزانية إذا جاء صديقها بشيء قبلته وأدخلته, وإن لم يأتها بشيء طردته, وأغلقت بابها عنه لما أعطانا الله المال والولد آمنا به, وإذا قبض الذي له منا نكفر به, ونبدّل غيره إن أقامني الله من مرضي هذا لأجلدنّك مئةً, قال: فلذلك قال الله: وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثا فاضْرِبْ بِهِ وَلا تَحْنَثْ.

وقوله: وَخُذْ بِيَدِكَ ضغْثا يقول: وقلنا لأيوب: خذ بيدك ضغثا, وهو ما يجمع من شيء مثل حزمة الرّطْبة, وكملء الكفّ من الشجر أو الحشيش والشماريخ ونحو ذلك مما قام على ساق ومنه قول عوف بن الخَرِع:

وأسْفَلَ مِنّي نَهْدَةٌ قَدْ رَبَطْتُها وألْقَيْتُ ضِغْثا مِن خَلاً متَطَيّبِ

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23020ـ حدثني عليّ, قال: ثني عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية عن عليّ عن ابن عباس, قوله: وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثا يقول: حُزْمة.

23021ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثا فاضْرِبْ بِهِ وَلا تَحْنَثْ قال: أمر أن يأخذ ضغثا من رطبة بقدر ما حلف عليه فيضرب به.

23022ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يمان, عن ابن جُرَيج, عن عطاء, في قوله: وَخُذْ بِيَدِكَ ضغْثا قال: عيدانا رطبة.

23023ـ حدثنا أبو هشام الرّفاعيّ, قال: حدثنا يحيى, عن إسماعيل بن إبراهيم بن المهاجر, عن أبيه, عن مجاهد, عن ابن عباس وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثا قال: هو الأُثْل.

23024ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَخُذْ بِيَدَكَ ضِغْثا... الآية, قال: كانت امرأته قد عَرَضت له بأمر, وأرادها إبليس على شيء, فقال: لو تكلمت بكذا وكذا, وإنما حملها عليها الجزع,

فحلف نبـيّ الله: لئِن اللّهُ شفـاه لـيجلِدّنها مئة جلدة قال: فأُمِر بغصـن فـيه تسعة وتسعون قضيبـا, والأصل تكملة الـمِئَة, فضـربها ضَـربة واحـدة, فـأبرّ نبـيّ الله, وخَفّف الله عن أمَتِهِ, والله رحيـم.

23025ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: وَخُذْ بِـيَدِكَ ضِـغْثا يعنــي: ضِـغْثا مـن الشجر الرّطْب, كان حلف علــى يــمين, فأخـذ مـن الشـجر عـدد مـا حلـف علـيه, فضرب به ضَرْبة واحدة, فبرّت يـمينه, وهو الـيوم فـي النـاس يــمين أيوب, من أخذ بها فهو حسن.

23026ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: وَخُذْ بِـيَدِكَ ضِغْثا فـاضْرِبْ بِهِ وَلا تَــحْنَثْ قـال: ضِـغْثا واحـدا مـن الكلأ فـيه أكثر من مِئة عود, فضرب به ضربة واحدة, فذلك مِئَة ضربة.

23027ـ حدثنـي مـحمد بن عوف, قال: حدثنا أبو الــمغيرة, قـال: حـدثنا صفوان, قال: حدثنا عبد الرحمن بن جُبَــير وَخُـذْ بِــيَدِكَ ضِـغثا فــاضْرِبْ بِـهِ يقول: فـاضرب زوجتك بـالضّغْث, لتَبرّ فـي يـمينك التــي حلفـت بهـا علــيها أن تضربها وَلا تَـحْنَثْ يقول: ولا تـحنَثْ فـي يـمينك.

وقوله: إنّا وَجَدْناهُ صَابِرا نِعْمَ العَبْدُ يقول: إنا وجدنا أيوب صابرا علـى البلاء, لا يحمله البلاء علـى الـخروج عن طاعـة اللـه, والـدخول فــي معصـيته نَعْـمَ العَبْدُ إنّهُ أوّابٌ يقول: إنه علـى طاعة الله مقبل, وإلـى رضاه رَجّاع.

الآية : 48-49

القول فـي تأويـل قوله تعالـي: {وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُــلّ مّنَ الأخْيَارِ * هَـذَا ذِكْرٌ وَإِنّ لِلْمُتّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه صلى الله عليه وسلم: واذكر يا مـحمد إسماعيـل والـيسع وذا الكِفل, وما أبْلوا فـي طاعة الله, فتأسّ بهـم, واسـلك منهـاجَهم فـي الصبر علـى ما نالك فـي الله, والنفـاذ لبلاغ رسالته. وقد بـيّنا قبـل مـن أخبـار إسماعيـل والـيسع وذا الكفل فـيـما مضى من كتابنا هذا ما أغنى عــن إعادته فـي هذا الـموضع. والكِفْل فـي كلام العرب: الـحظّ والـجَدّ.

وقوله: هَذَا ذِكْرٌ يقول تعالـى ذكره: هذا القرآن الذي أنزلناه إلـيك يا مـحمد ذكر لك ولقومك, ذكرناك وإياهم به. وبنـحو الـذي قلنـا فـ ي ذلـك قـال أهـل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

23043ـ حدثنـي مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ هَذَا ذِكْرٌ قال: القرآن.

وقوله: وَإنّ للْـمُتّقِـينَ لَـحُسْنَ مآبٍ يقول: وإن للـمتقـين الذين اتّقَوْا اللـه فخافوه بأداء فرائضه, واجتناب معاصيه, لـحسنَ مَرْجع يرجعـون إلــيه فــي الاَخرة, ومَصِير يصيرون إلـيه. ثم أخبر تعالـى ذكره عن ذلك الذي وعده من حُسن الـمآب ما هو, فقال: جَنّاتِ عَدْنٍ مُفَتّـحَةً لَهُمُ الأبْوَابُ.

23044ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, قوله: وَإنّ للْـمُتّقِـينَ لَـحُسْنَ مآبٍ قال: لـحسن منقلب.

الآية : 50-51

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {جَنّاتِ عَدْنٍ مّفَتّحَةً لّهُمُ الأبْوَابُ * مُتّكِئِيـنَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ }.

قوله تعالى ذكره: جَنّاتِ عَدْنٍ: بيان عن حسن المآب, وترجمة عنه, ومعناه: بساتينُ إقامة. وقد بيّنا معنى ذلك بشواهده, وذكرنا ما فيه من الاختلاف فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقد:

23045ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: جَنّاتِ عَدْنٍ قال: سأل عمر كعبا ما عَدَن؟ قال: يا أمير المؤمنين, قصور في الجنة من ذهب يسكنها النبيون والصدّيقون والشهداء وأئمةُ العدل.

وقوله: مُفَتّحَةً لَهُمُ الأبْوَابُ يعني: مفتحة لهم أبوابها وأدخلت الألف واللام في الأبواب بدلاً من الإضافة, كما قيل: فإنّ الجَنّةَ هِيَ المَأوَى بمعنى: هي مَأواه وكما قال الشاعر:

ما وَلَدْتكُمْ حَيّةُ ابْنَةُ مالِكٍشفاحا وَما كانَتْ أحادِيثَ كاذِبِ
وَلَكِنْ نَرَى أقْدَامَنا فِي نِعالِكُمْوآثُفَنا بينَ اللّحَي والحَوَاجِبِ

بمعنى: بين الحاكم وحواجبكم ولو كانت الأبواب جاءت بالنصب لم يكن لحنا, وكان نصبه على توجيه المفتحة في اللفظ إلى جنات, وإن كان في المعنى للأبواب, وكان كقول الشاعر:

وَما قَوْمي بثعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍوَلا بِفَزَارَةَ الشّعْرَ الرّقابا

ثم نوّنت مفتحة, ونصبت الأبواب.

فإن قال لنا قائل: وما في قوله: مُفَتّحَةً لَهُمُ الأبْوَابُ من فائدة خبر حتى ذكر ذلك؟ قيل: فإن الفائدة في ذلك إخبار الله تعالى عنها أن أبوابها تفتح لهم بغير فتح سكانها إياها, بمعاناة بيدٍ ولا جارحة, ولكن بالأمر فيما ذُكر, كما:

23046ـ حدثنا أحمد بن الوليد الرملي, قال: حدثنا ابن نفيل, قال: حدثنا ابن دعيج, عن الحسن, في قوله: مُفَتّحَةً لَهُمُ الأبْوَابُ قال: أبواب تكلم, فتكلم: انفتحي, انغلقي.

وقوله: مُتّكِئِينَ فِيها يَدْعُونَ فِيها بِفاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَراب يقول: متكئين في جنات عدن, على سُرر يدعون فيها بفاكهة, يعني بثمار من ثمار الجنة كثيرة, وشراب من شرابها.

الآية : 52-54

القول في تأويل قوله تعالى: {وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطّرْفِ أَتْرَابٌ * هَـَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ * إنّ هَـَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نّفَادٍ }.

يقول تعالى ذكره: عند هؤلاء المتقين الذين أكرمهم الله بما وصف في هذه الآية من إسكانهم جنات عدن قاصِراتُ الطّرْفِ يعني: نساء قصرت أطرافهنّ على أزواجهنّ, فلا يردن غيرهم, ولا يمددن أعينهن إلى سواهم, كما:

23047ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَعِنْدَهُمْ قاصِرَاتُ الطّرْفِ قال: قصرن طرفهنّ على أزواجهنّ, فلا يردن غيرهم.

23048ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ قاصِرات الطّرْفِ قال: قصَرن أبصارهنّ وقلوبهنّ وأسماعهنّ على أزواجهنّ, فلا يردن غيرهم.

وقوله: أتْرَابٌ يعني: أسنان واحدة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف بين أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23049ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد قاصِرَاتُ الطّرْفِ أتْرابٌ قال: أمثال.
23050ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أتْرَابٌ سن واحدة.
23051ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ أتْرَابٌ قال: مستويات. قال: وقال بعضهم: متواخيات لا يتباغضن, ولا يتعادين, ولا يتغايرن, ولا يتحاسدن.
وقوله: هَذَا ما تُوعَدُون لِيوْمِ الحِسابِ يقول تعالى ذكره: هذا الذي يعدكم الله في الدنيا أيها المؤمنون به من الكرامة لمن أدخله الله الجنة منكم في الآخرة, كما:
23052ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ هَذَا ما تُوعَدُونَ لِيَوْم الحِسابِ قال: هو في الدنيا ليوم القيامة.
وقوله: إنّ هَذَا لَرِزْقُنا ما لَهُ مِنْ نَفادٍ يقول تعالى ذكره: إن هذا الذي أعطينا هؤلاء المتقين في جنّات عدن من الفاكهة الكثيرة والشراب, والقاصرات الطرف, ومكنّاهم فيها من الوصول إلى اللذّات وما اشتهته فيها أنفسهم لرزقنا, رزقناهم فيها كرامة منا لهم ما لَهُ مِنْ نَفادٍ يقول: ليس له عنهم انقطاع ولا له فناء, وذلك أنهم كلما أخذوا ثمرة من ثمار شجرة من أشجارها, فأكلوها, عادت مكانها أخرى مثلها, فذلك لهم دائم أبدا, لا ينقطع انقطاع ما كان أهل الدنيا أوتوه في الدنيا, فانقطع بالفناء, ونَفِد بالإنفاد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
23053ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ إنّ هَذَا لَرِزْقُنا مالَهُ مِنْ نَفادٍ قال: رزق الجنة, كلما أخذ منه شيء عاد مثله مكانه, ورزق الدنيا له نفاد.
23054ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ما لَهُ مِنْ نَفادٍ: أي ما له انقطاع.

الآية : 55-60

القول في تأويل قوله تعالى: {هَـذَا وَإِنّ لِلطّاغِينَ لَشَرّ مَآبٍ * جَهَنّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ * هَـذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسّاقٌ * وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ * هَـذَا فَوْجٌ مّقْتَحِمٌ مّعَكُمْ لاَ مَرْحَباً بِهِمْ إِنّهُمْ صَالُو النّارِ * قَالُواْ بَلْ أَنتُمْ لاَ مَرْحَباً بِكُمْ أَنتُمْ قَدّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ}.
يعني تعالى ذكره بقوله: هَذَا: الذي وصفت لهؤلاء المتقين: ثم استأنف جلّ وعزّ الخبر عن الكافرين به الذين طَغَوا عليه وبَغَوا, فقال: وإنّ للطّاغِينَ وهم الذين تمّردوا على ربهم, فعَصَوا أمره مع إحسانه إليهم لَشَرّ مآبٍ يقول: لشرّ مرجع ومصير يصيرون إليه في الآخرة بعد خروجهم من الدنيا, كما:
23055ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَإنّ للطّاغِينَ لَشرّ مآبٍ قال: لشرّ مُنْقَلَبٍ.
ثم بين تعالى ذكره: ما ذلك الذي إليه ينقلبون ويصيرون في الآخرة, فقال: جَهَنّمَ يَصْلَوْنَها فترجم عن جهنم بقوله: لَشَرّ مآبٍ ومعنى الكلام: إن

للكافرين لشرّ مَصِير يصيرون إليه يوم القيامة, لأن مصيرهم إلى جهنم, وإليها منقلبهم بعد وفاتهم فَبِئْسَ الْمِهادُ يقول تعالى ذكره: فبئس الفراش الذي افترشوه لأنفسهم جهنم.

وقوله: هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسّاقٌ يقول تعالى ذكره: هذا حميم, وهو الذي قد أغلي حتى انتهى حرّه, وغساق فليذوقوه فالحميم مرفوع بهذا, وقوله: فَلْيَذُوقُوهُ معناه التأخير, لأن معنى الكلام ما ذكرت, وهو: هذا حميم وغسّاق فليذوقوه. وقد يتجه إلى أن يكون هذا مكتفيا بقوله فليذوقوه ثم يُبْتدأ فيقال: حميمٌ وغَسّاق, بمعنى: منه حميم ومنه غَسّاق كما قال الشاعر:

حتى إذا ما أضَاءَ الصّبْحُ في غَلَسٍوَغُودِرَ البقْلُ مَلْويّ وَمَحْصُودُ

وإذا وُجّه إلى هذا المعنى جاز في هذا النصب والرفع. النصب: على أن يُضْمر قبلها لها ناصب, كم قال الشاعر:

زِيادَتَنا نُعْمانُ لا تَحْرِمَنّناتَقِ اللّهَ فِينا والكِتابَ الّذي تَتْلُو

والرفع بالهاء في قوله: فَلْيَذُوقُوهُ كما يقال: الليلَ فبادروه, والليلُ فبادروه.

23056ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ هَذَا فَلْيَذوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسّاقٌ قال: الحميم: الذي قد انتهى حَرّه.

23057ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: الحميم دموع أعينهم, تجمع في حياض النار فيسقونه.

وقوله: وَغَسّاقٌ اختلفت القرّاء في قراءته, فقرأته عامة قرّاء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين والشام بالتخفيف: «وَغَسَاقٌ» وقالوا: هو اسم موضوع. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: وَغَسّاقٌ مشدّدة, ووجهوه إلى أنه صفة من قولهم: غَسَقَ يَغْسِقُ غُسُوقا: إذا سال, وقالوا: إنما معناه: أنهم يُسْقَون الحميم, وما يسيل من صديدهم.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب, وإن كان التشديد في السّين أتمّ عندنا في ذلك, لأن المعروف ذلك في الكلام, وإن كان الآخر غير مدفوعة صحته.

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك, فقال بعضهم: هو ما يَسيل من جلودهم من الصديد والدم. ذكر من قال ذلك:

23058ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسّاقٌ قال: كنا نحدّث أن الغَسّاق: ما يسيل من بين جلده ولحمه.

23059ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: الغسّاق: الذي يسيل من أعينهم من دموعهم, يُسْقونه مع الحميم.

23060ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن إبراهيم, قال: الغسّاق: ما يسيل من سُرْمهم, وما يسقط من جلودهم.

23061ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد الغسّاق: الصديد الذي يجمع من جلودهم مما تصهَرهم النار في حياض يجتمع فيها فيُسقونه.

23062ـ حدثني يحيى بن عثمان بن صالح السهميّ, قال: ثني أبي, قال: حدثنا ابن لَهيعة, قال: ثني أبو قبيل أنه سمع أبا هبيرة الزيادي يقول: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: أيّ شيء الغسّاق؟ قالوا: الله أعلم, فقال عبد الله بن عمرو: هو القَيْح الغليظ, لو أن قطرة منه تُهرَاق في المغرب لأنتنت أهل المشرق, ولو تُهَراق في المشرق لأنتنت أهل المغرب.

23063ـ قال يحيى بن عثمان, قال أبي: حدثنا ابن لَهيعة مرّة أخرى, فقال: حدثنا أبو قبيل, عن عبد الله بن هبيرة, ولم يذكر لنا أبا هبيرة.

23064ـ حدثنا ابن عوف, قال: حدثنا أبو المغيرة, قال: حدثنا صفوان, قال: حدثنا أبو يحيى عطية الكلاعيّ, أن كعبا كان يقول: هل تدرون ما غَسّاق؟ قالوا: لا والله, قال: عين في جهنم يسيل إليها حُمَةُ كلّ ذات حُمَةٍ من حية أو عقرب أو غيرها, فيستنقع فيؤتي بالآدمي, فيغْمَس فيها غمسة واحدة, فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام. حتى يتعلّق جلده في كعبيه وعقبيه, وينجَرّ لحمه كجرّ الرجل ثوبه.

وقال آخرون: هو البارد الذي لا يُستطاع من برده. ذكر من قال ذلك:

23065ـ حُدثت عن يحيى بن أبي زائدة, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد وغسّاق قال: بارد لا يُسْتطاع, أو قال: برد لا يُسْتطاع.

23066ـ حدثني عليّ بن عبد الأعلى, قال: حدثنا المحاربيّ, عن جُوَيبر, عن الضحاك هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وغَسّاقٌ قال: يقال: الغسّاق: أبرد البرد, ويقول آخرون: لا بل هو أنتن النَتْن.

وقال آخرون: بل هو المُنْتِن. ذكر من قال ذلك:

23067ـ حُدثت عن المسيب, عن إبراهيم النكري, عن صالح بن حيان, عن أبيه, عن عبد الله بن بُرَيدة, قال: الغسّاق: المنتن, وهو بالطّخارية.

23068ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني عمرو بن الحارث, عن درّاج, عن أبي الهيثم, عن أبي سعيد الخُدريّ, أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ أنّ دَلْوا مِنْ غَسّاقٍ يُهَراقُ فِي الدّنيْا لأنْتَنَ أهْلَ الدّنْيا».

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو ما يسيل من صديدهم, لأن ذلك هو الأغلب من معنى الغُسُوق, وإن كان للآخر وجه صحيح.

وقوله: وآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أزْوَاجٌ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة وآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أزْوَاجٌ على التوحيد, بمعنى: هذا حميم وغساق فليذوقوه, وعذاب آخر من نحو الحميم ألوان وأنواع, كما يقال: لك عذاب من فلان: ضروب وأنواع وقد يحتمل أن يكون مرادا بالأزواج الخبر عن الحميم والغسّاق, وآخر من شكله, وذلك ثلاثة, فقيل أزواج, يراد أن ينعت بالأزواج تلك الأشياء الثلاثة. وقرأ ذلك بعضُ المكيين وبعض البصريين: «وأُخَرُ» على الجماع, وكأن من قرأ ذلك كذلك كان عنده لا يصلح أن يكون الأزواج وهي جمع نعتا لواحد, فلذلك جمع أخَر, لتكون الأزواج نَعْتا لها والعرب لا تمنع أن ينعَت الاسم إذا كان فعلاً بالكثير والقليل والاثنين كما بيّنا, فتقول: عذاب فلان أنواع, ونوعان مختلفان.

وأعجب القراءتين إليّ أن أقرأ بها: وآخَرُ على التوحيد, وإن كانت الأخرى صحيحة لاستفاضة القراءة بها في قرّاء الأمصار وإنما اخترنا التوحيد لأنه

أصحّ مخرجا في العربية, وأنه في التفسير بمعنى التوحيد. وقيل إنه الزّمهرير. ذكر من قال ذلك:

23069ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن السديّ, عن مُرّة, عن عبد الله وآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أزْوَاجٌ قال الزمهرير.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, قال: حدثنا سفيان, عن السديّ, عن مرة, عن عبد الله, بمثله.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا معاوية, عن سفيان, عن السديّ, عمن أخبره عن عبد الله بمثله, إلا أنه قال: عذاب الزمهرير.

حدثنا محمد قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, عن مرّة الهمداني, عن عبد الله بن مسعود, قال: هو الزمهرير.

23070ـ حُدثت عن يحيى بن أبي زائدة, عن مبارك بن فضالة, عن الحسن, قال: ذكر الله العذاب, فذكر السلاسل والأغلال, وما يكون في الدنيا, ثم قال: وآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أزْوَاجٌ قال: وآخر لم ير في الدنيا.

وأما قوله: مِنْ شَكْلِهِ فإن معناه: من ضربه, ونحوه يقول الرجل للرجل: ما أنت من شكلي, بمعنى: ما أنت من ضربي بفتح الشين. وأما الشّكْل فإنه من المرأة ما عَلّقَتْ مما تتحسن به, وهو الدّلّ أيضا منها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23071ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أزْوَاجٌ يقول: من نحوه.

23072ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أزْوَاجٌ من نحوه.

23073ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أزْوَاجٌ قال: من كلّ شَكْلِ ذلك العذاب الذي سمّى الله, أزواج لم يسمها الله, قال: والشّكل: الشبيه.

وقوله: أزْوَاجٌ يعني: ألوان وأنواع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23074ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن أبي رجاء, عن الحسن, في قوله: وآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أزْوَاجٌ قال: ألوان من العذاب.

23075ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أزْوَاجٌ زوج زوج من العذاب.

23076ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أزْوَاجٌ قال: أزواج من العذاب في النار.

وقوله: هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ يعني تعالى ذكره بقوله: هَذَا فَوْجٌ هذا فرقة وجماعة مقتحمة معكم أيها الطاغون النار, وذلك دخول أمة من الأمم الكافرة بعد أمة لا مرحبا بهم, وهذا خبر من الله عن قيل الطاغين الذين كانوا قد دخلوا النار قبل هذا الفوج المقتحِم للفوج المقتحَم فيها عليهم, لا مرحبا بهم, ولكن الكلام لتصل فصار كأنه قول واحد, كما قيل: يُرِيدُ أنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ فاتصل قول فرعون بقول مَلئه, وهذا كما قال تعالى ذكره مخبرا عن أهل النار: كُلّما دَخَلَتْ أُمّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها.

ويعني بقولهم: لا مَرْحَبا بِهِمْ لا اتّسعت بهم مداخلُهم, كما قال أبو الأسود:

لا مَرْحَبٌ وَاديكَ غيرُ مُضَيّقِ

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23077ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ في النار لا مَرْحَبا بِهِمْ إنّهُمْ صَالُوا النّارِ قالُوا بَلْ أنْتُمْ لا مَرْحَبا بِكُمْ... حتى بلغ: فَبِئْسَ القَرَارُ قال: هؤلاء التبّاع يقولون للرؤوس.

23078ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لا مَرْحَبا بِهِمْ قال: الفوج: القوم الذين يدخلون فوجا بعد فوج, وقرأ: كُلّما دَخَلَتْ أُمّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها التي كانت قبلها. وقوله: إنّهُمْ صَالُوا النّارِ يقول: إنهم واردو النار وداخلوها. قالُوا بَلْ أنْتُمْ لا مَرْحَبا بِكُمْ يقول: قال الفوج الواردون جهنم على الطاغين الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم لهم: بل أنتم أيها القوم لا مرحبا بكم: أي لا اتسعت بكم أما كنكم, أنْتُمْ قَدّمْتُمُوهُ لَنا يعنون: أنتم قدمتم لنا سُكنى هذا المكان, وصلّي النار بإضلالكم إيانا, ودعائكم لنا إلى الكفر بالله, وتكذيب رُسله, حتى ضللنا باتباعكم, فاستوجبنا سكنى جهنم اليوم, فذلك تقديمهم لهم ما قدموا في الدنيا من عذاب الله لهم في الآخرة فَبِئْسَ القَرارُ يقول: فبئس المكان يُسْتَقرّ فيه جهنم.

الآية : 61

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُواْ رَبّنَا مَن قَدّمَ لَنَا هَـَذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي النّارِ }.

وهذا أيضا قول الفوج المقتحم على الطاغين, وهم كانوا أتباع الطاغين في الدنيا, يقول جلّ ثناؤه: وقال الأتباع: رَبّنا مَنْ قَدّمَ لَنا هَذَا يعنون: من قدّم لهم في الدنيا بدعائهم إلى العمل الذي يوجب لهم النار التي ورودها, وسُكنى المنزل الذي سكنوه منها. ويعنون بقولهم هَذَا: العذاب الذي وردناه فَزِدْهُ عَذَابا ضِعْفا في النّارِ يقولون: فأضعف له العذاب في النار على العذاب الذي هو فيه فيها, وهذا أيضا من دعاء الأتباع للمتبوعين.

الآية : 62-64

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَقَالُواْ مَا لَنَا لاَ نَرَىَ رِجَالاً كُنّا نَعُدّهُمْ مّنَ الأشْرَارِ * أَتّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيّاً أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأبْصَرُ * إِنّ ذَلِكَ لَحَقّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النّارِ }.

يقول تعالى ذكره: قال الطاغون الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم في هذه الآيات, وهم فيما ذُكر أبو جهل والوليد بن المُغيرة وذووهما: ما لَنا لا نَرَى رِجالاً يقول: ما بالنا لا نرى معنا في النار رجالاً كُنّا نَعُدّهُمْ مِنَ الأشْرَارِ يقول: كنا نعدّهم في الدنيا من أشرارنا, وعنوا بذلك فيما ذُكر صُهَيْبا وخَبّابا وبِلالاً وسَلْمان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23079ـ حدثني محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن ليث, عن مجاهد, في قوله: ما لَنا لا نَرَى رِجالاً كُنّا نَعُدّهُمْ مِنَ الأشْرَارِ قال: ذاك

أبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة, وذكر أناسا صُهيبا وَعمّارا وخبّابا, كنّا نعدّهم من الأشرار في الدنيا.

حدثنا أبو السائب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت ليثا يذكر عن مجاهد في قوله: وَقالُوا ما لَنا لا نَرَى رِجالاً كُنّا نَعُدّهُمْ مِنَ الأَشْرارِ قال: قالوا: أي سَلْمان؟ أين خَبّاب؟ أين بِلال؟.

وقوله: أتّخَذْناهُمْ سِخْرِيّا اختلفت القرّاء في قراءته, فقرأته عامة قرّاء المدينة والشام وبعض قرّاء الكوفة: أتّخَذْناهُمْ بفتح الألف من أتخذناهم, وقطعها على وجه الاستفهام, وقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة, وبعض قرّاء مكة بوصل الألف من الأشرار: «اتّخَذْناهُمْ». وقد بيّنا فيما مضى قبلُ, أن كلّ استفهام كان بمعنى التعجب والتوبيخ, فإن العرب تستفهم فيه أحيانا, وتُخرجه على وجه الخبر أحيانا.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأه بالوصل على غير وجه الاستفهام, لتقدّم الاستفهام قبلَ ذلك في قوله: ما لَنا لا نَرَى رِجالاً كُنّا فيصير قوله: «اتّخَذْناهُمْ» بالخبر أولى وإن كان للاستفهام وجه مفهوم لما وصفتُ قبلُ من أنه بمعنى التعجب.

وإذ كان الصواب من القراءة في ذلك ما اخترنا لما وصفنا, فمعنى الكلام: وقال الطاغون: ما لنا لا نرى سَلْمان وبِلالاً وخَبّابا الذين كنّا نعدّهم في الدنيا أشرارا, اتخذناهم فيها سُخريا نهزأ بهم فيها معنا اليوم في النار؟.

وكان بعض أهل العلم بالعربية من أهل البصرة يقول: من كسر السين من السّخْرِي, فإنه يريد به الهُزء, يريد يسخر به, ومن ضمها فإنه يجعله من السّخْرَة, يستسخِرونهم: يستذِلّونهم, أزاغت عنهم أبصارنا وهم معنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23080ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن ليث, عن مجاهد أتّخَذْناهُمْ سِخْرِيّا أمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأبْصَارُ يقول: أهم في النار لا نعرف مكانهم؟.

23081ـ وحُدثت عن المحاربيّ, عن جَوَيبر, عن الضحاك وَقالُوا ما لَنا لا نَرىَ رِجالاً كُنّا نَعُدّهُمْ مِنَ الأشْرَارِ قال: هم قوم كانوا يسخَرون من محمد وأصحابه, فانطُلِق به وبأصحابه إلى الجنة وذُهِبَ بهم إلى النار فقالُوا ما لَنا لا نَرَى رِجالاً كُنّا نَعُدّهُمْ مِنَ الأشْرارِ أتّخَذْناهُمْ سِخْرِيّا أمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الأبْصارُ يقولون: أزاغت أبصارنا عنهم فلا ندري أين هم؟.

23082ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: أتّخَذْناهُمْ سِخْرِيّا قال: أخطأناهم أمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الأبْصَارُ ولا نراهم؟.

23083ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَقالُوا ما لَنا لا نَرَى رجالاً كُنّا نَعُدّهُمْ مِنَ الأشْرَارِ قال: فقدوا أهل الجنة أتّخَذْناهُمْ سِخْرِيّا في الدنيا أمْ زَاغَت عَنْهُمُ الأبْصَارُ وهم معناه في النار.

وقوله: إنّ ذلكَ لَحَقّ يقول تعالى ذكره: إن هذا الذي أخبرتكم أيها الناس من الخبر عن تراجع أهل النار, ولعْن بعضهم بعضا, ودعاء بعضهم على بعض في النار لحقّ يقين, فلا تشكّوا في ذلك, ولكن استيقنوه تخاصم أهل النار. وقوله: تَخاصُمُ ردّ على قوله: لَحَقّ. ومعنى الكلام: إن تخاصم أهل النار الذي أخبرتكم به لحقّ.

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يوجه معنى قوله: أمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الأبْصَارُ إلى: بل زاغت عنهم.

23084ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّ ذلكَ لَحَقّ تخاصُمُ أهْلِ النّارِ فقرأ: تاللّهِ إنْ كُنّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ إذْ نُسَوّيكُمْ بِرَبّ العالَمِينَ, وقرأ: يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعا... حتى بلغ: إنْ كُنّا عَنْ عِبادَتِكُمْ لَغافِلِينَ قال: إن كنتم تعبدوننا كما تقولون إن كنا عن عبادتكم لغافلين, ما كنا نسمع ولا نبصر, قال: وهذه الأصنام, قال: هذه خصومة أهل النار, وقرأ: وَضَلّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ قال: وضلّ عنهم يوم القيامة ما كانوا يفترون في الدنيا.

الآية : 65-66

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ إِنّمَآ أَنَاْ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاّ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهّارُ * رَبّ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفّارُ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا محمد لمشركي قومك: إنّمَا أنا مُنْذِرٌ لكم يا معشر قريش بين يدي عذاب شديد, أنذركم عذاب الله وسخطه أن يحلّ بكم على كفركم به, فاحذروه وبادروا حلوله بكم بالتوبة وَما مِنْ إلَهٍ إلاّ اللّهُ الوَاحِدُ القهّارُ يقول: وما من معبود تصلح له العبادة, وتنبغي له الربوبية, إلا الله الذي يدين له كلّ شيء, ويعبدهُ كلّ خلق, الواحد الذي لا ينبغي أن يكون له في ملكه شريك, ولا ينبغي أن تكون له صاحبة, القهار لكلّ ما دونه بقدرته, ربّ السموات والأرض, يقول: مالك السموات والأرض وما بينهما من الخلق يقول: فهذا الذي هذه صفته, هو الإله الذي لا إله سواه, لا الذي لا يملك شيئا, ولا يضرّ, ولا ينفع. وقوله: العَزِيزُ الغَفّارُ يقول: العزيز في نقمته من أهل الكفر به, المدّعين معه إلها غيره, الغفّار لذنوب من تاب منهم ومن غيرهم من كفره ومعاصيه, فأناب إلى الإيمان به, والطاعة له بالانتهاء إلى أمره ونهيه.

الآية : 67-70

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ * مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلإِ الأعْلَىَ إِذْ يَخْتَصِمُونَ * إِن يُوحَىَ إِلَيّ إِلاّ أَنّمَآ أَنَاْ نَذِيرٌ مّبِينٌ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا محمد لقومك المكذّبيك فيما جئتهم به من عند الله من هذا القرآن, القائلين لك فيه: إن هذا إلا اختلاق هُوَ نَبأ عَظِيمٌ يقول: هذا القرآن خبر عظيم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23085ـ حدثني عبد الأعلى بن واصل الأسدي, قال: حدثنا أبُو أُسامة, عن شبل بن عباد, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: قُلْ هُوَ نَبأ عَظِيمٌ أنْتُمْ مُعْرِضُونَ قال: القرآن.

23086ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا هشام, عن ابن سيرين, عن شريح, أن رجلاً قال له: أتقضي عليّ بالنبأ؟ قال: فقال له شريح: أوَ لَيْس القرآن نبأ؟ قال: وتلا هذه الآية: قُلْ هُوَ نَبأ عَظِيمٌ قال: وقَضَى عليه.

23087ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: قُلْ هُو نَبأ عَظِيمٌ أنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ قال: القرآن. وقوله: أنْتُمْ عَنهُ

مُعْرِضُونَ يقول: أنتم عنه منصرفون لا تعملون به, ولا تصدّقون بما فيه من حجج الله وآياته.

وقوله: ما كانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بالمَلإِ الأَعْلَى يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لمشركي قومك: ما كان لِيَ من علم بالملأ الأعلى إذّ يَخْتَصِمُونَ في شأن آدم من قبل أن يوحي إليّ ربّي فيعلمني ذلك, يقول: ففي إخباري لكم عن ذلك دليل واضح على أن هذا القرآن وحي من الله وتنزيل من عنده, لأنكم تعلمون أن علم ذلك لم يكن عندي قبل نزول هذا القرآن, ولا هو مما شاهدته فعاينته, ولكني علمت ذلك بإخبار الله إياي به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23088ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: ما كانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بالمَلإِ الأَعْلَى إذْ يَخْتَصِمُونَ قال: الملأ الأعلى: الملائكة حين شوورا في خلق آدم, فاختصموا فيه, وقالوا: لا تجعل في الأرض خليفة.

23089ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ بالمَلإِ الأَعْلَى إذْ يَخْتَصِمَونَ هو: إذْ قالَ رَبّكَ للْمَلائِكَةِ إنّي جاعِلٌ فِي الأرْضِ خَلِيفَةً.

23090ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ما كانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بالمَلإِ الأعْلى قال: هم الملائكة, كانت خصومتهم في شأن آدم حين قال ربك للملائكة: إنّي خالِقٌ بَشَرا مِنْ طِينٍ... حتى بلغ ساجِدينَ, وحين قال: إنّي جاعِلٌ فِي الأرْضِ خَلِيفَةً... حتى بلغ وَيَسْفِكَ الدّماءَ, ففي هذا اختصم الملأ الأعلى.

وقوله: إنْ يُوحَى إليّ إلاّ أنّمَا أنا نَذِيرٌ مُبِينٌ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لمشركي قريش: ما يوحي الله إليّ علم ما لا علم لي به, من نحو العلم بالملأ الأعلى واختصامهم في أمر آدم إذا أراد خَلقه, إلا لأني إنما أنا نذير مبين «فإنما» على هذا التأويل في موضع خفض على قول من كان يرى أن مثل هذا الحرف الذي ذكرنا لا بد له من حرف خافض, فسواءٌ إسقاط خافضه منه وإثباته. وإما على قول من رأى أن مثل هذا ينصب إذا أسقط منه الخافض, فإنه على مذهبه نصب, وقد بيّنا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقد يتجه لهذا الكلام وجه آخر, وهو أن يكون معناه: ما يوحي الله إلى إنذاركم. وإذا وجه الكلام إلى هذا المعنى, كانت «أنما» في موضع رفع, لأن الكلام يصير حينئذٍ بمعنى: ما يوحَى إليّ إلا الإنذار.

قوله: إلا أنما أنا نَذِيرٌ مُبِينٌ يقول: إلا أني نذير لكم مُبِين لكم إنذاره إياكم. وقيل: إلا أنما أنا, ولم يقل: إلا أنما أنك, والخبر من محمد عن الله, لأن الوحْي قول, فصار في معنى الحكاية, كما يقال في الكلام: أخبروني أني مسيء, وأخبروني أنك مسيء بمعنى واحد, كما قال الشاعر:

رَجُلانِ مِنْ ضَبّةَ أخْبَرَانا أنّا رأيْنا رَجُلاً عُرْيانا.

بمعنى: أخبرانا أنهما رأيا, وجاز ذلك لأن الخبر أصله حكاية.

الآية : 71 -74

القول في تأويل قوله تعالى: {إِذْ قَالَ رَبّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنّي خَالِقٌ بَشَراً مّن طِينٍ * فَإِذَا سَوّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ }.

وقوله: إذْ قالَ رَبّكَ من صلة قوله: إذْ يَخْتَصِمُونَ, وتأويل الكلام: ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون حين قال ربك يا محمد لِلْمَلائِكَةِ إنّي خالِقٌ بَشَرا مِنْ طِينٍ يعني بذلك خلق آدم.

وقوله: فإذَا سَوّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحي يقول تعالى ذكره: فإذا سوّيت خلقه, وعَدّلْت صورته, ونفخت فيه من روحي, قيل: عنى بذلك: ونفخت فيه من قُدرتي. ذكر من قال ذلك:

23091ـ حُدثت عن المسيب بن شريك, عن أبي روق, عن الضحاك وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحي قال: من قدرتي.

فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ يقول: فاسجدوا له وخِرّوا له سُجّدا. وقوله: فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلّهُمْ أجمَعُونَ يقول تعالى ذكره: فلما سوّى الله خلق ذلك البشر, وهو آدم, ونفخ فيه من روحه, سجد له الملائكة كلهم أجمعون, يعني بذلك: الملائكة الذين هم في السموات والأرض إلاّ إبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ يقول: غير إبليس, فإنه لم يسجد, استكبر عن السجود له تعظما وتكبرا وكانَ مِنَ الكافِرِينَ يقول: وكان بتعظّمه ذلك, وتكبره على ربه ومعصيته أمره, ممن كفر في علم الله السابق, فجحد ربوبيته, وأنكر ما عليه الإقرار له به من الإذعان بالطاعة, كما:

23092ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: قال أبو بكر في: إلاّ إبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وكانَ مِنَ الكافِرِينَ قال: قال ابن عباس: كان في علم الله من الكافرين.

الآية : 75-76

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ يَإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ }.

يقول تعالى ذكره: قالَ الله لإبليس, إذ لم يسجد لآدم, وخالف أمره: يا إبْلِيسُ ما مَنَعَكَ أنْ تَسْجُدَ يقول: أيّ شيء منعك من السجود لِما خَلَقْتُ بِيَدَيّ يقول: لخلق يديّ يخبر تعالى ذكره بذلك أنه خلق آدم بيديه, كما:

23093ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, قال: أخبرني عبيد المكتب, قال: سمعت مجاهدا يحدّث عن ابن عمر, قال: خلق الله أربعة بيده: العرش, وعَدْن, والقلم, وآدم, ثم قال لكلّ شي كن فكان.

وقوله: أسْتَكْبَرْتَ يقول لإبليس: تعظّمت عن السجود لآدم, فتركت السجود له استكبارا عليه, ولم تكن من المتكبرين العالين قبل ذلك أمْ كُنْتَ مِنَ العالِينَ يقول: أم كنت كذلك من قبل ذا علوّ وتكبّر على ربك قالَ أنا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ يقول جلّ ثناؤه: قال إبليس لربه: فعلت ذلك فلم أسجد للذي أمرتني بالسجود له لأني خير منه وكنت خيرا لأنك خلقتني من نار وخلقته من طين, والنار تأكل الطين وتُحرقه, فالنار خير منه, يقول: لم أفعل ذلك استكبارا عليك, ولا لأني كنت من العالين, ولكني فعلته من أجل أني أشرف منه وهذا تقريع من الله للمشركين الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم, وأبَوا الانقياد له, واتباع ما

جاءهم به من عند الله استكبارا عن أن يكونوا تبعا لرجل منهم حين قالُوا: أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذّكْرُ مِنْ بَيْنِنا وهَلْ هَذَا إلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ فقصّ عليهم تعالى ذكره قصة إبليس وإهلاكه باستكباره عن السجود لآدم بدعواه أنه خير منه, من أجل أنه خلق من نار, وخلق آدم من طين, حتى صار شيطانا رجيما, وحقت عليه من الله لعنته, محذّرهم بذلك أن يستحقوا باستكبارهم على محمد, وتكذيبهم إياه فيما جاءهم به من عند الله حسدا, وتعظما من اللعن والسخط ما استحقه إبليس بتكبره عن السجود لآدم.

الآية : 77 -79

القول في تأويل قوله تعالى:

{قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإنّكَ رَجِيمٌ * وَإنّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيَ إلَى يَوْمِ الدّينِ * قَالَ رَبّ فَأنظِرْنِيَ إلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ }.

يقول تعالى ذكره لإبليس: فاخْرُجْ مِنْها يعني من الجنة فإنّكَ رَجِيمٌ يقول: فإنك مرجوم بالقوم, مشتوم ملعون, كما:

23094ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فاخْرُجْ مِنْها فإنّكَ رَجِيمٌ قال: والرجيم: اللعين.

23095ـ حُدثت عن المحاربيّ, عن جُوَيبر, عن الضحاك بمثله.

وقوله: وَإنّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي يقول: وإن لك طردي من الجنة إلى يَوْمِ الدّينِ يعني: إلى يوم مجازاة العباد ومحاسبتهم قال رَبّ فأنْظِرْنِي إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ يقول تعالى ذكره: قال إبليس لربه: ربّ فإذ لعنتني, وأخرجتني من جنتك فأنْظِرْنِي يقول: فأخّرني في الأجل, ولا تهلكني إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ يقول: إلى يوم تَبْعَثُ خلقك من قبورهم.

الآية : 80-83

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ فَإنّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزّتِكَ لأُغْوِيَنّهُمْ أجْمَعِينَ * إلاّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قال الله لإبليس: فإنك ممن أنظرته إلى يوم الوقت المعلوم, وذلك الوقت الذي جعله الله أجلاً لهلاكه. وقد بيّنت وقت ذلك فيما مضى على اختلاف أهل العلم فيه وقال: فَبِعِزّتِكَ لأَغْوِيَنّهُمْ أجمَعِينَ يقول تعالى ذكره: قال إبليس: فبعزّتك: أي بقدرتك وسلطانك وقهرك ما دونك من خلقك لأَغْوِيَنّهُمْ أجمَعِينَ يقول: لأُضلّنّ بني آدم أجمعين إلاّ عِبادَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ يقول: إلا من أخلصته منهم لعبادتك, وعصمتَه من إضلالي, فلم تجعل لي عليه سبيلاً, فإني لا أقدر على إضلاله وإغوائه.

23096ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قالَ فَبِعِزّتِكَ لأُغْوِيَنّهُمْ أجمَعِينَ قال: عَلِم عدوّ الله أنه ليست له عزّة.

الآية : 84-86

القول في تأويل قوله تعالى:

{قَالَ فَالْحَقّ وَالْحَقّ أَقُولُ * لأمْلأنّ جَهَنّمَ مِنكَ وَمِمّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ * قُلْ مَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا مِنَ الْمُتَكَلّفِينَ }.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: قالَ فالحَقّ والحَقّ أقُولُ فقرأه بعض أهل الحجاز وعامة الكوفيين برفع الحقّ الأوّل, ونصب الثاني. وفي رفع الحقّ الأوّل إذا قُرىء كذلك وجهان: أحدهما رفعه بضمير لله الحقّ, أو أنا الحقّ وأقول الحقّ. والثاني: أن يكون مرفوعا بتأويل قوله: لاَءَمَلأنّ فيكون معنى الكلام حينئذٍ: فالحقّ أن أملأ جهنم منك, كما يقول: عزمة صادقة لاَتينك, فرفع عزمة بتأويل لاَتينك, لأن تأويله أن آتيك, كما قال: ثُمّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الاَيَاتِ لَيَسْجُنُنّهُ فلا بدّ لقوله: بَدَا لَهُمْ من مرفوع, وهو مضمر في المعنى. وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض المكيين والكوفيين بنصب الحقّ الأوّل والثاني كليهما, بمعنى: حقا لأملأن جهنم والحقّ أقول, ثم أدخلت الألف واللام عليه, وهو منصوب, لأن دخولهما إذا كان كذلك معنى الكلام وخروجهما منه سواء, كما سواء قولهم: حمدا لله, والحمد لله عندهم إذا نصب. وقد يحتمل أن يكون نصبه على وجه الإغراء بمعنى: الزموا الحقّ, واتبعوا الحقّ, والأوّل أشبه لأن خطاب من الله لإبليس بما هو فـ اعل به وبتُبّاعه. وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب, لصحة معنييهما.

وأما الحقّ الثاني, فلا اختلاف في نصبه بين قرّاء الأمصار كلهم, بمعنى: وأقول الحقّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23097ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن الأعمش, عن مجاهد, في قوله: فالحَقّ والحَقّ أقُولُ يقول الله: أنا الحقّ, والحقّ أقول.

23098ـ وحُدثت عن ابن أبي زائدة, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد فالحَقّ والحَقّ أقُولُ يقول الله: الحقّ مني, وأقول الحقّ.

حدثنا أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا حجاج, عن هارون, قال: حدثنا أبان بن تغلب, عن طلحة اليامي, عن مجاهد, أنه قرأها فالحَقّ بالرفع والحَقّ أقُولُ نصبا وقال: يقول الله: أنا الحقّ, والحقّ أقول.

23099ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: الحَقّ والحَقّ أقُولُ قال: قسم أقسم الله به.

وقوله: لاَءَمْلأنّ جَهَنّمَ مِنْكَ يقول لإبليس: لأملأنّ جهنم منك وممن تبعك من بني آدم أجمعين. وقوله: قُلْ ما أسألُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أجْرٍ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لمشركي قومك, القائلين لك أأنْزِلَ عَلَيْهِ الذّكْرُ مِنْ بَيْنِنا: ما أسألكم على هذا الذكر وهو القرآن الذي أتيتكم به من عند الله أجرا, يعني ثوابا وجزاء وما أنا مِنَ المُتَكَلّفِينَ يقول: وما أنا ممن يتكلف تخرّصَه وافتراءه, فتقولون: إنْ هَذَا إلاّ إفْكٌ افَتَراهُ و إنْ هَذَا إلاّ اخْتِلاَقٌ كما:

23100ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: قُلْ ما أسألُكُمْ عَلَيهِ مِنْ أجْرٍ وَما أنا مِنَ المُتَكَلّفِينَ قال: لا أسألكم على القرآن أجرا تعطوني شيئا, وما أنا من المتكلفين أتخرّص وأتكلف ما لم يأمرني الله به.

الآية : 87 -88

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ لّلْعَالَمِينَ * وَلَتَعْلَمُنّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء المشركين من قومك: إنْ هُوَ يعني: ما هذا القرآن إلاّ ذِكْرٌ يقول: إلا تذكير من الله للْعالَمِينَ من الجنّ والإنس, ذكرهم ربهم إرادة استنقاذ من آمن به منهم من الهَلَكة. وقوله: وَلَتَعْلَمُنّ نَبأَهُ بَعجدَ حِينٍ يقول: ولتعلمنّ أيها المشركون بالله من قُرَيش نبأه, يعني: نبأ هذا القرآن, وهو خبره, يعني حقيقة ما فيه من الوعد والوعيد بعد حين. وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23101ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَتَعْلَمُنّ نَبأَهُ قال: صدق هذا الحديث نبأ ما كذّبوا به. وقيل: نبأه حقيقة أمر محمد صلى الله عليه وسلم أنه نبيّ.

ثم اختلفوا في مدة الحِين الذي ذكره الله في هذا الموضع: ما هي, وما نهايتها؟ فقال بعضهم: نهايتها الموت. ذكر من قال ذلك:

23102ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلَتَعْلَمُنّ نَبأَهُ بَعْدَ حِينٍ: أي بعد الموت وقال الحسن: يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين.

وقال بعضهم: كانت نهايتها إلى يوم بدر. ذكر من قال ذلك:

23103ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: وَلَتَعْلَمُنّ نَبأَهُ بَعْدَ حِينٍ قال: يوم بدر.

وقال بعضهم: يوم القيامة. وقال بعضهم: نهايتها القيامة. ذكر من قال ذلك:

23104ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَتَعْلَمُنّ نَبأَهُ بَعْدَ حِينٍ قال: يوم القيامة يعلمون نبأ ما كذّبوا به بعد حين من الدنيا وهو يوم القيامة. وقرأ: لِكُلّ نَبإٍ مُسْتَقَرٌ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ قال: وهذا أيضا الآخرة يستقرّ فيها الحقّ, ويبطُل الباطل.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أعلم المشركين المكذّبين بهذا القرآن أنهم يعلمون نبأه بعد حين من غير حدّ منه لذلك الحين بحدّ, وقد علم نبأه من أحيائهم الذين عاشوا إلى ظهور حقيقته, ووضوح صحته في الدنيا, ومنهم من علم حقيقة ذلك بهلاكه ببدر, وقبل ذلك, ولا حدّ عند العرب للحين, لا يُجاوَز ولا يقصر عنه. فإذ كان ذلك كذلك فلا قول فيه أصحّ من أن يطلَق كما أطلقه الله من غير حصر ذلك على وقت دون وقت. وبنحو الذين قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23105ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, قال: حدثنا أيوب, قال: قال عكرمة: سُئِلت عن رجل حلف أن لا يصنع كذا وكذا إلى حين, فقلت: إن من الحين حينا لا يُدرك, ومن الحين حِينٌ يُدرك, فالحين الذي لا يُدرك قوله: وَلَتَعْلَمُنّ نَبأَهُ بَعْدَ حِينٍ, والحين الذي يُدرك قوله: تُؤْتِي أُكُلَها كُلّ حِينٍ بإذْن رَبّها وذلك من حين تُصْرَم النخلة إلى حين تُطْلِع, وذلك ستة أشهر.

سورة الزمر

سورة الزمر مكية
وآياتها خمس وسبعون
بسم الله الرحمَن الرحيـم

الآية : 1-2

القول في تأويل قوله تعالى: {تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقّ فَاعْبُدِ اللّهَ مُخْلِصاً لّهُ الدّينِ }.

يقول تعالى ذكره: تَنْزِيلُ الكِتابِ الذي نزّلناه عليك يا محمد مِنَ اللّهِ العَزِيزِ في انتقامه من أعدائه الحَكِيمِ في تدبيره خلقه, لا من غيره, فلا تكونَنّ في شكّ من ذلك ورفع قوله: تَنْزِيلُ بقوله: مِنَ اللّهِ. وتأويل الكلام: من الله العزيز الحكيم تنزيل الكتاب. وجائز رفعه بإضمار هذا, كما قيل: سُورَةٌ أنْزَلْناها غير أن الرفع في قوله: تَنْزِيلُ الكِتابِ بما بعده, أحسن من رفع سورة بما بعدها, لأن تنزيل, وإن كان فعلاً, فإنه إلى المعرفة أقرب, إذ كان مضافا إلى معرفة, فحسن رفعه بما بعده, وليس ذلك بالحسن في «سُورَةٌ», لأنه نكرة.

وقوله: إنّا أنْزَلْنا إلَيْكَ الكِتابَ بالحَقّ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إنا أنزلنا إليك يا محمد الكتاب, يعني بالكتاب: القرآن بالحقّ يعني بالعدل يقول: أنزلنا إليك هذا القرآن يأمر بالحقّ والعدل, ومن ذلك الحقّ والعدل أن تعبد الله مخلِصا له الدين, لأن الدين له لا للأوثان التي لا تملك ضرّا ولا نفعا. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: الكِتابَ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23106ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إنّا أنْزَلْنا إلَيْكَ الكِتابَ بالحَقّ يعني: القرآن.

وقوله: فاعْبُدِ اللّهِ مُخْلِصا لَهُ الدّينَ يقول تعالى ذكره: فاخشع لله يا محمد بالطاعة, وأخلص له الألوهة, وأفرده بالعبادة, ولا تجعل له في عبادتك إياه شريكا, كما فَعَلَتْ عَبَدة الأوثان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23107ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن حفص, عن شمر, قال: يؤتي بالرجل يوم القيامة للحساب وفي صحيفته أمثال الجبال من الحسنات, فيقول ربّ العزّة جلّ وعزّ: صَلّيت يوم كذا وكذا, ليقال: صلّى فلان أنا الله لا إله إلا أنا, لي الدين الخالص. صمتَ يوم كذا وكذا, ليقال: صام فلان أنا الله لا آله إلا أنا لي الدين الخالص, تصدّقت يوم كذا وكذا, ليقال: تصدّق فلان أنا الله لا إله إلا أنا لي الدين الخالص فما يزال يمحو شيئا بعد شيء حتى تبقى صحيفته ما فيها شيء, فيقول ملكاه: يا فلان, ألغير الله كنت تعمل.

23108ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, أما قوله: مُخْلِصا لَهُ الدّينَ فالتوحيد, والدين منصوب بوقوع مخلصا عليه.

وقوله: ألا لِلّهِ الدّينُ الخالِصُ يقول تعالى ذكره: ألا لله العبادة والطاعة وحده لا شريك له, خالصة لا شرك لأحد معه فيها, فلا ينبغي ذلك لأحد, لأن كل ما دونه ملكه, وعلى المملوك طاعة مالكه لا من لا يملك منه شيئا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23109ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ألا لِلّهِ الدّينُ الـخالِصُ شهادة أن لا إله إلا الله.
وقوله: وَالّذِينَ اتّـخَذُوا مِنْ دُونِهِ أوْلِـياءَ ما نَعْبُدُهُمْ إلاّ لِـيُقَرّبُونا إلـى اللّـهِ زُلْفَـى يقول تعالـى ذكره: والـذين اتـخذوا مـن دون اللـه أولـياء يَتَولّـونهم, ويعبدونهم من دون الله, يقولون لهم: ما نعبدكم أيها الآلهة إلا لتقربونا إلـى الله زُلْفَـى, قربة ومنزلة, وتشفعوا لنا عنده فـي حاجاتنـا وهـي فـيـما ذُكـر فـي قراءة أبـيّ: «ما نَعْبُدُكُمْ», وفـي قراءة عبد اللـه: «قـالُوا مـا نَعْبُـدُهُمْ» وإنـما حسُن ذلك لأن الـحكاية إذا كانت بـالقول مضمرا كان أو ظاهرا, جعـل الغائب أحيانا كالـمخاطب, ويـترك أخـرى كالغـائب, وقـد بـيّنت ذلـك فـي موضعه فـيـما مضى.
23110ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قـال: حدثنا أسبـاط, عـن السـديّ, قـال: هـي فـي قـراءة عبـد اللـه: «قـالُوا مـا نَعْبُدُهُمْ».
وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
23111ـ حدثنا مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقـاء, جميعـا عـن ابـن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قوله: ما نَعْبُدُهُمْ إلاّ لِـيُقَرّبُونا إلـى اللّـهِ زُلْفَـى قال: قريش تقوله للأوثان, ومن قَبْلَهم يقوله للـملائكة ولعيسى ابـن مريـم ولعزَيز.
23112ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَالّذِينَ اتّـخَذُوا مِنْ دُونِـهِ أوْلِـياءَ مـا نَعْبُـدُهُمْ إلاّ لِـيُقَرّبُونا إلـى اللّـهِ زُلْفَـى قالوا: ما نعبد هؤلاء إلا لـيقرّبونا, إلا لـيشفعُوا لنا عند الله.
23113ـ حدثنا مـحمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, فـي قوله: ما نَعْبُدُهُمْ إلاّ لِـيُقَرَبونا إلـى اللّهِ زُلْفَـى قال: هي منزلة.
23114ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قـال: حـدثنا معاويـة, عـن علـيّ, عن ابن عبـاس, فـي قوله: وَالّذِينَ اتّـخَذُوا مِنْ دُونِهِ أوْلِـياءَ ما نَعْبُدُهُمْ إلاّ لِـيُقَرّبُونا إلـى اللّهِ زُلْفَـى.
وقوله: وَلَوْ شاءَ الله ما أشْرَكُوا يقول سبحانه: لو شـئت لـجمعتهم علـى الهدى أجمعين.
23115ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد فـي قوله: ما نَعْبُدُهُمْ إلاّ لِـيُقَرّبونا إلـى الله زُلْفَـى قال: قـالوا هـم شـفعاؤنا عنـد الله, وهم الذين يقرّبوننا إلـى الله زلفـي يـوم القـيامة للأوثـان, والزلفـى: القُرَب.
وقوله: إنّ اللّهَ يَحْكُمُ بَـيْنَهُمْ فِـيـما هُمْ فِـيهِ يَخْتَلِفُونَ يقول تعالـى ذكره: إن الله يفصل بـين هؤلاء الأحزاب الذين اتـخذوا فـي الدنـيا من دون الله أولـياء يوم القـيامة, فـيـما هم فـيه يختلفـون فـي الدنـيا مـن عبـادتهم مـا كـانوا يعبدون فـيها, بأن يُصْلِـيَهم جميعا جهنـم, إلا من أخـلص الدين للـه, فوحـده, ولـم يشرك به شيئا.

الآية : 3-4

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {أَلاَ لِلّـهِ الـدّينُ الْخَـالِصُ وَالّـذِينَ اتّخَـذُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاّ لِيُقَرّبُونَآ إِلَى اللّهِ زُلْفَىَ إِنّ اللّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِـي

مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنّ اللّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَـاذِبٌ كَـفّارٌ * لّـوْ أَرَادَ اللّـهُ أَن يَتّخِذَ وَلَداً لاّصْطَفَىَ مِمّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهّارُ }.

يقول تعالى ذكره: إنّ اللّهَ لاَ يَهْدِي إلى الحقّ ودينه الإسلام, والإقرار بوحدانيته, فيوفقه له مَنْ هُوَ كاذِبٌ مفتر على الله, يتقوّل عليه الباطل, ويضيف إليه ما ليس من صفته, ويزعم أن له ولدا افتراء عليه, كفار لنعمه, جحود لربوبيته. وقوله: لَوْ أَرَادَ اللّهُ أنْ يَتّخِذَ وَلِدا يقول تعالى ذكره: لو شاء الله اتخاذ ولد, ولا ينبغي له ذلك, لاصطفى مما يخلق ما يشاء, يقول: لاختار من خلقه ما يشاء. وقوله: سُبْحانَهُ هُوَ اللّهُ الوَاحِدُ القَهّارُ يقول: تنزيها لله عن أن يكون له ولد, وعما أضاف إليه المشركون به من شركهم هُوَ اللّهُ يقول: هو الذي يَعْبده كلّ شيء, ولو كان له ولد لم يكن له عبدا, يقول: فالأشياء كلها له ملك, فأنى يكون له ولد, وهو الواحد الذي لا شريك له في مُلكه وسلطانه, والقهار لخلقه بقدرته, فكل شيء له متذلّل, ومن سطوته خاشع.

الآية : 5

القول في تأويل قوله تعالى: {خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالأرْضَ بِالْحَقّ يُكَوّرُ اللّيْلَ عَلَى النّهَارِ وَيُكَوّرُ النّهَارَ عَلَى اللّيْلِ وَسَخّرَ الشّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلّ يَجْرِي لأجَلٍ مّسَمّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفّارُ }.

يقول تعالى ذكره واصفا نفسه بصفتها: خَلَقَ السّمَوَاتِ والأرْضَ بالحَقّ يَكُوّرُ اللّيْلَ على النهارِ وَيُكَوّرُ النّهارَ على اللّيْلِ يقول: يغشّي هذا على هذا, وهذا على هذا, كما قال يُولِجُ اللّيْلَ فِي النّهارِ وَيُولِجُ النّهارَ فِي اللّيْلِ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23116ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: يُكَوّرُ اللّيْلَ عَلى النّهارِ وَيُكَوّرُ النّهارَ عَلى اللّيْلِ يقول: يحمل الليل على النهار.

23117ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد قوله: يُكَوّرُ اللّيْلَ على النّهارِ قال: يدهوره.

23118ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يُكَوّرُ اللّيْلَ على النّهارِ وَيُكَوّرُ النّهارَ على اللّيْلِ قال: يَغْشَي هذا هذا, ويَغْشَي هذا هذا.

23119ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: يُكَوّرُ اللّيْلَ على النّهارِ ويُكَوّرُ النّهارَ على اللّيْلِ قال: يجيء بالنهار ويذهب بالليل, ويجيء بالليل, ويذهب بالنهار.

23120ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: يُكَوّرُ اللّيْلَ على النّهارِ ويُكَوّرُ النّهارَ على اللّيْلِ حين يذهب بالليل ويكوّر النهار عليه, ويذهب بالنهار ويكوّر الليل عليه.

وقوله: وَسَخّرَ الشّمْسَ والقَمَرَ يقول تعالى ذكره: وسخر الشمس والقمر لعباده, ليعلموا بذلك عدد السنين والحساب, ويعرفوا الليل من النهار لمصلحة معاشهم كُلّ يَجْرِي لأجَلٍ مُسَمّى يقول: كُلّ ذلك يعني الشمس والقمر يَجْرِي لأجَلٍ مُسَمّى يعني إلى قيام الساعة, وذلك إلى أن تكوّر الشمس, وتنكدر النجوم. وقيل: معنى ذلك: أن لكل واحد منهما منازل, لا

تعدوه ولا تقصر دونه ألا هُوَ العَزِيـزُ الغَفّــارُ يقـول تعالــى ذكـره: ألا إن اللـه الذي فعل هذه الأفعال وأنعم علـى خـلقه هذه النعم هو العزيز فــي انتقـامه مـمن عاداه, الغفـار لذنوب عبـاده التائبـين إلـيه منها بعفوه لهم عنها.

الآية : 6

!!!========== غير موجودة بالأصل ==========!!!

الآية : 7

القول فـي تأويـل قـوله تعالــى: {إِن تَكْفُـرُواْ فَـإِنّ اللّـهَ غَنِـيّ عَنكُـمْ وَلاَ يَرْضَىَ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىَ ثُمّ إِلَىَ رَبّكُمْ مّرْجِعُكُـمْ فَيُنَبّئُكُـمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصّدُورِ }.

اختلف أهل التأويـل فـي تأويـل قوله: إَنْ تَكْفُرُوا فإنّ اللّهَ غَنـيّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبـادِهِ الكُفْرَ فقـال بعضـهم: ذلـك لــخاص مـن النـاس, ومعنـاه: إن تكفروا أيها الــمشركون بــالله, فـإن اللـه غنــي عنكـم, ولا يرضـى لعبــاده الـمؤمنـين الذين أخـلصهم لعبـادته وطاعته الكفر. ذكر من قال ذلك:

23140ـ حدثنـي علـي قال: حدثنا أبـو صالــح, قـال: ثنــي معاويـة, عـن علـي, عن ابن عبـاس, قوله: إنْ تَكْفُـرُوا فـإنّ اللّـهَ غَنِـيٌ عَنْكُـمْ وَلا يَرْضَـى لِعِبـادِهِ الكُفْرَ يعنـي الكفـار الذين لـم يرد الله أن يطهر قلوبهم, فــيقولوا: لا إله إلا الله, ثم قال: وَلا يَرْضَى لِعِبـادِهِ الكُفْرَ وهم عبـاده الـمخـلصون الــذين قال فـيهم: إنّ عِبـادِي لَـيْسَ لَكَ عَلَـيْهِمْ سُلْطانٌ فألزمهم شهادة أن لا إله إلا الله وحَبّبها إلـيهم.

23141ـ حدثنا مـحمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسبـاط, عن السدي وَلا يَرْضَى لِعِبـادِهِ الكُفْرَ قال: لا يرضى لعبـاده الـمؤمنـين أن يكفروا.

وقال آخرون: بل ذلك عام لـجميع الناس, ومعناه: أيها الناس إن تكفـروا, فإن الله غنـي عنكم, ولا يرضى لكم أن تكفروا به.

والصواب من القول فـي ذلك ما قال الله جلّ وعزّ: إن تكفروا بـ الله أيهـا الكفـار به, فإن غنـيّ عن إيـمانكم وعبـادتكم إياه, ولا يرضى لعبـاده الكفــر, بـمعنى: ولا يرضى لعبـاده أن يكفروا به, كما يقال: لست أحب الظلـم, وإن أحببت أن يظلـم فلان فلانا فـيعاقب.

وقوله: وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ يقول: وإن تؤمنوا بربكـم وتطيعـوه يـرض شكركم له, وذلك هو إيـمانهم بـه وطـاعتهم إيـاه, فكنـي عـن الشـكر ولــم يُذْكر, وإنـما ذكر الفعل الدالّ علـيه, وذلك نظير قوله: الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النّاسُ إنّ النّاسُ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فـاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُم إِيــمانا بــمعنى: فزادهـم قـول الناس لهم ذلك إيـمانا. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

23142ـ حدثنا مـحمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ قال: إن تطيعوا يرضه لكم.

وقوله: وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى يقول: لا تأثم آثمة إثم آثمة أخرى غيرهـا, ولا تؤاخذ إلا بإثم نفسها, يُعْلِـم عزّ وجلّ عبـاده أن علـى كلّ نفس مـا جنـت, وأنها لا تؤاخذ بذنب غيرها. ذكر من قال ذلك:

23143ـ حدثنا مـحمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى قال: لا يؤخذ أحد بذنب أحد.

وقوله: ثُمّ إلَـى رَبّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَـيُنَبّئُكُمْ بِـمَا كُنْتُــمْ تَعْمَلُـونَ يقـول تعالـ ى ذكره: ثم بعد اجتراحكم فـي الدنـيا ما اجترحتـم من صالـح وسيىء, وإيـمان

وكفر أيها الناس, إلـى ربكـم مصـيركم م ن بعـد وفـ اتكم, فـينبئكم يقـول: فـيخبركم بـما كنتـم فـي الدنـيا تعملونه من خير وشرّ, فـيجازيكم علـى كـلّ ذلك جزاءكم, الـمحسن منكم بإحسانه, والـمسيء بـما يستـحقه يقول عـزّ وجلّ لعبـاده: فـاتقوا أن تلقوا ربكم وقد عملتـم فـي الدنـيا بـما لا يرضـاه منكم تهلكوا, فإنه لا يخفـى علـيه عمل عامل منكم.

وقوله: إنّهُ عَلِـيـمٌ بذاتِ الصّدُورِ يقول تعالـى ذكره: إن الله لا يخفـي علـيه ما أضمرته صدوركم أيها الناس مـما لا تُـدركه أعينكـم, فكيـف بـما أدركتـه العيون ورأته الأبصار. وإنـما يعنـي جلّ وعزّ بـذلك الـخبر عـن أنـه لا يخفـى علـيه شيء, وأنه مُـحصٍ علـى عبـاده أعمالهم, لـيجازيهم بها كي يتقوه فـي سرّ أمورهم وعلانـيتها.

الآية : 8

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَإِذَا مَسّ الإِنسَانَ ضُرّ دَعَا رَبّهُ مُنِيباً إِلَيْـهِ ثُمّ إِذَا خَوّلَهُ نِعْمَةً مّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوَ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلّهِ أَندَاداً لّيُضِلّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنّكَ مِنْ أَصْحَابِ النّارِ }.

يقول تعالـى ذكره: وإذا مسّ الإنسان بلاء فـي جسده من مرض, أو عاهة, أو شدّة فـي معيشته, وجهد وضيق دَعا رَبّهُ يقول: استغاث بربه الذي خـلقه من شدّة ذلك, ورغب إلـيه فـي كشف ما نـزل بـه مـن شـدّة ذلـك. وقـوله: مُنِيبـا إلَـيْهِ يقول: تائبـا إلـيه مـما كان مـن قبـل ذلـك علـيه مـن الكفـر بـه, وإشراك الآلهة والأوثان به فـي عبـادته, راجعا إلـى طاعته. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك: 23144ـ حـدثنا بشـر, قـال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإذَا مَسّ الإنْسانَ ضُرّ قـال: الوجع والبلاء والشدّة دَعا رَبّهُ مُنِيبـا إلَـيْهِ قال: مستغيثا به.

وقوله: ثُمّ إذَا خَوّلَهُ نَعْمَةً مِنْهُ يقول تعالـى ذكره: ثم إذا منـحه ربـه نعمـة منه, يعنـي عافـية, فكشـف عنـه ضـرّه, وأبـدله بـالسقم صـحة, وبـالشدة رخاء. والعرب تقول لكلّ من أعطى غيره من مال أو غيره: قـد خـوّله ومنـه قول أبـي النـجْم العِجْلِـيّ:

أعْطَى فَلَـم يَبْخَـلْ ولَـمْ يُبَخّـلِكُومَ الذّرَا مِنْ خَوَلِ الـمُخَوّلِ

وحدثت عن أبـي عُبـيدة معمر بن الـمثنى أنه قال: سمعت أبـا عمرو يقول فـي بـيت زُهَيْر:

هُنالِكَ إنْ يُسْتَـخْوَلُوا الـمَالَ يُخْوِلواوإنْ يُسْأَلُوا يُعْطوا وَإنْ يَـيْسِرُوا يُغْلوا

قال معمر: قال يونس: إنـما سمعناه:

هُنالكَ إنْ يُسْتَـخْبَلُوا الـمَالَ يُخْبِلوا

قال: وهي بـمعناها. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

23145ـ حدثنا مـحمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ ثُمّ إذَا خَوّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ: إذا أصابته عافـية أو خير.

وقوله: نَسِيَ ما كانَ يَدْعُو إلَـيْهِ مِنْ قَبْلُ يقول: ترك دعاءه الذي كان يدعو إلـى الله من قبل أن يكشف ما كـان بـه مـن ضـرّ وَجَعَـلِ لِلّـهِ أنْـدَادا يعنـي: شركاء. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

23146ـ حدثنا مـحمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ نَسِيَ يقول: ترك, هذا فـي الكافر خاصة.

ول«ما» التي في قوله: نَسِيَ ما كانَ وجهان: أحدهما: أن يكون بمعنى الذي, ويكون معنى الكلام حينئذٍ: ترك الذي كان يدعوه في حال الضرّ الذي كان به, يعني به الله تعالى ذكره, فتكون «ما» موضوعة عند ذلك موضع «مَنْ» كما قيل: وَلا أنْتُمْ عابِدُونَ ما أعْبُدُ يعني به الله, وكما قيل: فانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النّساءِ. والثاني: أن يكون بمعنى المصدر على ما ذكرت. وإذا كانت بمعنى المصدر, كان في الهاء التي في قوله: إلَيْهِ وجهان: أحدهما: أن يكون من ذكر ما. والآخر: من ذكر الربّ.

وقوله: وَجَعَلَ لِلّهِ أنْدَادا يقول: وجعل لله أمثالاً وأشباها.

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي جعلوها فيه له أندادا, قال بعضهم: جعلوها له أندادا في طاعتهم إياه في معاصي الله. ذكر من قال ذلك:

23147ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَجَعَلَ لِلّهِ أنْدَادا قال: الأنداد من الرجال: يطيعونهم في معاصي الله.

وقال آخرون: عنى بذلك أنه عبد الأوثان, فجعلها لله أندادا في عبادتهم إياها.

وأولى القولين في ذلك بـ الصواب قول من قال: عَنَى به أنه أطاع الشيطان في عبادة الأوثان, فجعل له الأوثان أندادا, لأن ذلك في سياق عتاب الله إياهم له على عبادتها.

وقوله: لِيُضِلّ عَنْ سَبِيلِهِ يقول: ليزيل من أراد أن يوحد الله ويؤمن به عن توحيده, والإقرار به, والدخول في الإسلام. وقوله: قُلْ تَمَتّعْ بكُفْرِكَ قَلِيلاً يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لفاعل ذلك: تمتع بكفرك بالله قليلاً إلى أن تستوفي أجلك, فتأتيك منيتك إنّكَ مِنْ أصحَابِ النّارِ: أي إنك من أهل النار الماكثين فيها.

وقوله: تَمَتّعْ بِكُفْرِكَ: وعيد من الله وتهدّدٌ.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى: {أَمّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَآءَ اللّيْلِ سَاجِداً وَقَآئِماً يَحْذَرُ الاَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنّمَا يَتَذَكّرُ أُوْلُو الألْبَابِ }.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: أمّنْ فقرأ ذلك بعض المكيين وبعض المدنيين وعامة الكوفيين: «أمَنْ» بتخفيف الميم ولقراءتهم ذلك كذلك وجهان: أحدهما أن يكون الألف في «أمّن» بمعنى الدعاء, يراد بها: يا من هو قانت آناء الليل, والعرب تنادي بالألف كما تنادي بيا, فتقول: أزيد أقبِلْ, ويا زيد أقبِلْ ومنه قول أوس بن حجر:

أبَنِي لُبَيْنَى لَسْتُمُ بِيَدٍإلاّ يَدٌ لَيْسَتْ لَهَا عَضُدُ

وإذا وجهت الألف إلى النداء كان معنى الكلام: قل تمتع أيها الكافر بكفرك قليلاً, إنك من أصحاب النار, ويا من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما إنك من أهل الجنة, ويكون في النار عمى للفريق الكافر عند الله من الجزاء في الآخرة, الكفاية عن بيان ما للفريق المؤمن, إذ كان معلوما اختلاف أحوالهما في الدنيا, ومعقولاً أن أحدهما إذا كان من أصحاب النار لكفره بربه أن الآخر من أصحاب الجنة, فحذف الخبر عما له, اكتفاء بفهم السامع المراد منه من ذكره, إذ كان قد دلّ على المحذوف بالمذكور. والثاني: أن تكون الألف التي في قوله: «أمَنْ» ألف

استفهام, فـيكون معنـى الكلام: أهـذا كالـذي جعـل للـه أنـدادا لـيضلّ عـن سبـيـله, ثم اكتفـى بـما قـد سـبق مـن خـبر اللـه عـن فريـق الكفـر بـه مـن أعدائه, إذ كان مفهوما الـمراد بـالكلام, كما قال الشاعر:
فَأُقْسِمُ لَوْ شَيْءٌ أتانا رَسُولُهُسِوَاكَ وَلَكِنْ لَـمْ نَـجِدْ لَكَ مَدْفَعا
فحذف لدفعناه وهو مراد فـي الكلام إذ كان مفهوما عنـد السـامع مـراده.
وقرأ ذلك بعض قرّاء الـمدينة والبصـرة وبعـض أهـل الكوفـة: أمّـنْ بتشـديد الـميـم, بـمعنى: أم من هو؟ ويقولون: إنـما هي أمّنْ استفهام اعـترض فـي الكلام بعد كلام قد مضى, فجاء بأم فعلـى هذا التأويـل يجب أن يكون جواب الاستفهام متروكا من أجل أنه قد جرى الـخير عن فريق الكفر, وما أعـدّ لـه فـي الآخـرة, ثـم أتبـع الـخبر عـن فريـق الإيـمان, فعلـم بـذلك الـمراد, فـاستغنـي بـمعرفة السامع بـمعناه من ذكره, إذ كان معقولاً أن معناه: هـذا أفضل أم هذا؟.
والقول فـي ذلك عندنا أنهما قراءتان قرأ بكل واحدة علـماء من القرّاء مع صـحة كـلّ واحـدة منهمـا فـي التأويـل والإعـراب, فبأيتهمـا قـرأ القـارىء فمصيب.
وقد ذكرنا اختلاف الـمختلفـين, والصواب من القـول عنـدنا فـيـما مضـى قبل فـي معنى القانت, بـما أغنى عن إعادته فـي هذا الـموضع غير أنا نـذكر بعض أقوال أهل التأويـل فـي ذلك فـي هذا الـموضع, لـيعلـم النـاظر فـي الكتاب اتفـاق معنى ذلك فـي هذا الـموضع وغيره, فكان بعضهم يقـول: هـو فـي هذا الـموضع قراءة القارىء قائما فـي الصلاة. ذكر من قال ذلك:
23148ـ حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا يحيى, عن عبـيد اللـه, أنـه قـال: أخبرنـي نافع, عن ابن عمر, أنه كـان إذا سُئل ع ن القنـوت, ق ال: لا أعلـم القنوت إلا قراءة القرآن وطول القـيام, وقـرأ: أمّـنْ هُـوَ قـانِتٌ آنـاءَ اللّـيْـلِ ساجِدا وقائما.
وقال آخرون: هو الطاعة. ذكر من قال ذلك:
23149ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: أَمّنْ هُوْ قانِتٌ يعنـي بـالقنوت: الطاعة, وذلك أنه قال: ثُمّ إذَا دَعاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأرْضِ إذَا أنْتُـمْ تَـخْرُجُونَ... إلـى كُلّ لَهُ قانِتُونَ قال: مطيعون.
23150ـ حدثنا مـحمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, فـي قوله: أَمّنْ هُو قانِتٌ آناءَ اللّـيْـلِ ساجِدا وَقائما قال: القانت: الـمطيع.
وقوله: آناءَ اللّـيْـلِ يعنـي: ساعات اللـيـل, كما:
23151ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أَمّنْ هُوَ قانتٌ آناءَ اللّـيْـلِ أوّله, وأوسطه, وآخره.
23152ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ آناءَ اللّـيْـلِ قال: ساعات اللـيـل.
وقد مضى بـياننا عن معنى الآناء بشواهده, وحكايـة أقـوال أهـل التأويـل فـيها بـما أغنى عن إعادته فـي هذا الـموضع.
وقوله: ساجِدا وَقائما يقول: يقنت سـاجدا أحيانـا, وأحيانـا قائمـا, يعنـي: يطيع والقنوت عندنا الطاعة, ولذلك نصب قوله: سـاجِدا وَقائمـا لأن معنـاه: أمّن هو يقنت آناء اللـيـل ساجدا طورا, وقائما طورا, فهما حـال مـن قـانت.
وقوله: يَحْذَرُ الآخِرَةَ يقول: يحذر عذابَ الآخرة, كما:

23153ـ حدثنا علـيّ بن الـحسن الأزديّ. قال: حدثنا يحيـى بـن اليــمان, عن أشعث, عن جعفر, عن سعيد بن جُبَــير, عـن ابـن عبــاس, فــي قـوله: يَحْذَرُ الاَخِرَةَ قال: يحذر عقاب الاَخرة, ويرجو رحمة ربـه, يقـول: ويرجـو أن يرحمه الله فـيدخـله الـجنة.

وقوله: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الّـذِينَ يَعْلَــمُونَ وَالّـذِينَ لا يَعْلَــمُونَ يقـول تعالـ ى ذكره: قل يا مـحمد لقومك: هل يستوي الذين يعلـمون ما لهم فـي طـاعتهم لربهم من الثواب, وما علـيهم فــي معصـيتهم إيـاه مـن التبعـات, والـذين لا يعلـمون ذلك, فهم يخبطون فـي عشواء, لا يجرجون بحسن أعمالهم خيــرا, ولا يخافون بسيّئها شرا؟ يقول: ما هذان بـمتساويــين. وقـد رُوي عـن أبــي جعفر مـحمد بن علـي فـي ذلك ما:

23154ـ حدثنـي مـحمد بن خـلف, قال: ثنـي نصر بن مزاحم, قال: حدثنا سفـيان الـجريري, عن سعيد بن أبـي مـجاهد, عن جـابر, عـن أبــي جعفـر, رضوان الله علـيه هَلْ يَسْتَوِي الّذِينَ يَعْلَـمُونَ وَالّذِينَ لا يَعْلَـمُونَ قـال: نــحن الذين يعلـمون, وعدوّنا الذين لا يعلـمون.

وقوله: إنّـمَا يَتَذَكّرُ أُولُو الأَلْبـابِ يقول تعالـى ذكره: إنـما يعتبر حجج اللـه, فــيتعظ, ويتفكـر فــيها, ويتـدبرها أهـلُ العقـول والــحجى, لا أهـل الــجهل والنقص فـي العقول.

الآية : 10

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قُلْ يَعِبَادِ الّذِينَ آمَنُـواْ اتّقُـواْ رَبّكُـمْ لِلّـذِينَ أَحْسَنُواْ فِـي هَـَذِهِ الـدّنْيَا حَسَـنَةٌ وَأَرْضُ اللّـهِ وَاسِـعَةٌ إِنّمَـا يُـوَفّى الصّـابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى اللـه عليـه وسـلم: قُـلْ يـا مــحمد لعبـادي الذين آمنوا: يا عِبـادِ الّذِينَ آمَنُوا بـالله, وصدقوا رسوله اتّقُـوا رَبّكُـمْ بطاعته واجتناب معاصيه لِلّذِينَ أَحْسَنُوا فِـي هَذِهِ الدّنـيْا حَسَنَةٌ.

ثم اختلف أهل التأويـل فــي تأويــل ذلـك, فقـال بعضـهم: معنـاه: للـذين أطاعوا الله حسنة فـي هذه الدنـيا وقـال «فــي» مـن صـلة حسـنة, وجعـل معنى الـحسنة: الصحة والعافـية. ذكر من قال ذلك:

23155ـ حدثنا مـحمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ لِلّذِينَ أَحْسَنُوا فِـي هَذِهِ الدّنـيْا حَسَنَةٌ قال: العافـية والصحة.

وقال آخرون «فـي» من صلة أحسنوا, ومعنى الـحسنة: الـجنة.

وقوله: وأَرْضُ اللّهُ وَاسِعَةٌ يقول تعالـى ذكره: وأرض الله فسيحة واسعة, فهاجروا من أرض الشرك إلـى دار الإسلام, كما:

23156ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا عن ابن أبـي نـجيح, عن مــجاهد, قـوله: وأَرْضُ اللّـهِ وَاسـعَةٌ فهـاجروا واعـتزلوا الأوثان.

وقوله: إنّـمَا يُوَفّـى الصّابُرُونَ أَجْرَهُمْ بغَيرِ حسابٍ يقول تعالـى ذكره: إنـما يعطي الله أهل الصبر علـى ما لقوا فـيه فـي الدنـيا أجرهم فـي الآخرة بغير حساب يقول: ثوابهم بغير حسـاب. وبنــحو الـذي قلنـا فــي ذلـك قـال أهـل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

23157ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة إنّــما يُوَفّـى الصّابرُونَ أَجْرَهُمْ بغَيْرِ حسابٍ لا والله ما هنا كُم مِكيال ولا ميزان.

23158ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ إنّما يُوَفّى الصّابرُونَ أجْرَهُمْ بَغْيرِ حسابٍ قال: في الجنة.

الآية : 11-13

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ إِنّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللّهَ مُخْلِصاً لّهُ الدّينَ * وَأُمِرْتُ لأنْ أكُونَ أوّلَ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ إِنّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لمشركي قومك: إن الله أمرني أن أعبده مُفْرِدا له الطاعة, دون كلّ ما تدعون م ن دونه من الآلهة والأنداد وأمِرْتُ لإنْ أكُونَ أوّلَ المُسْلَمِينَ: يقول: وأمرني ربي جلّ ثناؤه بذلك, لأن أكون بفعل ذلك أوّل من أسلم منكم, فخضع له بالتوحيد, وأخلص له العبادة, وبرىء من كلّ ما دونه من الآلهة. وقوله تعالى: قُلْ إنّي أخافُ إنْ عَصَيْتُ رَبّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ: يقول تعالى ذكره: قال يا محمد لهم إني أخاف إن عصيت ربي فيما أمرني به من عبادته, مخلصا له الطاعة, ومفرده بالربوبية. عذابَ يومٍ عَظِيمٍ: يعني عذاب يوم القيامة, ذلك هو اليوم الذي يعظم هو له.

الآية : 14-15

القول في تأويل قوله تعالى:

{قُلِ اللّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لّهُ دِينِي * فَاعْبُدُواْ مَا شِئْتُمْ مّن دُونِهِ قُلْ إِنّ الْخَاسِرِينَ الّذِينَ خَسِرُوَاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لمشركي قومك: الله أعبد مخلصا, مفردا له طاعتي وعبادتي, لا أجعل له في ذلك شريكا, ولكني أفرده بالألوهة, وأبرأ مما سواه من الأنداد والآلهة, فاعبدوا أنتم أيها القوم ما شئتم من الأوثان والأصنام, وغير ذلك مما تعبدون من سائر خلقه, فستعلمون وبال عاقبة عبادتكم ذلك إذا لقيتم ربكم.

وقوله: قُلْ إنّ الخاسِرِينَ الّذِينَ خَسِرُوا أنْفُسَهُمْ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهم: إن الهالكين الذين غَبَنوا أنفسهم, وهلكت بعذاب الله أهلوهم مع أنفسهم, فلم يكن لهم إذ دخلوا النار فيها أهل, وقد كان لهم في الدنيا أهلون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23159ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: قُلْ إنّ الخَاسِرِينَ الّذِينَ خَسِرُوا أنْفُسَهُمْ وأهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ قال: هم الكفار الذين خلقهم الله للنار, وخلق النار لهم, فزالت عنهم الدنيا, وحرّمت عليهم الجنة, قال الله: خَسِرَ الدّنْيَا وَالآخِرَةَ.

23160ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: قُلْ إنّ الخاسِرِينَ الّذِينَ خَسِرُوا أنْفُسَهُمْ وأهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ قال: هؤلاء أهل النار, خسروا أنفسهم في الدنيا, وخسروا الأهلين, فلم يجدوا في النار أهلاً, وقد كان لهم في الدنيا أهل.

23161ـ حُدثت عن ابن أبي زائدة, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قال: غبنوا أنفسهم وأهليهم, قال: يخسرون أهليهم, فلا يكون لهم أهل يرجعون

إلـيهم, ويخسـرون أنفسـم, فـيهلكون فـي النـار, فـيـموتون وهـم أحيـاء فـيخسرونهما.
وقوله: ألا ذلكَ هُوع الـخُسْرانُ الـمُبِـينُ يقول تعالـى ذكره: ألا إن خسران هؤلاء الـمشركين أنفسهم وأهلـيهم يوم القـيامة, وذلك هلاكها هو الـخسران الـمبـين, يقول تعالـى ذكره: هو الهلاك الذي يبـين لـمن عـاينه وعلـمه أنـه الـخسران.

الآية : 16-18

القول فـي تأويـل قوله تعالـى:
{لَهُمْ مّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مّنَ النّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوّفُ اللّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَعِبَادِ فَاتّقُونِ * وَالّذِينَ اجْتَنَبُواْ الطّاغُوتَ أَن يَعْبُـدُوهَا وَأَنَـابُوَاْ إِلَـى اللّـهِ لَهُـمُ الْبُشْرَىَ فَبَشّرْ عِبَادِ * الّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَـتّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَـئِكَ الّـذِينَ هَدَاهُمُ اللّهُ وَأُوْلَـئِكَ هُمْ أُوْلُو الأَلْبَابِ }.
يقول تعالـى ذكره لهؤلاء الـخاسرين يوم القامة فـي جهنـم: مِنْ فَـوقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النّار وذلك كهيئة الظلل الـمبنـية من النار وَمِنْ تَـحْتهمْ ظُلَلٌ يقـول: ومن تـحتهم من النار ما يعلوهم, حتـى يصـير مـا يعلـوهم منهـا مـن تـحتهم ظللاً, وذلك نظير قوله جلّ ثناؤه لَهُمْ: مِنْ جَهَنَـمَ مِهـادٌ وَمِـنْ فَـوْقِهِمْ غَـواشٍ يغشاهم مـما تـحتهم فـيها من الـمهاد.
وقوله: ذلكَ يخَوّفُ اللّهُ بِهِ عبـادَهُ يا عبـادِ فـاتّقُونِ يقول تعالـى ذكره: هذا الذي أخبرتكم أيها الناس بـه, مــما للــخاسرين يـوم القــيامة مـن العـذاب, تـخويف من ربكم لكم, يخوّفكم به لتـحذروه, فتـجتنبوا معاصيه, وتنـيبوا من كفركم إلـى الإيـمان به, وتصديق رسوله, واتبـاع أمـره ونهيـه, فتنــجوا مـن عذابه فـي الآخرة فـاتّقُونِ يقول: فـاتقونـي بأداء فرائضي علـيكم, واجتنـاب معاصيّ, لتنـجوا من عذابـي وسخطي.
وقوله: وَالّذِينَ اجْتَنَبُوا الطّاغُوتَ: أي اجتنبوا عبـادة كلّ ما عُبد من دون الله من شيء. وقد بـيّنا معنى الطاغوت فـيـما مضى قبل بشواهد ذلـك, وذكرنـا اختلاف أهل التأويـل فـيه بـما أغنى عن إعادته فـي هذا الـموضع, وذكرنا أنه فـي هذا الـموضع: الشيطان, وهو فـي هـذا الــموضع وغيـره بــمعنى واحـد عندنا. ذكر من قال ما ذكرنا فـي هذا الـموضع:
23162ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبــي نــجيح, عـن مــجاهد, قـوله: وَالّـذِينَ اجْتَنَبُـوا الطّـاغُوتَ قـال: الشيطان.
23163ـ حدثنا مـحمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ وَالّذِينَ اجْتَنَبُوا الطّاغُوتَ أنْ يَعْبُدُوها قال: الشيطان.
23164ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: وَالّذِينَ اجْتَنَبُوا الطّاغُوتَ أنْ يَعْبُدُوها قـال: الشـيطان هـو هاهنـا واحـد وهي جماعة.
والطاغوت عـلـى قول ابن زيد هذا واحد مؤنث, ولذلك قـيـل: أن يعبدوها. وقـيـل: إنـما أنثت لأنها فـي معنى جماعة.
وقوله: وأنابُوا إلــى اللّـهِ يقـول: وتـابوا إلــى اللـه ورجعـوا إلــى الإقـرار بتوحيده, والعمل بطاعته, والبراءة مـما سـواه مـن الآلهـة والأنـداد. وبنــحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

23165ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وأنابُوا إلى اللّهِ: وأقبلوا إلى الله.
23166ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: وأنابُوا إلى اللّهِ قال: أجابوا إليه.
وقوله: لَهُمُ البُشْرَى يقول: لهم البشرى في الدنيا بالجنة في الآخرة فَبَشّرْ عِبادِ الّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فبشر يا محمد عبادي الذين يستمعون القول من القائلين, فيتبعون أرشده وأهداه, وأدله على توحيد الله, والعمل بطاعته, ويتركون ما سوى ذلك من القول الذي لا يدل على رشاد, ولا يهدي إلى سداد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
23167ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَيَتّبِعُونَ أحْسَنَهُ وأحسنه طاعة: الله.
23168ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: فَيَتّبِعُونَ أحْسَنَهُ قال: أحسن ما يؤمرون به فيعملون به.
وقوله: أُولَئِكَ الّذِينَ هَداهُمُ اللّهُ يقول تعالى ذكره: الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه, الذين هداهم الله, يقول: وفقهم الله للرشاد وإصابة الصواب, لا الذين يُعْرِضون عن سماع الحقّ, ويعبدون ما لا يضرّ, ولا ينفع.
وقوله: أُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الألْبابِ يعني: أولو العقول والحجا.
وذُكر أن هذه الآية نزلت في رهط معروفين وحّدوا الله, وبرئوا من عبادة كل ما دون الله قبل أن يُبعث نبيّ الله, فأنزل الله هذه الآية على نبيه يمدحهم. ذكر من قال ذلك:
23169ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَالّذِينَ اجْتَنَبُوا الطّاغُوتَ أنْ يَعْبُدُوها... الآيتين, حدثني أبي أن هاتين الآيتين نزلتا في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله: زيد بن عمرو, وأبي ذرّ الغفاري, وسلمان الفارسيّ, نزل فيهم: وَالّذِينَ اجْتَنَبُوا الطّاغُوتَ أنْ يَعْبُدُوها في جاهليتهم وأنابُوا إلى اللّهِ لَهُمُ البُشْرَى فَبَشّرْ عِبادِ الّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتّبِعُونَ أحْسَنَهُ لا إله إلا الله, أولئك الذين هداهم الله بغير كتاب ولا نبيّ وأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الألْبابِ.

الآية : 19-20

القول في تأويل قوله تعالى: {أَفَمَنْ حَقّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النّارِ * لَـكِنِ الّذِينَ اتّقَواْ رَبّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مّبْنِيّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللّهِ لاَ يُخْلِفُ اللّهُ الْمِيعَادَ }.
يعني تعالى ذكره بقوله: أفَمَنْ حَقّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ العَذَابِ: أفمن وجبت عليه كلمة العذاب في سابق علم ربك يا محمد بكفره به, كما:
23170ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أفَمَنْ حَقّ عَلَيْه كَلِمَةُ العَذَابِ بكفره.
وقوله: أفأنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النّارِ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أفأنت تنقذ يا محمد من هو في النار من حق عليه كلمة العذاب, فأنت تنقذه فاستغنى بقوله: تُنْقِذُ مَنْ فِي النّارِ عن هذا. وكان بعض نحويي الكوفة يقول: هذا مما يراد به استفهام واحد, فيسبق الاستفهام إلى غير موضعه, فيردّ الاستفهام إلى موضعه الذي هو له. وإنما المعنى والله أعلم: أفأنت تنقذ من في النار من حقّت عليه كلمة

العذاب. قال: ومثله من غير الاستفهام: أَيَعِدُكُمْ أنّكُمُ إذا مِتّـمْ وكُنْتُـمْ تُرابـا وَعِظاما أنّكُمْ مُخْرِجُونَ فردّد «أنكم» مرّتين. والـمعنى والله أعلـم: أيعدكم أنكم مخرجون إذا متـم ومثلـه قـوله: لا تَـحْسَبنّ الّـذِينَ يَفْرَحُـونَ بِـمَا أتَـوْا ويُحِبّونَ أنْ يُحْمَدُوا بِـما لَـمْ يَفْعَلُوا فَلا تَـحْسَبَنّهُمْ بِـمَفـازَة مِنَ العَذَابِ. وكـان بعضهم يستخطىء القول الذي حكيناه عن البصريين, ويقول: لا تكون فـي قوله: أفَأنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِـي النّارِ كناية عمن تقدم, لا يقال: القوم ضربت مـن قام, يقول: الـمعنى: ألتـجرئة أفأنت تُنقذ من فـي النار منهم. وإنـما معنـى الكلـمة: أفأنت تهدي يا مـحمد من قد سبق له فـي علـم اللـه أنـه مـن أهـل النار إلـى الإيـمان, فتنقذه من النار بـالإيـمان؟ لست علـى ذلك بقادر.

وقوله: لَكِنِ الّذِينَ اتّقُوْا رَبّهُمْ لَهُـمْ غُـرَفٌ مِـنْ فَوْقِهـا غُـرَفٌ مَبْنِـيّةٌ يقـول تعالـى ذكره: لكن الذين اتقوا ربهم بـأداء فرائضـه واجتنـاب مـحارمه, لهـم فـي الـجنة غرف من فوقها غرف مبنية علالـيّ بعضها فوق بعض تَـجْرِي مِنْ تَـحْتِها الأنهارُ يقول تعالـى ذكره: تـجري مـن تـحت أشـجار جناتهـا الأنهـار. وقوله: وَعَدَ اللّهُ يقول جلّ ثناؤه: وعدنا هذه الغرف التـي مـن فوقهـا غـرف مبنـية فـي الـجنة, هؤلاء الـمتقـين لا يُخْـلفُ اللّهُ الـمِيعادَ يقـول جـلّ ثنـاؤه: والله لا يخـلفهم وعده, ولكنه يوفـي بوعده.

الآية : 21

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {أَلَـمْ تَـرَ أَنّ اللّـهَ أَنـزَلَ مِـنَ السّـمَآءِ مَـآءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأرْضِ ثُمّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعـاً مّخْتَلِفـاً أَلْـوَانُهُ ثُـمّ يَهِـيجُ فَـتَرَاهُ مُصْفَـرّاً ثُمّ يَجْعَلُهُ حُطَامَاً إنّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىَ لأُوْلِي الألْبَابِ }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: أَلَـمْ تَرَ يا مـحمد أنّ اللّهَ أنْزَلَ مِنَ السّماءِ مـاءً وهـو الـمطر فَسَـلَكَهُ يَنابِـيعَ فِـي الأرْضِ يقـول: فأجراه عيونا فـي الأرض واحدها ينبوع, وهـو مـا جـاش مـن الأرض. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

23171ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يـمان, عن سفـيان, ع ن ج ابر, عن الشعبـيّ, فـي قوله: فَسَلَكَهُ يَنابِـيعَ فِـي الأرْضِ قال: كلّ ندى وماء فـي الأرض من السماء نزل.

23172ـ قال: ثنا ابن يـمان, عن سفـيان, عـن جـابر, عـن الـحسن بـن مسلـم بن بـيان, قال: ثم أنبت بذلك الـماء الذي أنزلـه مـن السـماء فجعلـه فـي الأرض عيونا زرعا مُخْتَلِفـا أَلْوَانُهُ يعنـي: أنواعا مختلفة مـن بـين حنطـة وشعير وسمسـم وأرز, ونـحو ذلـك مـن الأنـواع الـمختلفة ثُـمّ يَهيـجُ فَـتراهُ مُصْفَرّا يقول: ثم يـيبس ذلك الزرع من بعد خُضرته, يقال للأرض إذا يبس ما فـيها من الـخضر وذوي: هاجت الأرض, وهاج الزرع.

وقوله: فَتراه مُصْفَرّا يقول: فتراه من بعد خُضرته ورطوبته قد يبس فصار أصفر, وكذلك الزرع إذا يبس أصفر ثُمّ يَجْعَلُهُ حُطاما والـحُطام: فتات التبـن والـحشيش, يقول: ثم يجعل ذلك الزرع بعد ما صار يابسا فُتاتا متكسرا.

وقوله: إنّ فِـي ذلكَ لَذِكْرَى لأُولـي الألْبـابِ يقـول تعالـى ذكـره: إن فـي فعل الله ذلك كالذي وصف لذكرى وموعظة لأهل العقول والـحجا يتـذكرون به, فـيعلـمون أن من فعل ذلك فلن يتعذّر علـيه إحداث ما شاء من الأشـياء, وإنشاء ما أراد من الأجسام والأعراض, وإحياء من هلك من خـلقه مـن بعـد مـماته وإعادته من بعد فنائه, كهيئته قبل فَنائه, كالذي فُعِـل بـالأرض التـي أنزل علـيها من بعد موتها الـماء, فأنبت بها الزرعَ الـمختلف الألوان بقدرته.)

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى:

{أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَىَ نُورٍ مّن رّبّهِ فَوَيْلٌ لّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مّن ذِكْرِ اللّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مّبِينٍ }.

يقول تعالى ذكره: أفمن فَسَح الله قلبه لمعرفته, والإقرار بوحدانيته, والإذعان لربوبيته, والخضوع لطاعته فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبّهِ يقول: فهو على بصيرة مما هو عليه ويقين, بتنوير الحقّ في قلبه, فهو لذلك لأمر الله متبع, وعما نهاه عنه منته فيما يرضيه, كمن أقسى الله قلبه, وأخلاه من ذكره, وضيّقه عن استماع الحق, واتّباع الهدى, والعمل بالصواب؟ وترك ذكر الذي أقسى الله قلبه, وجوابَ الاستفهام اجتزاء بمعرفة السامعين المراد من الكلام, إذ ذكر أحد الصنفين, وجعل مكان ذكر الصنف الآخر الخبر عنه بقوله: فَوَيْلٌ لّلْقاسِيَةِ قُلُوبُهمْ مِنْ ذِكْرِ اللّهِ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23173ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أَفَمَنْ شَرَحَ اللّهُ صَدْرَهُ للإسْلامِ فَهُوَ عَلى نُورٍ مِنْ رَبّهِ يعني: كتاب الله, هو المؤمن به يأخذ, وإليه ينتهي.

23174ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: أَفَمَنْ شَرَحَ اللّهُ صَدْرَهُ للإسْلامِ قال: وسع صدره للإسلام, والنور: الهُدَى.

23175ـ حُدثت عن ابن أبي زائدة عن ابن جُرَيج, عن مجاهد أَفَمَنْ شَرَحَ اللّهُ صَدْرَهُ للإسْلامِ قال: ليس المنشرح صدره مثل القاسي قلبه.

قوله: فَوَيْلٌ للقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللّهِ يقول تعالى ذكره: فويل للذين جَفَت قلوبهم ونأت عن ذكر الله وأعرضت, يعني عن القرآن الذي أنزله تعالى ذكره, مذكّرا به عباده, فلم يؤمن به, ولم يصدّق بما فيه. وقيل: مِنْ ذِكْرِ اللّهِ والمعنى: عن ذكر الله, فوضعت «من» مكان «عن», كما يقال في الكلام: أتخمت من طعام أكلته, وعن طعام أكلته بمعنى واحد.

وقوله: أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ يقول تعالى ذكره: هؤلاء القاسية قلوبهم من ذكر الله في ضلال مُبين, لمن تأمّله وتدبّره بفهم أنه في ضلال عن الحقّ جائر.

الآية : 23

القول في تأويل قوله تعالى: {اللّهُ نَزّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مّتَشَابِهاً مّثَانِيَ تَقْشَعِرّ مِنْهُ جُلُودُ الّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبّهُمْ ثُمّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىَ ذِكْرِ اللّهِ ذَلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ }.

يقول تعالى ذكره: اللّهُ نَزّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتابا يعني به القرآن مُتَشابِها يقول: يشبه بعضه بعضا, لا اختلاف فيه, ولا تضادّ, كما:

23176ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: اللّهُ نَزّلَ أحْسَنَ الحَدِيثِ كِتابا مُتَشابِها... الآية تشبه الآية, والحرف يشبه الحرف.

23177ـ حدثنا محمّد قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ كِتابا مُتَشابِها قال: المتشابه: يشبه بعضه بعضا.

23178ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن يعقوب, عن جعفر, عن سعيد بن جُبَير, في قوله: كِتابا مُتَشابِها قال: يشبه بعضه بعضا, ويصدّق بعضه بعضا, ويدلّ بعضه على بعض.

وقوله: مَثانِيَ يقول: تُثْنَي فيه الأنباء والأخبار والقضاء والأحكام والحُجَج. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23179ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن أبي رجاء, عن الحسن, في قوله: اللّهُ نَزّلَ أحْسَنَ الحَدِيثِ كِتابا مُتَشابِها مَثانِيَ قال: ثنى الله فيه القضاء, تكون السورة فيها الآية في سورة أخرى آية تشبهها, وسُئل عنها عكرمة.

23180ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: كِتابا مُتَشابِها مَثانِيَ قال: في القرآن كله.

23181ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة مَثانِيَ قال: ثَنَى الله فيه الفرائض, والقضاء, والحدود.

23182ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: مَثانِيَ قال: كتاب الله مثاني, ثَنَى فيه الأمرَ مرارا.

23183ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السدي, في قوله: مَثَانِيَ قال: كتاب الله مثاني, ثَنَى فيه الأمر مرارا.

حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: مَثَانِيَ ثنى في غير مكان.

23184ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: مَثانِيَ مردّد, ردّد موسى في القرآن وصالح وهود والأنبياء في أمكنة كثيرة.

وقوله: تَقْشَعِر مِنْهُ جُلُودُ الّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبّهُمْ يقول تعالى ذكره: تقشعرّ من سمَاعه إذا تُلي عليهم جلودُ الذين يخافون ربهم ثُمّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إلى ذِكْرِ اللّهِ يعني إلى العمل بما في كتاب الله, والتصديق به.

وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل أن أصحابه سألوه الحديث. ذكر الرواية بذلك:

23185ـ حدثنا نصر بن عبد الرحمن الأوْديّ, قال: حدثنا حَكام بن سلم, عن أيوب بن موسى, عن عمرو المَلَئي عن ابن عباس, قالوا: يا رسول الله لو حدثتنا؟ قال: فنزلت: اللّهُ نَزّلَ أحْسَنَ الحَدِيثِ.

23186ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن أيوب بن سيار أبي عبد الرحمن, عن عمرو بن قيس, قال: قالوا: يا نبيّ الله, فذكر مثله.

ذلكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ يقول تعالى ذكره: هذا الذي يصيب هؤلاء القوم الذين وصفت صفتهم عند سماعهم القرآن من اقشعرار جلودهم, ثم لينها ولين قلوبهم إلى ذكر الله من بعد ذلك, هُدَى اللّهِ يعني: توفيق الله إياهم وفّقهم له يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ يقول: يهدي تبارك وتعالى بالقرآن من يشاء من عباده.

وقد يتوجّه معنى قوله: ذلكَ هُدَى إلـى أن يكـون ذلـك مـن ذكـر القـرآن, فـيكون معنـى الكلام: هـذا القـرآن بـيان اللـه يهـدي بـه مـن يشـاء, يوفـق للإيـمان به من يشاء.

وقوله: وَمَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هادٍ يقول تعالـى ذكره: ومن يخذلْه الله عن الإيـمان بهذا القرآن والتصديق بـما فـيه, فـيضله عنه, فَمـا لـه مـن هـاد يقول: فما له من مُوَفّق له, ومسدد يسدده فـي اتبـاعه.

الآية : 24-25

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {أَفَمَـن يَتّقِـي بِـوَجْهِهِ سُـوَءَ الْعَـذَابِ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظّالِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِـبُونَ * كَـذّبَ الّـذِينَ مِـن قَبْلِهِـمْ فَأَتَاهُمُ الْعَـذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ }.

اختلف أهل التأويـل فـي صفة اتقاء هذا الضالّ بوجهه سُوء العذاب, فقال بعضهم: هو أن يُرْمَى به فـي جهنـم مكبوبـا علـى وجهه, فـذلك اتقـاؤه إيـاه. ذكر من قال ذلك:

23187ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عـن مـجاهد, فـي قـوله: أَفَمَـنْ يَتّقِـي بِـوَجْهِهِ سُـوءَ العَذَابِ قال: يَخِرّ علـى وجهه فـي النار, يقول: هو مثـل أَفَمَـنْ يُـلْقَـى فِـي النّارِ خَيْرٌ أمْ مَنْ يَأتِـي آمنا يَوْمَ القِـيامَةِ؟.

وقال آخرون: هو أن ينطلق به إلـى النار مكتوفـا, ثم يرمَى به فـيها, فأوّل ما تـمسّ النار وجهه وهذا قول يُـذكر عـن ابـن عبـاس مـن وجـه كرهـت أن أذكره لضعف سنده وهذا أيضا مـما ترك جوابه اسـتغناء بدلالـة مـا ذكـر مـن الكلام علـيه عنـه. ومعنـى الكلام: أفمـن يتقـي بـوجهه سـوء العـذاب يـوم القـيامة خير, أم من ينعم فـي الـجنان؟.

وقوله: وَقِـيـلَ للظّالِـمِينَ ذُوقُوا ما كُنْتُـمْ تَكْسِـبُونَ يقـول: ويقـال يومئـذٍ للظالـمين أنفسهم بإكسابهم إياها سخط الله. ذوقوا الـيوم أيها القوم وَبـالَ ما كنتـم فـي الدنـيا تكسبون من معاصي الله.

وقوله: كَذّبَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يقول تعالـى ذكـره: كـذب الـذين مـن قبـل هؤلاء الـمشركين من قُريش من الأمـم الذين مضـوا فـي الـدهور الـخالـية رسلهم فَأتاهُمُ العَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعَرُونَ يقول: فجاءهم عـذاب اللـه مـن الـموضع الذي لا يشعرون: أي لا يعلـمون بـمـجيئه منه.

الآية : 26

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَأَذَاقَهُمُ اللّـهُ الْخِـزْيَ فِـي الْحَيَـاةِ الـدّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: فعجل الله لهؤلاء الأمـم الذين كذّبوا رسلهم الهـوان فـي الدنـيا, والعـذاب قبـل الآخـرة, ولـم ينظِرهـم إذ عتـوا عـن أمـر ربهـم وَلَعَذابُ الآخِرَةِ أكْبَرُ يقول: ولعذاب الله إياهم فـي الآخرة إذا أدخـلهم النـار, فعذّبهم بها, أكبر من العذاب الذي عذّبهم به فـي الدنـيا, لـو كـانوا يعلـمون يقول: لو علـم هؤلاء الـمشركون من قريش ذلك.

الآية : 27-28

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنّاسِ فِي هَـذَا الْقُـرْآنِ مِـن كُلّ مَثَلٍ لّعَلّهُمْ يَتَذَكّرُونَ * قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لّعَلّهُمْ يَتّقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولقد مثّلنا لهؤلاء المشركين بالله من كلّ مثل من أمثال القرون للأمم الخالية, تخويفا منّا لهم وتحذيرا لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ يقول: ليتذكروا فينزجروا عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله.

وقوله: قُرآنا عَرَبِيّا يقول تعالى ذكره: لقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كلّ مثل قرآنا عربيا غيرَ ذِي عِوَجٍ يعني: ذي لبس, كما:

23188ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا رقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد قُرآنا عَرَبِيّا غيرَ ذِي عِوَجٍ: غير ذي لبس.

ونصب قوله: قُرآنا عَرَبِيّا على الحال من قوله: هذا القرآن, لأن القرآن معرفة, وقوله قُرآنا عَرَبِيّا نكرة.

وقوله: لَعَلَّهُمْ يَتّقُونَ يقول: جعلنا قرآنا عربيا إذ كانوا عربا, ليفهموا ما فيه من المواعظ, حتى يتقوا ما حذّرهم الله فيه من بأسه وسطوته, فينيبوا إلى عبادته وإفراد الألوهة له, ويتبّرؤوا من الأنداد والآلهة.

الآية : 29

القول في تأويل قوله تعالى: {ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ للّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: مثّل الله مثلاً للكافر بالله الذي يعبد آلهة شَتّى, ويطيع جماعة من الشياطين, والمؤمن الذي لا يعبُد إلا الله الواحد, يقول تعالى ذكره: ضرب الله مثلاً لهذا الكافر رجلاً فيه شركاء. يقول: هو بين جماعة مالكين متشاكسين, يعني مختلفين متنازعين, سيئة أخلاقهم, من قولهم: رجل شَكِس: إذا كان سيىء الخلق, وكل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه ومِلْكه فيه, ورجلاً سَلَما لرجل, يقول: ورجلاً خُلُوصا لرجل يعني المؤمن الموحد الذي أخلص عبادته لله, لا يعبد غيره ولا يدين لشيء سواه بالربوبية.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: وَرَجُلاً سَلَما فقرأ ذلك بعض قرّاء أهل مكة والبصرة: «وَرَجُلاً سالِمَا» وتأوّلوه بمعنى: رجلاً خالصا لرجل. وقد رُوي ذلك أيضا عن ابن عباس.

23189ـ حدثنا أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا حجاج, عن هارون, عن جرير بن حازم, عن حميد, عن مجاهد, عن ابن عباس أنه قرأها: «سالِمَا لِرَجُلٍ» يعني بالألف, وقال: ليس فيه لأحد شيء.

وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة: وَرَجُلاً سَلَما لِرَجُلٍ بمعنى: صلحا.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان, قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء, متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب وذلك أن السّلَم مصدر من قول القائل: سَلِيم فلان لله سَلَما بمعنى: خَلَص له خُلوصا, تقول العرب: ربح فلان في تجارته رِبْحا ورَبَحا, وسَلِم سِلْما وسَلَما وسلامة, وأن السالم من صفة الرجل, وسَلَم مصدر من ذلك. وأما الذي توهمه من رغب من قراءة ذلك سَلَما من أن معناه صلحا, فلا وجه للصلح في هذا الموضع, لأن الذي تقدم من صفة الآخر, إنما تقدّم بالخبر عن اشتراك جماعة فيه دون الخبر عن حربه بشيء من الأشياء, فالواجب أن يكون الخبر عن مخالفه بخلوصه لواحد لا شريك له,

ولا موضع للخبر عن الحرب والصلح في هذا الموضع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23190ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: «رَجُلاً فِيهِ شُرَكاءُ مُتَشاكِسُونَ وَرَجُلاً سالِما لِرَجُلٍ» قال: هذا مثل إله الباطل وإله الحقّ.

23191ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكاءُ مُتَشاكِسُونَ قال: هذا المشرك تتنازعه الشياطين, لا يقرّبه بعضهم لبعض «وَرَجُلاً سالِما لِرَجُلٍ» قال: هو المؤمن أخلص الدعوة والعبادة.

23192ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكاءُ مُتَشاكِسُونَ... إلى قوله: بَلْ أكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ قال: الشركاء المتشاكسون: الرجل الذي يعبد آلهة شتى كلّ قوم يعبدون إلها يرضونه ويكفرون بما سواه من الآلهة, فضرب الله هذا المثل لهم, وضرب لنفسه مثلاً, يقول: رجلا سَلِمَ لرجل يقول: يعبدون إلها واحدا لا يختلفون فيه.

23193ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكاءُ مُتَشاكِسُونَ قال: مثل لأوثانهم التي كانوا يعبدون.

23194ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: «ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكاءُ مُتشاكِسُونَ وَرَجُلاً سالِما لِرَجُلٍ» قال: أرأيت الرجل الذي فيه شركاء متشاكسون كلهم سيىء الخلق, ليس منهم واحد إلا تلقاه آخذا بطرف من م ال لاستخدامه أسواؤُهم, والذي لا يملكه إلا واحد, فإنما هذا مثل ضربه الله لهؤلاء الذين يعبدون الآلهة, وجعلوا لها في أعناقهم حقوقا, فضربه الله مثلاً لهم, وللذي يعبده وحده هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً الحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ. وفي قوله: «وَرَجُلاً سالِمَا لِرَجُلٍ» يقول: ليس معه شرك.

وقوله: هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً يقول تعالى ذكره: هل يستوي مثلُ هذا الذي يخدمُ جماعة شركاء سيئة أخلاقهم مختلفة فيه لخدمته مع منازعته شركاءه فيه والذي يخدم واحدا لا ينازعه فيه منازع إذا أطاعه عرف له موضع طاعته وأكرمه, وإذا أخطأ صفح له عن خطئه, يقول: فأيّ هذين أحسن حالاً وأروح جسما وأقلّ تعبا ونصبا؟ كما:

23195ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً الحَمْدَ لِلّهِ بَلْ أكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ يقول: من اختُلف فيه خير, أم من لم يُخْتلَف فيه؟.

وقوله: الحَمْدِ لِلّهِ يقول: الشكر الكامل, والحمدُ التامّ لله وحده دون كلّ معبود سواه. وقوله: بَلْ أكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ يقول جل ثناؤه: وما يستوي هذا المشترك فيه, والذي هو منفرد ملكه لواحد, بل أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعلمون أنهما لا يستويان, فهم بجهلهم بذلك يعبدون آلهة شتى من دون الله. وقيل: هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً ولم يقل: مثلين لأنهما كلاهما ضُربا مثلاً واحدا, فجرى المثل بالتوحيد, كما قال جلّ ثناؤه: وَجَعَلْنا ابْنَ مَرْيَمَ وأُمّهُ آيَةً إذ كان معناهما واحدا في الآية. والله أعلم.